



عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

فلسفة الطريقة الشاذلية اليشرطية

أحمد محمد يوسف أبو الهوى

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1438هـ/2017م

"فلسفة الطريقة الشاذلية اليشرطية"

إعداد:

أحمد محمد يوسف أبو الهوى

بكالوريوس هندسة مدنية من الجامعة الأمريكية /بيروت

المشرف: د. بلال زرينه

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج

الفلسفة في الإسلام / عمادة الدراسات العليا / جامعة القدس

1438هـ / 2017م



جامعة القدس

عمادة الدراسات العليا

دائرة الفلسفة/برنامج الفلسفة في الإسلام

إجازة الرسالة

"فلسفة الطريقة الشاذلية اليشرطية"

اسم الطالب: أحمد محمد يوسف أبو الهوى

الرقم الجامعي: 21412148

المشرف: الدكتور بلال زرينه

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ 3 / 5 / 2017م من أعضاء لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم

وتواقيعهم:

1. أ.د. سري نسيبة (رئيسا لجنة المناقشة) التوقيع:
2. أ.د. مصطفى أبو صوي (ممتحنا داخليا) التوقيع:
3. د. حسن عياش (ممتحنا خارجيا) التوقيع:

القدس - فلسطين

1438هـ-2017م

الإهداء

إلى سيدي ومولاي الشيخ أحمد محمد الهادي الشرطي

شيخ الطريقة الشاذلية اليشرطية

من أضاء وجودي بنوره

أَقْبَبُ بِهِ فَلَكُ الْحَقِيقَةُ مُشْرِقٌ وضيأوه ملأ الوجود بأسره
فِي كُلِّ قَلْبٍ طَاهِرٍ تَلَقَى لَهُ حُبًّا صَحِيحًا وَاقْبِيًّا مِنْ كَسْرِهِ
هُوَ مِنْ كُنُوزِ اللَّهِ فِي مَلَكُوتِهِ ملآن من عمل الصلاح وأجره
مُتَوَاضِعٌ بَيْنَ الْأَنْامِ وَإِنَّمَا كان التواضع رفعةً في قدره
لَمْ يَعْتَرَفْ بِالْفَضْلِ مَنْ لَمْ يَعْتَرِفْ بيدِ العناية عَرَفَةَ مِنْ بَحْرِهِ

أهدي هذا العمل

الباحث: أحمد محمد يوسف أبو الهوى

إقرار:

أقر أنا معد الرسالة بأنها قدمت لجامعة القدس، لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تمت الإشارة له حيثما ورد، وأن هذه الدراسة، أو أي جزء منها، لم يقدم لنيل درجة عليا لأي جامعة أو معهد آخر.

التوقيع:

أحمد محمد يوسف أبو الهوى

التاريخ: 3 / 5 / 2017م

شكر وعرّفان

أُتوجه بالشكر والعرّفان الى روح والديّ لما أوريثاني من أدب ومحبة، وإلى زوجتي فاطمة على رعايتها ودعمها لي طوال سنوات الدراسة، وإلى روح جدي أم جلال التي فتحت لي طريق المعرفة، وإلى أخي المحامي إبراهيم عودة الذي صاحبني في مسيرتي في الطريق، وإلى ابني علي الذي ساهم في إخراج البحث بصورته، وإلى بناتي سائدة وباهية ونادين، وإلى أحفادي فاطمة وأحمد وبانة، وإلى أبناء الطريقة الشاذلية اليشرطية. وأتوجه بالشكر إلى جامعة القدس وإلى كل من واكب مسيرتي في مساق الفلسفة في الإسلام، وأخص منهم الدكتور سري نسيبة، والدكتور شكري العبد، والدكتور صبحي ريان، والدكتور بلال زرينه الذي أشرف على البحث. ولا أنسى فضل الدكتور مصطفى أبو صوي، المناقش الداخلي، والدكتور حسن عياش المناقش الخارجي، واللذان أثرت ملاحظتهما في هذا البحث. وأتوجه بالشكر إلى الأستاذ محمد حسين من هيئة جامعة القدس، وإلى زملائي في المسار، وأخص الزميل حسين جاموس بالشكر على مساعدته في التقنيات. والشكر والفضل لله أولاً وآخراً على ما أولانا من النعم، والحمد لله رب العالمين.

المخلص

هذا البحث يتناول الطريقة الشاذلية اليشرطية، وهي طريقة صوفية أسسها الشيخ علي نور الدين اليشرطي، في مدينة عكا بفلسطين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إثر قدومه مهاجراً من بلدته بنزرت في تونس المغرب. ويتناول البحث نشأة الطريقة وحياتها ومؤسسها والشخصية القوية المؤثرة التي أنعم الله بها عليه ليقود الطريقة، وسرعة انتشار الطريقة في بلاد الشام. وتبين أيضاً فلسفة الطريقة في الحياة والمعرفة والوجود، وتأثيرها في تربية المريدين التريبة الروحية، التي تفتح للمريدين أبواب المعرفة.

وفي هذا البحث حاولت ما استطعت أن أقدم التصوف وعلى الأخص تصوف الطريقة الشاذلية اليشرطية كما فهمته، وحاولت أن أزيل بعض اللبس الذي يعتري التصوف عامة، وتصوف الطريقة الشاذلية اليشرطية خاصة. وقمت بعرض فلسفة الطريقة الشاذلية اليشرطية وما يتعلق بها من روحانيات ومناهج وأفكار بطريقة مبسطة وأوصل من خلالها الفهم السليم لهذه الطريقة.

لقد جاء هذا البحث مُبَوَّباً في مقدمة، وفصل تمهيدي، وأربعة فصول رئيسة وخاتمة؛ كما يأتي:

الفصل التمهيدي: قدمت فيه فكرة موجزة عن الطريقة اليشرطية، وأسباب اختيار هذا العنوان، ومنهجية الدراسة، وأهمية الدراسة، ومشكلة البحث، وحدود الدراسة، والصعوبات التي واجهتني في البحث.

الفصل الأول: تحدثت فيه عن التصوف ونشأته وعلاقته بالفلسفة والدين، وهل التصوف أصيل في الدين الإسلامي أم أنه دخيل عليه، وبيان فائدة التصوف في حياة الفرد والنهوض بالمجتمع.

الفصل الثاني: الطريقة اليشرطية - تاريخها وأعلامها : تحدثت فيه عن الطريقة ومؤسسها ونشأته وعن مبادئها وعن شيوخها ودورهم في الارتقاء بها.

الفصل الثالث: عرضت فيه آلية العمل في الطريقة اليشرطية وفلسفتها، وتحدثت فيه عن التريبة الروحية في الطريقة اليشرطية، وعن مكانة الروح ومعناها عند الصوفية عموماً وعند اليشرطية خصوصاً، وعن دور الزهد والورد والتأمل في الرقي بالروح، وعن فلسفة الطريقة عموماً

الفصل الرابع : وتحدثت فيه عن دور الشعر والشعراء في التعبير عن أفكار الطريقة

الخاتمة: وذكرت فيها أهم نتائج الدراسة والتوصيات المقترحة

الباحث: أحمد محمد يوسف أبو الهوى

Al-Ṭarīqah al-Shāthuliyah al-Yashruṭiyah

Prepared By: Ahmad Mohamad Yousef Abu-Al-Hawa

Supervisor: Dr. Belal Zaineh

Abstract

This paper introduces *al-Ṭarīqah al-Shāthuliyah al-Yashruṭiyah* and its philosophy. It is a *Sūfi Ṭarīqah* which was established in the city of Acca in Palestine, during the second half of the nineteenth century, by *Shaikh* Ali Nūr al- Dīn al-Yashruṭi, migrating from his home town of Banzart, Tunisia. The paper deals with the establishment of the Ṭarīqa, the life of the Shaikh, the charismatic stature that god endowed the Shaikh with, and its effect in the fast spread of the Ṭarīqah in *Bilād al-Shām*, (Greater Syria). It also deals with the philosophy of the Ṭarīqah, in the subjects of existence, life, as well as in knowledge, and the effect of the Ṭarīqah in the spiritual cultivation of the soul of the followers of the Ṭarīqah, which opens for them the gates of knowledge .

The paper is divided into an introduction, a preface, four main chapters, and a conclusion, as follows:

The introduction: introduces a brief idea on *al-Ṭarīqa al-Yashruṭiyah*, the reasons for the choice of this subject, the method adopted in the study, the importance of the Ṭarīqa, the limits of the study, and the limitations faced during the study.

Chapter 1: deals with sufism, its origins and its relation to religion and philosophy, and whether sufism is original in Islam, or it is alien to Islam.

Chapter 2: deals with *al-Ṭarīqah al-Yashruṭiyah*: the founder *Shaikh*: his life, the principles, the shaikhs of the Ṭarīqah and their role in the Ṭarīqah.

Chapter 3: deals with the methodology of the Ṭarīqah and its philosophy. It also deals with the spiritual cultivation in *al-Ṭarīqah al-Yashruṭiyah*, and the definition of the soul and its role in sufism in general and particularly in *al-Ṭarīqah al-Yashruṭiyah*, together with the position of *zuhd*, *wird*, and meditation in the elevation of the soul in ranks up to perfection.

Chapter 4: deals with poets and poetry in expressing the principles of the Ṭarīqah.

Conclusion: states the conclusions and recommendations for further studies.

الفصل التمهيدي

مقدمة

يعتقد كثير من عامة الناس الذين ليس لهم علاقة بالتصوف، أن التصوف هو مجرد دروشة ولبس مرقعات وثياب مخصوصة رثة قصيرة الذيل، وهم محقون إلى حد ما، لما يرونه من مظهر بعض من يدعون التصوف. وآخرون ينتقدون التصوف على أنه تقليدٌ بالٍ يخلو من العقلانية وليس له أصل من الدين، وهم محقون لقصور رؤيتهم بعمق المعاني الروحية والفلسفية التي جاء الوحي السماوي بها في القرآن وفي السنة النبوية. وهناك علماء عاقلون يرون التصوف بدعة، وذلك تمسكا منهم بحرفية النص وتقليد الأولين، وهم في ذلك محقون في حرصهم على الدين، أو ما فهموه من الدين. والتصوف كما يقول شيوخه ومريدوه: "نحن لم نأت بشرع جديد، وإنما جئنا بفهم جديد".¹ وقال أبو الحسن النوري: ليس التصوف رسماً ولا علماً. ولكنه خُلق؛ لو كان رسماً لحصل بالمجاهدة، ولو كان علماً لحصل بالتعلم. ولكنه تخلق بأخلاق الله. ولن تستطيع أن تُقبل على الأخلاق الإلهية بعلم أو رسم. وقال: الصوفية قوم صفت قلوبهم من كدورات البشرية وآفات النفوس، و تحرروا من شهواتهم، حتى صاروا لا مالكين ولا مملوكين"². وفي هذا البحث أحاول ما استطعت أن أقدم التصوف وعلى الأخص تصوف الطريقة الشاذلية الإشرطية كما فهمته، لعلّي أستطيع أن أزيل بعض اللبس الذي يعتري التصوف عامة، وتصوف الطريقة الشاذلية الإشرطية خاصة.

فكرة موجزة عن الطريقة

أسس الطريقة الشاذلية الإشرطية الشيخ علي نور الدين الإشرطي في مدينة عكا بفلسطين سنة 1850م مهاجراً إليها من موطنه المغرب، وشيخها القائم هو الشيخ أحمد محمد (الهادي) الإشرطي. وانتشرت الطريقة خلال ما يقرب السنتين من تأسيسها في بلاد الشام، من مدينة القدس والخليل وغزة، وطوباس في منطقة نابلس في فلسطين، إلى بيروت والبقاع اللبناني في لبنان، إلى دمشق وحلب والرقّة في سوريا. ومع هجرة عبد الله بن سعيد السواحلي، أحد منتسبي الطريقة، انتشرت الطريقة في جزر

¹ الإشرطية، فاطمة، رحلة إلى الحق، ط 4، 1997 ص 9

² الإشرطية، فاطمة، نفحات الحق، ط 4، 1997 ص 37

القمر وفي إفريقيا¹. ومع هجرة كثير من المنتسبين للطريقة من بلاد الشام إلى البرازيل في أمريكا الجنوبية، وكندا والولايات المتحدة في أمريكا الشمالية انتشرت الطريقة في تلك البلاد.

ويعتبر أبناء الطريقة اليشراطية أن الشيخ علي نور الدين اليشراطي، مؤسس الطريقة، وأشياخها هم من الصوفيين المحققين الذين لا يخلو قرن منهم، كما ورد في الحديث الشريف: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل قرن من يحدد لها دينها."² وهي طريقة صوفية سنيّة، تشجع مرديها على التفكير النقدي المستقل، تستطيع أن توصل منتسبيها المجتهدين إلى معرفة الحقيقة والتحقق منها. ومع أنها طريقة مؤسسية يرأسها شيخ الطريقة، إلا أن شيخها يترك للمريد حرية الفكر والعمل، فيقول لمريديه: "كان المرشدون يقولون للمريد: "ها أنت وربك. ونحن نقول له: ها أنت."³ بمعنى أن عليك أنت أيها المريد أن تجتهد على نفسك حتى تكتسب المعرفة الذاتية والتحقق من ذاتك. وجعل الشيخ الطريقة ميسرة فيقول: "ليس الشيخ الذي يعطي الأوراد لمريده ليقضي عمره في تلاوتها، وإنما الشيخ الذي يقول لمريده: ها أنت."⁴ ويقول: "هذا الوقت ليس بوقت كثرة عبادات وذكر؛ وإنما هو وقت سعة ذاتية."⁵

"وللطريق أربعة أركان: محبة، وذكر، وفكر، وتسليم. وأهم هذه الأركان المحبة، لأنها قطبٌ تنور عليه الدوائر؛ فمتى أحببته ذكرته، ومتى ذكرته فكرت فيه، وسلمت أمرك إليه."⁶ ويتلقى فيها السالك التربية الروحية، التي روحها المحبة والوسعة والتسامح والسلام، وتعمل على تصفية القلب، وتقود المنتسب إليها إلى معرفة الحقيقة. وهذه المعرفة الصوفية الروحية لا يمكن إدراكها بالعقل وحده، أو بالحسّ والإلهام وحده، أو بكليهما معا فقط، بل يدركها بهما معا، وبخصوصية يهبها الله لأفراد

¹ أنظر باب 2.3.9: الطريقة الشاذلية اليشراطية في جزر القمر وشرق إفريقيا

² رواه أبو داود (رقم/4291) وصححه السخاوي في "المقاصد الحسنة" (149)، والألباني في "السلسلة الصحيحة" (رقم/599)

³ اليشراطية، فاطمة، نفحات رقم 553

⁴ اليشراطية، فاطمة، نفحات، رقم 542

⁵ م. ن. 1000

⁶ م. ن. 30

مخصوصين من خلقه، واصطفاءً، اختُصَّوا بهما من الأزل. {إن الله يختص برحمته من يشاء}¹، {إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين}².

والطريقة الشاذلية اليشرطية مؤسسة صوفية تربوية تشجع مريديها، كما قلنا، على الفكر النقدي المستقل، بمعنى التمحص في النظر في النصوص وفي أمور الحياة وتقليب وجوه النظر فيها. وبهذه التربية هي قادرة على توفير تفهم واقعي للحياة وللسعادة، مما يجعلها جديرة أن تدرس في المدارس والجامعات، أسوة بتتسيب الفلاسفة بتدريس الفلسفة لتحصيل السعادة وفهم الحياة، وتوصية اليونيسكو بذلك.³

دوافع لاختيار الموضوع وأهميته

والذي دفعني للكتابة حول الطريقة الشاذلية اليشرطية والشيخ اليشرطي، نقاط أحب أن أبرزها، متجنباً الدخول في تفاصيل الرسالة، أو تكرار النقاط المذكورة في المقدمة أو الخاتمة. وأهم هذه العوامل هي:

1* أن الشيخ علي نور الدين اليشرطي كان أحد شيوخ التصوف الذين هاجروا من دائرة التقليد، نحو مركزية التحديث.

2* أن جموع العلماء في البدايات، قد تحركت من المشرق إلى المغرب لنشر الدين الإسلامي، في حين قامت حركة سياحة⁴ صوفية معاكسة، اتجهت نحو المشرق لتنهل من منابع الإشعاع الثقافي والديني، ولزُتِّمًا كان في الحقيقة المنهل الصوفي، مما أحدث درجة عالية من التفاعل والتأثير بين

¹ القرآن الكريم، آل عمران، 3:74

² م. ن. سورة آل عمران 3:33

³ “UNESCO 33rd general conference session Paris 2005 recalling that philosophy is a discipline that encourages critical and independent thought, and is capable of working towards a better understanding of the world and promoting tolerance and peace recommended that philosophy be taught in schools and universities.

⁴ كلمة سياحة من المصطلحات الصوفية وتعني رحلات شيوخ الطرق وأبنائها في طلب العلم الروحي ونشر الطرق

صوفية المشرق وصوفية المغرب. وقد كانت هجرة المتصوفة من المغرب إلى المشرق في مراحل متأخرة (حوالي القرن الخامس الهجري وما بعده) في أغلبها هجرة من محيط دائرة العالم الإسلامي إلى المركز طلباً للعمق، في حين كانت الهجرة من المركز إلى المحيط تسبب التوسع والكثرة والانتشار.

3* في حين كان الشيخ علي نور الدين اليرشطي يقدم من خلال مدرسته، طروحات تحديثية توفيقية تستوعب عصره، وكان يهدف منها حل إشكالات الواقع الإسلامي برؤية معاصرة ملتزمة بالماضي. بينما المتابع للطرق الصوفية التي ظهرت في فلسطين في المشرق العربي، يجد العديد من شيوخ التصوف لم تتجاوز اجتهاداتهم مجرد إقامة حلقات الذكر، وإقامة الاحتفالات بالموالد والمواسم، كموسم النبي رويين وموسم النبي موسى¹. وبالتالي لم تتعد دعواتهم بضع مئات من البشر.

4* نظريته في وحدة الشهود المحمدي : فقد قدم الشيخ اليرشطي تصوراً جديداً للوجود في عالم التصوف، يمكن أن تكون نظرية فلسفية صوفية في الوجود، هي ما يمكن أن يطلق عليها، "نظرية وحدة الشهود المحمدي"، والتي نقلت اهتمام المريدين من التفكير بالتوحد مع الذات الإلهية، بمعنى ما سمي بوحدة الوجود، إلى هدف معرفي أكثر واقعية وإجرائية، هو التوحد مع الروح المحمدي، حيث قال الشيخ علي نور الدين اليرشطي: "أنا ما عندي إلا محمد، شهودي محمدي، وأكلي محمدي، وكُلِّي مُحمّدي".² وقد اتبّع في ذلك منطقاً فلسفياً، يصعد بالمريد، في حركة متدرجة، من الجزء إلى الكل، فقال: "أفنوا أنفسكم في شيخكم، وأفنوا شيخكم في محمد، وأفنوا محمداً في الله".³، ومن هذا المنطلق، فقد رأى الشيخ اليرشطي أن وصول الإنسان إلى التوحد مع الروح المحمدي، وليس مع المظهر المحمدي، ودخوله عالم الروح ليس مرتبة يصلها الإنسان ويستقر عندها، بل هو فاعلية إنسانية تصبغ العقل والحواس بصبغتها، وتؤدي إلى تغير جوهري في أدواته المعرفية (أي العقل والحواس) لينتقل العقل من كونه خلية ضيقة، إلى أن يصبح روحاً وسراً، وتترقى الحواس، "فتصبح يدُ

¹ Jong F. De, 'The Sufi orders in the Nineteenth and Twentieth Century Palestine', Studia Islamica, Published by: Maisonneuve & Larose 1983 pp 174-7

² اليرشطية، فاطمة، نفحات 222

³ م. ن. 678

الإنسان التي يبطن بها، أو عينه التي يرى بها، وقدمه التي يسعى بها، ما هي إلا يد الله أو عينه أوقدمه¹، مع التنزيه الكامل.

5* من جانب آخر ، فقد كان الشيخ البشريطي يرفض الانجراف وراء الغيبات والكرامات، ويدعو إلى التحقق بمقام حقيقة اليقين أو الثبوت، أي الاستمرار أو الثبات على اليقين، فقال : "لا تقل كرامات، لا نقل معرفة وتحقيق، أنا ما عندي إلا الثبوت"². لذا، كان يرى أن للعقل والإدراك قدرة على التحليق في عالم الروح إذا غلب عليهما العلم الإلهي، حسب قول الشيخ: " كل مولود يولد على الفطرة. ومنذ أن يطلق عليه الاسم ويدعى به تلبسه الخلقية. ولا يزال ينمو إلى أن يبلغ سن الرشد فيفرح أبواه. ولو عرفا قيود العقل لبكيا عليه؛ فالعقل عاقل أي تراكم الحجب. ولا يقدر على الخلاص من تلك الحجب إلا صاحب مرتبة نورانية محمدية.³ هناك يجتمع في الإنسان قوله تعالى: "هذان خصمان اختصموا في ربهم"⁴: المرتبة النورية المحمدية والمرتبة الإبلسية. الأولى تقول: ((شق هذا البرج واخرج إلى الفضاء)). وتقول الأخرى: ((إذا خرجت منه تموت)). فمن أطاع نفسه مات داخل البرج. ومن يطع المرتبة النورية المحمدية تسع (تسعى) لخلاصه من الهوى والشيطان فيخرج إلى الفضاء عيسويًا طيارًا من أهل النفخة"⁵.

وقد جمع الشيخ البشريطي بين الفلسفة والطرقية تأسيساً لاختصار المسافات، وتوحيداً لمنابع المعرفة والسلوك بما يخدم منظومة العلاقات داخل المجتمع الطريقي، وبما يخدم الصوفي كإنسان، فقال: "المعرفة والحقيقة أن تذكر الله بإخلاص، وتحب أذاك بإخلاص، وتطعم هذه اللقمة بإخلاص."⁶ فالمعرفة هي الذكر والمحبة وطرح الأنا، والمحبة والتخلق والتحلّي بالإخلاص. وهذا ما دفعه إلى الدعوة إلى الفاعلية في الحياة والعمل، وكراهة التعطل والعزلة، واهتم بالعلم والمظهر الاجتماعي. ومن

¹ حديث قدسي

² البشريطية، فاطمة، نفحات 1378

³ See Martin Lings, "What is Sufism" p. 32

⁴ القرآن، سورة الحج 22:19

⁵ البشريطية، فاطمة، نفحات 149 يشير بذلك إلى نفخ الروح في آدم، سورة الحجر: 15:29، والى نفخ الروح في عيسى، سورة الأنبياء 21:

91

⁶ م. ن. 16

هذا المنطلق، كان الشيخ يطلب من مریده أن لا يتعامل مع الوجود بمفهوم (العدمية في مقام الجمع)¹، فيضيع أحكام المراتب الوجودية، ويقصد بذلك مقام (البقاء بعد الفناء)، بمعنى: نقل أحوال المكاشفة والشهود والفناء إلى أرض البقاء والجماعة. إذ أن المرید الذي يجتهد في السير الصوفي حتى يصبح عارفاً متحققاً، عليه أن يعود إلى واقعه فيؤثر فيه ويتأثر به، انطلاقاً من بعدين: بُعد بشري يؤدي إلى معاني العبودية، وبعدٍ أحمدي يتفاعل فيه باطنه مع شهوده، فيجمع ويوحد، دون خلط. ونرى ذلك في قوله عن ابراهيم بن أدهم: "لو كان إبراهيم بن أدهم في زماننا هذا، لأعطيناه مقامه وهو جالس على كرسي مملكته، ولن نأذن له بتركها."²

6* قول الشيخ الیشرطي، بالتدلي المعرفي في مقابل الصعود الأخلاقي: حيث كان الشيخ يختصر المسافات بين المرید وبين المعرفة الإلهية، بإسقاط المقامات والمراتب التي تعارف عليها من سبقه من رجال التصوف ويجعل المعرفة التي يسعى الإنسان إليها في داخله. وهو بالمعنى الذي رسمه سُمُو بالشهود، حيث إن الشخصية المحمدية مكونة من شقين: إنساني يتطلب عملاً وأخلاقاً وتكاليف (وهذا هو الصعود)، ونوراني يتطلب من المرید عبودية وشفافية، وهذا هو التدلي.

7* إبتدع الشيخ الیشرطي نظرية (القابل والاستعداد) التي تعني أن إرادة الله تتجلى في الإنسان حسب ما يتهيأ له (للإنسان) بعقله وبقدراته البشرية، فقال: "الذي من الأزل من الأزل لا يتغير ولا يتبدل. والقضاء والقدر يدوران بحسب القابل والاستعداد"³. لقد استخدم هذه النظرية لتدعيم فكرته عن التدرج المعرفي، وتبرير تفاوت المستويات المعرفية الدينية ما بين أهل الشرائع أو أهل الإسلام أو أصحاب (علم اليقين)، وأهل الحقائق أو أهل الإیمان أو أصحاب (عين اليقين)، وأهل السرّ أو أهل

¹ المقامات هي المراحل المعول عليها في السير والسلوك ثلاث: مقام الفرق الأول وهو مقام أهل الحجاب، وهؤلاء يستدلون بالصنعة على الصانع. والثاني هو مقام الجمع وهو مقام من غرقوا في بحار الأحدية، ولم يشهدوا سوى ذات الله الأحدية، وهو مقام الفناء. والمقام الثالث هو مقام الفرق الثاني، وهو مقام المحققين الذين لا يرون الأكوان والأعيان إلا بعد مشاهدة الله تعالى. وهو مقام قول أبي بكر: ما رأيت شيئاً، إلا ورأيت الله قبله. رحلة إلى الحق، الطبعة الرابعة، 1997 ص ص 100-110

² الیشرطية، فاطمة، نحات، 432

³ م. ن. 938

(حق اليقين) أو أصحاب مقام الإحسان. فهو يقول : "الحكم للقابل، ولا ينتزل الفاعل إلا بحكم القابل، ولا يظهر إلا بحكم الغالب على مزاج الإنسان."¹

أما الصعودية، فقد برزت عندما وضع للطريقة "أربعة أركان تتسامى، هي: المحبة والذكر والفكر والتسليم."² فهذه الأركان تصعد بالإنسان من المحبة، وهي العاطفة التي تجمع كل الموجودات، وصولاً إلى مراتب أسمى ترقى بالمشاعر الإنسانية من الحب الطبيعي إلى الروحاني فالحب الإلهي. فإذا سما الإنسان إلى المحبة الإلهية ارتقى إلى ركن الذكر الذي يجمع كل المسلمين، فإذا واظب عليه وصل إلى ركن الفكر الذي يميز خاصة المؤمنين، حتى يصل إلى ركن التسليم الذي هو مقام الفناء أو الوصول.

8* نظريته في الوراثة الروحية : يؤمن الشيخ اليشرطي بأن الوارث كما أنه "يرث قلوب مردييه من عالم الأزل، فإنه يربيه على الطاعة والمحبة في عالم الشهادة. وفي عالم الشهادة هذا، أي في الواقع المشهود، يعطي المريد على قدر محبته واستعداده"³. ولا يقتصر دور الشيخ على الهداية والتعليم، فالشيخ هو الوارث المحمدي، وبالتالي، فهو نقطة ارتكاز الكون الروحاني. وهو في هذه المسألة يتكأ أمر التدرج في الاعتقاد والشهود لتدرجية المرديين المعرفية: "فمن شهد في شيخه أنه ولي أتاه المدد من الولاية، ومن شهد فيه الملائكية يأتيه المدد من الملائكية، ومن يعتقده مرشداً يأتيه المدد من الإرشاد."⁴ وضرب الشيخ مثلاً في صدق اعتقاد المريد بشيخه، مهما كان حال الشيخ نفسه، فقال: "كان في إحدى المدن شيخٌ ظاهره عامر، ولم يكن باطنه كظاهره. وكان له مرید صادق بالمشهد التام، ينام ويقوم بشيخه، ولا يقع نظره إلا عليه"^(٢). وذات يوم، اجتمع أهل الدائرة المكلفة بتدبير الكون لاختيار رجل من أهل الله يكون في الدائرة. وحينما اطلّوا على القوابل والأركان، لم يجدوا في الكون، من يليق لذلك المقام، غير ذلك المرید الصادق، من مشهده التام بشيخه، فنقلوه إلى ديوان السعادة.

¹ م. ن. 1124

² م. ن. 30

³ م. ن. 59

⁴ م. ن. 674

(٢) المرید الصادق هو الذي يفني حاله في شيخه، ويفني شيخه بمحمد، صلى الله عليه وسلم، ويكون دوماً بالمشهد التام، لا يقع نظره إلا على أنوار الحقيقة المحمدية.

وهناك، كُشف له الحجاب، واطَّلَع على القوابل والأركان، فوجد أن شيخه خارج الدائرة، وأنه ليس على شيء. وعندها تنزَّلَ المرید، وعطف على شيخه، وأعطاه الطريقة الشريفة، ونقله مما هو فيه، من خراب الباطن، إلى العمار الدائم ظاهراً باطناً. ثم قال الشيخ الشرطي تعليقا على المثال: نحن واصلون موصلون، ورجال في الشريعة، ورجال في الحقيقة، والكبراء تحت أقدامنا. ولكننا نريدكم أن تكونوا مثل هذا المرید الصادق الذي كان نظره كاملاً بشيخه.¹

9* نظرية مراتب الحق الخمس : كان الشيخ الشرطي يؤمن بأن الحضرة الإلهية واحدة ، لكن "الحق على خمس مراتب، بمعنى تجليات: ذات، وصفات، وأسماء، وأفعال، وأحكام."² وبالتالي، فقد كان يدعو للتمييز بين الذات الواحدة، وبين ما يلحق بها من صفات وأسماء وأفعال. فالذات لا تقبل نعتاً ولا صفة، لكنها تتحرك من خلال حركة الصفات التي تقبل الحدوث. لذا فهو يحصر مراتب الوجود بمرتين: مرتبة الألوهية، وفيها تندمج كافة مراتب الحق الخمس؛ والمرتبة المحمدية، وهي انعكاس مراتب الحق على صفحات الوجود. وفيها تندمج الولاية والوراثة، كما يندمج قابل الوجود بالاستعداد عند الخلق: " للحضرة المحمدية المباهاة بمرآتها الإلهية، ولها الانعكاس. تارةً يكون الحاكم على الصورة اسمه الباطن، والظاهر الحق. وتارةً يكون الحاكم على الصورة اسمه الظاهر، والباطن الخلق. وبالصورة الأولى، يكون حق ظَهَرَ بصورة خلق، فبدا {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} ⁽³⁾، وهو التعيين الأول الذي ظهر منه ما كان وما يكون."³

10* الجبر والاختيار: إن نظرية الشيخ في القابل المحمدي تعطينا مفهوماً محدداً لحرية الإنسان، فالقابل هو النورانية المحمدية، أو إرادة الخير الإلهية، التي انطبعت في القلوب.. لكن هذه الإرادة تعروها الحجب فتتطلب من المرید بذل الاستعداد، وفتح القابل للعودة بالنفس إلى مرجعيتها المحمدية، والعودة بالروح إلى أصلها النور. لذا يرى الشيخ أن إرادة الحق تستجيب لإرادة العبد. فمن أراد خيراً سُخر له، ومن أراد شراً هبئ له.

¹ م. ن. 525

² م. ن. 202

³ م. ن. 219

وفي دراسة فكر الشيخ اليرشطي وفلسفته، أدرس هذه الشخصية الصوفية، لألقي الضوء على شخصية فلسفية قامت باستثمار التراث الفكري والفلسفي في بناء مدرسة فكرية لها جانبان: جانبٌ فلسفي له منظومة فلسفية خاصة به تقوم على علمٍ كلامٍ ونظريةٍ معرفيةٍ، وجانبٌ اجتماعي (أخلاقي) له فلسفته الأخلاقية الخاصة به. وسواء كنت أتفق مع هذه الشخصية أم أختلف، فإن من الواجب الموضوعي أن أعرض لمثل هذه الفلسفات، التي نمت في أحضان فكرنا الإسلامي، وهي تعتبر امتداداً طبيعياً للفكر الصوفي الذي ظهر في القرنين الثاني والثالث الهجريين، والذي كان يسير بموازاة الفكر العقلاني أو المادي أو الفقهي ، ليشكل بنظرياته العمق الروحي للإسلام.

أهمية الدراسة

ليست الطريقة الشاذلية اليرشطية طريقة قديمة، فتحظى بدراسات وافية، وليست طريقة جديدة لم تظهر هي أو منهجها أو مسلكها للعيان، وإنما هي طريقة وسطية منشأً ومسلكاً، تجمع بين الشريعة والحقيقة مسلكاً، وهي وسطية المنشأ حتى لا نقول إنها حديثة المنشأ، فقد أسسها الشيخ علي نور الدين اليرشطي التونسي المغربي في مدينة عكا في فلسطين عندما وصل إليها سنة 1850، كما سألين بشيء من التفصيل خلال البحث في السيرة. وأهميتها أنها طريقة عصرية تطويرية تتماهى مع العصور في ظروفها الاجتماعية والمعيشية والفكرية. فكما كان شيخها المؤسس يلبس الدربالة ويذهب الى الكتاب ليتعلم القراءة والكتابة والحساب، وأخذ العلوم الشرعية والدينية في جامعة الزيتونة، فإن الشيخ القائم، وهو الشيخ الرابع في الطريقة الشيخ أحمد محمد (الهادي) اليرشطي، قد درس الى جانب العلوم الشرعية، القانون في جامعة القاهرة بمصر، والعلوم الادارية في الجامعة الأمريكية ببيروت في لبنان، وعمل في المحاماة قبل تسلمه مرتبة المشيخة في الطريقة. كما أن الشيخ اللاحق، الدكتور علي اليرشطي الذي عهد اليه والده، الشيخ القائم، أمر الطريقة، وقد شهد له أبناء الطريقة الفقراء بالبيعة، يحمل شهادة الدكتوراة في العلوم الفيروسية الدقيقة من جامعة سيراكوز الأمريكية، وتقلد التدريس في كرسي الكيمياء في إحدى الجامعات الاردنية، ويقوم حالياً بالأبحاث العلمية الدقيقة، مع مشاركته في إدارة شؤون الطريقة.

وإننا في أيامنا هذه، نعيش واقعا في فترة من أعصب الفترات التي مرت على شعوبنا، والتي تعيش تحت وطأتها أممنا العربية والإسلامية، تُنازعنا فيها الخلافات والانشقاقات؛ " ونحن كثيرٌ، ولكن كغناء

السيل، تجمعت عليها الأمم كما تتجمع على قصعة"، ونعيش فترة يصدق فيها قول رسول الله: الهرج ، الهرج، قيل يا رسول الله: ما الهرج! قال: القتل، لا يدري القاتل لماذا قتل، ولا المقتول فيم قتل.¹ نعيش فترة فقدنا فيها مقومات الأخلاق والمحبة ومفهوم التعامل والتعايش وتقبل الآخر. وأصبحنا في حاجة ملحة الى تربية أخلاقية، تنتشر الأخلاق الحميدة، وتبث روح المحبة والإيثار والأخوة الصادقة بين الناس.

وهذا التعامل والتكافل والوسعة والمحبة، هو ما لمست² بين أبناء الطريقة في تعاملهم فيما بينهم، وفي تعاملهم مع مجتمعاتهم أينما وجدوا، سواء في البلاد العربية، او في المجتمعات الغربية في أوروبا وأمريكا وكندا والبرازيل، في مصالحتهم الخاصة، وفي شتى مجالات أعمالهم في المجتمع الذي يعيشون فيه، تربية صوفية روحية وعملية، تتحلى بالأخلاق المحمدية.

والتربية في الطريقة تبدأ مع الطفل في أسرته³، وفي الحياة الاجتماعية في مجتمع الطريقة، وفي زوايا الطريقة في لقاءاتهم اليومية والدورية. فالآباء يصحبون أبناءهم إلى الزاوية⁴، ترى منهم عجا؛ تخشع أصواتهم "فلا تسمع إلا همسا"⁵، وترى طفلاً يسلم على الشيخ ويرجع القهقري، لا يدير ظهره لشيخه أباً وذوقاً وتربية، كبيرهم يحب صغيرهم وصغيرهم يوقر كبيرهم.

فالطريقة كما رأيتها مدرسة في الأخلاق والتربية والمحبة في الله. وفوق ذلك وقبله هي مدرسة للعلم بالله في الله؛ والعلم بالله هو معرفة الوجود، ومعنى وجودنا في هذه الحياة، ومعرفة المسيرة التي تحقق للمجتمع والإنسانية الحياة السعيدة التي أَرادها الله للخلق. والمتصوفة هم الذين عرفوا معنى الآية: " ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى."⁶ وهذه المعرفة هي السعادة، وهي الطريق إلى السعادة، التي رآها أفلاطون

¹ متفق عليه ، رواه البخاري ومسلم

² عملت كمهندس ادارة وتنفيذ مباني الزاوية البشريطية بعمان، وشاركت في الإشراف على إعمار الزوايا في دمشق وبيروت وفي بلدة كامد اللوز في البقاع اللبناني

³ انظر الملحق: واجب مدرسي تشرح فيه الطفلة جود فارس(5 سنوات) حبها للشيخ(حضرة سيدنا) وتذهب للزاوية لتصلي لشافته من جلطة،

كما يصلي الشيخ لنا عندما نمرض. وكلمة الصلاة عندهم بالانجليزية تعني الدعاء

⁴ الزاوية هي مكان تجمع أبناء الطريقة لإقامة الشعائر، وقد أفردت لها بابا خاصا في هذا البحث

⁵ القرآن، سورة طه، 20:108

⁶ القرآن الكريم سورة طه 20:2

في الفلسفة، ووجدها المتصوفة في التصوف، والذي هو فلسفة واقعية مُعاشة في الحياة. والطريقة الشاذلية اليشرطية مدرسة رأت أهمية التربية الطريقية المبنية على فلسفة روحية وعملية جماعية تطبيقية يومية دائمة، تحقق للفرد وللمجتمع المعرفة والسعادة، شعار المرید فيها: " صِدْقُ حُبِّي رَأْسُ مَالِي، والذي بعده نوافل".¹

وتتجلى المحبة في الطريقة، في أسمى مظاهرها في محبة الشيخ. فمن أهم أركان الطريقة محبة الشيخ، فتتوحد محبة الفقراء في الشيخ؛ " الطريقة ذكر الله ومحبة الشيخ".² أذكر هذا الموضوع في هذه المقدمة لأبين أهمية المحبة في التوحيد، وفي توحيد النظرة الصوفية، وأيضا في دراساتهم العقلية والكلامية إثبات الواحد وضرورة وجوده، أو أن الكون انبثق عن واحد، أو أن الذي خلقه واحد، وأن المحبة والأخوة، كما يقول الفلاسفة³، هما السبيل الى تصفية النفس للوصول الى التوحيد والى حصول السعادة.

ولما كانت الطريقة سنية محمدية ، فكما تجلت المحبة العامة للرسول، حين وصل الرسول الكريم في هجرته الي يثرب، يوم الاثنين 12 ربيع الأول الموافق 17 حزيران سنة 622 ميلادية، واستقبله المهاجرون السابقون، والأنصار عند ثنيت الوداع ينشدون فرحين بقدمه:

طلع البدر علينا من ثنيت الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع
جئت شرفت المدينة مرحبا يا خير داع

وتجلت المحبة في قول عمر بن الخطاب للرسول: "والله إني أحبك أكثر من أهلي ومالي وولدي! فقال الرسول: ومن نفسك؟ قال عمر: ومن نفسي: قال: الآن صدقت"⁴. وكما ورد في الحديث : "يحشر

¹ قالها لي مباشرة شفاهها حضرة الشيخ محمد الهادي اليشرطي قبيل انتقاله

² اليشرطية، فاطمة، نفاتح 3

³ Al Sh'aār, Nuha, Ethics in Islam, Freindship in Political thought of Al-Tawhīdī and his Conteporaries,

ch.5 Friendship and Love as Paths to Spiritual Perfection, Routledge, 2015, pp. 196-219

⁴ خرج البخاري في "صحيحه"

المرء مع من أحب.¹ فكذلك تجلت المحبة في الطريقة، وكما رأيتها تتجلى كل آن، وكما تجلت حين التقى أبناء فلسطين المحتلة من يافا وعكا وغزة، بشيخهم الشيخ أحمد اليشرطي، الذي لم يعرفوه ولم يروه، وذلك عندما أتوا لزيارته في عمان لأول مرة. وتجلت لما جاء أبناء الطريقة التي تربوا عليها، من البرازيل وكندا لزيارة شيخهم، وقد تعلقت قلوبهم وأرواحهم بشيخهم قبل أن يعرفوه ظاهراً، وإن كانوا كما يقولون قد عرفوه باطنا في عالم الذر والأرواح، قبل أن يخلقوا ويأتوا إلى عالم الخلق والظهور، كما قال شاعرهم:

من حين قالوا: "بلى"² قد كنت أعرفهم ونشأتني فيهم من قبل عرفاني³
ومظهري كان فيهم قبل ما ظهرت سرائر الكون سراً دون إعلان
يراهم ناظري في كل لائحة وإن سألت فؤادي قال سكاني
لو أشمموا نفع كأسى للورى سكروا وما قضى الشرع في حدِّ لسكران

الهدف من البحث

الإنسان روح وعقل وفكر، والصوفي، كما الفيلسوف، يبحث عن الحقيقة، ولكن كلَّ بطريقته. الصوفي يبحث عن (الحق) بطريقته بعقله وفكره ووجدانه وكشفه وإلهامه. والفلاسفة يبحثون بطريقتهم، بعقلهم وهي طريقة مفروضة شرعا لذوي العقول بعقلهم⁴، كما بين ابن رشد (1126 - 1198م) في كتابه:

¹ روى البخارى ومسلم عن ابن مسعود - قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المرء مع من أحب.

² يشير إلى آية الميثاق: سورة الأعراف، 7:172 "وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم، قالوا بلى"

³ عبد القادر الحمصي شاعر الطريقة في القرن التاسع عشر، يشير إلى آية المبايعه في عالم الأرواح

⁴ ابن رشد، أبو الوليد، محمد بن أحمد، "فصل المقال وتقرير ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال"، تقديم وتعليق ألبير منصور نادر، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية ط 2، ص 27

فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال". فالفلاسفة يبحثون عن المبدع الأول في الإلهيات ليثبتوا وجوده وضروره وجوده. والصوفيون يبحثون عن (الحق) في شؤونه¹، ليتحققوا حقا في حقيقة ما يعبدون فيعرفونه حقا، ويعيشون نفحات المعرفة ويعبرون عنها من وجدانهم، فينتبثق هذا الوجدان كلمات. قد تكلم هذه الكلمات عن التعبير عن هذا الوجدان فتنتبثق شطحات حلاجية أو بسطامية²، أو شعراً وهذا ما أقدمه لاحقا في البحث في أشعار أبناء الطريقة؛ قد يكون الشعر كلاماً موزوناً أو غير موزون، مقفىً أو غير مقفى، تختلط فيه العامية بالفصحى، ولكنه في غاية الأمر يعبر عن شعور كابده الشاعر وعاناه وتفانى فيه. ولم يقل ما قال إلا بعد أن ذاق، ولأنه لما ذاق عرف، كما يقول الصوفية: من ذاق عرف.. والذوق يكون عن مكابدة، كما قال الشيخ اليرشطي: "أهل الله هم الذين طلبوا اسم (القهار) ينتزل على وجودهم، ليكون الاسم عندهم ذوقاً، لا علماً."³

والهدف من البحث هو إبراز التصوف عموماً، والطريقة الشاذلية اليرشطية خصوصاً، سبيلاً للمعرفة بالوجود، وفي المحبة والتربية والأخلاق منهاجاً وروحاً، وأن التصوف بالتربية والمحبة والأخوة والأخلاق هو منهج السعادة في هذه الدنيا. فمثلما "وجد الفارابي أن السعادة هي في الفلسفة، وأجزائها ومراتب أجزائها من أولها إلى آخرها، وفي المنطلق الذي انطلق منه أفلاطون، في فحسه عن "كمال الإنسان من حيث هو إنسان، وأي شيء من الأشياء التي توجد للإنسان ويصير بها مغبوطاً، فوجدته في الفلسفة."⁴ وفلسفة التصوف عموماً وفلسفة الطريقة الشاذلية خصوصاً، تحقق لمن يسلكها قلباً وقالباً، ظاهراً وباطناً، تحقق السعادة والغبطة، مهما كانت الأجواء المحيطة بهم، كما قال الشيخ اليرشطي: "الخلق في الحشر والنشر والشيخ وجماعته في العزومة."⁵

¹ انظر في حديث الشيخ أحمد اليرشطي لاحقا في تعليقه على تعريفات التصوف

² نسبة الى الحسين بن منصور الحلاج(858-922)، وإلى أبي يزيد البسطامي (804-875)، من كبار الصوفيين العارفين . وللمناسبة أذكر أن اهتمامي بالتصوف كان مبكراً سنة 1955 أثناء دراسة موضوع الفكر الإسلامي في الصف الجامعي الأول في "مدرسة الفرندز للصبيان" الأمريكية في رام الله بفلسطين. وأخذت أتفكر في معاني الحلاج بقوله "أنا الحق"، وفي قوله "ما في الجبة إلا الله. ويقول أبي يزيد " سبحاني ما أعظم شاني" وقوله المشهور " لا إله إلا أنا فاعبدون".

³ اليرشطية، فاطمة، نفحات 250

⁴ بدوي، عبد الرحمن، "فلسفة أفلاطون وأجزاؤها ومراتب أجزائها من أولها إلى آخرها لأبي نصر الفارابي عن مخطوط أيا صوفيا رقم 4833

ورقة 1 ب-9 ب

⁵ اليرشطية، فاطمة، نفحات 21

ويهدف البحث إلى عرض أهداف الطريقة الشاذلية اليشرطية، التي أسسها وأرسى قواعدها الشيخ علي نور الدين اليشرطي، كطريقة صوفية معرفية فلسفية اجتماعية أخلاقية، تسعى لبناء مجتمع عامل يرفض التواكل ويدعو إلى الاجتهاد والإخلاص في العمل والمعاملة. وينعم بالعيش المشترك، سُداه المحبة والإخاء والتسامح، ولُحْمَتَه¹ الأخلاق المحمدية الكريمة. وذلك من خلال أقوال الشيخ اليشرطي التي عرض فيها الهدف وهو المعرفة والوصول، وعرض فيها الوسيلة التي توصل للهدف، وهي تربية المريـد على المحبة والإخاء وتنزع منه الشوائب، وتزرع فيه الأخلاق الفاضلة حتى تصبح غرسا كامنا وشيمة ظاهرة في الفقير. ومن خلال الكم الزاخر من أشعار الطريقة، ومن أهمها القصيدة التي تتحدث عن فضل الشيخ على الفقراء، وفي فضل الصحبة، التي قال فيها الشيخ عبد القادر الحمصي²:

يا ندامى! كل من بِصَحْبُنَا ما عليه باس

نحن سكرى والهوى مذهبنا والطلا والكاس

سار في بحر الصفا مركبنا ريحُه الأنفاس

ليس يدري في الهوى مشرينا غيرُ ذي القلبِ

ويتداول أبناء الطريقة رواية مفادها أن الشاعر السوري الكبير عمر أبو ريشة³ عندما سمع هذين البيتين قال: لو أنني قلت هذين البيتين لكفاني.

منهج الدراسة

ولما كان الهدف من البحث هو إظهار الطريقة الشاذلية اليشرطية منوها في الحياة يحقق السعادة الدنيوية والأخروية، وسبيلا لتحقيق العدالة والمحبة والسلام، قمت باستعراض المصادر الأولية الرئيسة للطريقة الشاذلية اليشرطية" والاطلاع على مضامينها، واستخراج ما توصلت إليه في هذا

¹ خيوط النسيج هي "السدى" فوق وتحت خيوط "اللحمة" وعلى أساس كل فتلة بحركة عكسية للمجاورة.

² راجع تفاصيل الواقعة في فصل الشعر من هذا البحث

³ عمر أبو ريشة (1910-1990) من كبار شعراء العرب، عمل سفيرا لسوريا في عدد من البلدان، وهو ابن أخت الشيخ محمد الهادي اليشرطي

المجال من البحث. وأهم هذه المصادر هي مؤلفات السيدة فاطمة اليرشوطية الحسنيّة. ورأيت أنه وبحكم كون السيدة فاطمة اليرشوطية هي ابنة الشيخ اليرشوطي، فإن كتبها تتميز بطابع من التعظيم والتقدير لشخصية الوالد الشيخ، مما جعلني أنعم النظر في المصادر الخارجية، وأعني بذلك مؤلفات غير أبناء الطريقة وأبحاثهم، منهم فان إس.، وف. د. يونغ، وسبنسر ترمينغهام، لأوازن بين الأمور. وأثناء الدراسة، بل وحتى في بدايتها، لفت نظري حديثٌ للشيخ علي نور الدين اليرشوطي، في كتاب نفحات الحق، يقول فيه: "الطريق طريقتنا، والنور نورنا، إن شئنا نمده للفقير، وإن شئنا نطويه عنه".¹ هذا الحديث، حدد منهج البحث، فمن حيث أن الشيخ هو مؤسس الطريقة وأن الطريقة طريقتة، كان من الأهمية بعد الكتابة في الفصل الأول عن التصوف وتعريفه ونشأته، أن أفرد الفصل الثاني من البحث لسيرة الشيخ المؤسس: مولده ونشأته، والبيئة التي أحاطت به وكونت شخصيته، فكان لها الأثر في ميله للتصوف، وانتسابه للطريقة الشاذلية المدنية وهي من سلسلة الطريقة الشاذلية التي تعود بنسبها الروحي إلى الرسول، صلى الله عليه وسلم، والتي ورث قطبانيتها بعد انتقال شيخه محمد حمزة ظافر المدني، إلى أن استقل بطريقتة التي حملت إسمه، وسميت الطريقة الشاذلية اليرشوطية. وفي الفصل الثالث بينت أحكام الطريقة والتعرف عليها في مقابلة مع شيخ الطريقة القائم، الشيخ أحمد محمد الهادي اليرشوطي. وعرضت في ذلك الفصل طريقة الانتساب إلى الطريقة والمبايعة عليها، وأورادها، وفلسفة الطريقة في التربية، ونظرتها في الوجود وفي النفس، وفي المعرفة وفي التوحيد. وأخيراً ونظراً لأهمية أشعار أهل الطريقة ومواجيدهم، وكنت قد استعرضت سفر "اللطائف الروحية لأبناء الطريقة الشاذلية اليرشوطية" (بيروت مطبعة الانصاف، د.ت.) والذي يضم أشعار أبناء الطريقة منذ نشأتها وحتى أوائل عصر الشيخ محمد الهادي اليرشوطي، فقد رأيت أن أخصص الفصل الرابع لأشعار علماء الطريقة، والتي تشرح أحوال المحبة والأخوة، وأحكام الطريق وأركانها، والفهم الصوفي لأحكام الشريعة وعلاقتها بأحكام الشريعة.

¹ اليرشوطية، فاطمة، نفحات الحق، ط 4، د. م. د. ن. 1997، حديث رقم 8

1 الفصل الأول: التصوف الإسلامي: ماهيته وأصل تسميته ونشأته وتطوره

1.1 ماهية التصوف وتعريفه

تقول أنيماري شيميل¹: " ظهرت في السنوات الأخيرة كتب عديدة تبحث في التصوف، وفي الجانب الروحي في الإسلام. ولمس كل واحد من هذه الدراسات جانباً منه مختلفاً عن الآخر، حيث أن لهذه الظاهرة جوانب متعددة يُقَصَّرُ عنها الحصرُ، لدرجة تجعل محاولة تعريف مصطلح التصوف مغامرة تجعل الدارسين يحجمون عن محاولة وضع تعريف شامل للتصوف. ومثلُّهم في ذلك كمثل العميان في رواية الرومي الشهيرة، حيث أمسك كل واحد منهم طرفاً من الفيل، فوصفه بحسب الطرف الذي تلمسه من الفيل. "² وأنيماري لم تأت بجديد في قولها هذا، فالتصوف له تعريفات كثيرة، كُلُّ من الناحية التي ينظر فيها أو منها إلى التصوف. ويقول قاسم غني في كتابه " تاريخ التصوف في الإسلام": " غالباً ما نرى في كتابات المستشرقين أنهم قالوا إن التصوف ليس مذهباً بالمعنى اللغوي للكلمة، بمعنى أن تدوين معتقدات الصوفية أمر عسير. "³ وتمضي أنيماري شيميل إلى القول: " لقد دُعِيَ التصوف بأنه التيار الروحي المنير العابر لجميع الأديان. وبالمعنى الواسع له من الممكن أن نعرفه بأنه "وعي الحقيقة الواحدة" ، سواء سميت فلسفة، أو تنويراً، أو محبة، أو لا شيء على الإطلاق. وهذه الحقيقة لا تدرك أو تفسر بأي وسيلة من وسائل الإحساس، فلا الفلسفة ولا العقل يستطيع كشفها، بل إن السالك يسري ويعرج إلى رحابها بنور باطني."⁴

ويقول أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي، (ت 378هـ / 988م)، في مقدمة كتابه "اللمع": "واعلم أنه في زماننا هذا، قد كثُر الخائضون في علوم هذه الطائفة، وقد كثُر المتشبهون بأهل التصوف، وكل واحد منهم يضيف إلى نفسه كتاباً قد زخره، وكلاماً قد أَلَّفَه، وليس بمستحسن منهم ذلك. لأن الأوائل والمشايخ الذين تكلموا في هذه المسائل، وأشاروا إلى هذه الإشارات، ونطقوا بهذه

¹ أنيماري شيميل (1922-2003) مستشرقة المانية لها مؤلفات كثيرة في الإسلام والتصوف

² Schimmel, Annemarie, *Mystical Dimensions of Islam*, The University of North Carolina Press, Chapel Hill, 1975, p.3

³ غني، قاسم، تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمه عن الفارسية صادق نشأت، مكتبة النهضة المصرية 1970 ص 9

⁴ شيميل، أنيماري، "الأبعاد (الميستيكية mystical dimentions) للإسلام" ص 4

الحِكم، إنما تكلموا بعد قطع العلائق، وإماتة النفوس بالمجاهدات والرياضات والمنازلات والوجد والاحتراق، والمبادرة قطع كل علاقة تقطعهم عن الله طرفة عين، وقاموا بشرط العلم، ثم عملوا به، ثم تحققوا في العمل فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل.¹

من هذه الاقتباسات، نتبين أولاً أنه من الصعب أن نجد تعريفاً شاملاً للتصوف لتعدد الوجوه التي يُنظر إليه منها، وثانياً أن تدوين معتقدات الصوفية أمرٌ عسير، وثالثاً أن من يريد أن يكتب أو يتكلم في التصوف دون أن يكابد أحوال المتصوفين ومنازلاتهم هو، "كالذي قال: آه ما أطيّب كرابيح حلب! فلما سألوه وهل أكلت منها، قال: لا، ولكن معلمي رأى من أكل منها." بالإضافة إلى أن كتابات مشايخ التصوف لا يعقلها إلا أهلها، بل قد ينكرها غير أهلها.. والتصوف هو العلم الذي قال فيه أبو حامد الغزالي إنه العلم "المضنون به على غير أهله"². فعلمهم مقتصر على أهلها، محفوظة في الصدور، مضنون بها على غير أهلها. ويقول الشيخ محمود أبو الشامات الدمشقي الشاذلي اليرشطي (1266-1344)³، في كتابه "الإلهامات الإلهية على الوظيفة الشاذلية اليرشطية: "ومبنى هذا الطريق على التسليم والتصديق، حتى قال بعض السادة القادة: لا يبلغ الإنسان درجة الحقيقة، حتى يشهد فيه ألفُ صِدِّيقٍ أنه زنديق". وفي معنى قريبٍ من هذا يقول الشريف الرضي حفيد الإمام علي بن أبي طالب:

إني لأكتّم من علمي جواهره كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا

وقد تقدم في هذا أبو حَسَنٍ إلى الحسين ووصى قبله الحسن

يا زُبَّ جوهرِ علمٍ لو أبوح به لقبل لي أنت ممن يعبد الوُثنا

ولاستحل رجالٌ مسلمون دمي⁴ يزرون أقبح ما (يأتوا)¹ به حسناً²

¹ الطوسي، أبو نصر السراج، "اللمع" تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر، 1960 ص ص 19-20

² الغوالي، أبو حامد، "كتاب المضنون به على غير أهله" طبع في القاهرة سنة 1303 هـ، وسنة 1367 هـ (مطبعة صبيح)،

³ الشيخ محمود ابن محيي الدين مصطفى، الملقب ابو الشامات، من كبار علماء دمشق، أخذ الطريقة عن الشيخ علي نور الدين اليرشطي الذي عينه مقدماً، أي مسؤولاً عن أبناء الطريقة في دمشق. وقد كلفه الشيخ علي نور الدين بالسفر إلى استانبول سفيراً له عند السلطان عبد الحميد الثاني

⁴ يشير هنا إلى قول علي بن أبي طالب: "ويرويه أيضاً أبو هريرة: "أخذت عن رسول الله علمين: أما أحدهما فبئنته، وأما الآخر فلو بئنته

لقطعتم مني هذا الحلقوم". رواه البخاري رقم 120

أما قاسم غني (1898-1952)³، فيرى "أن التصوف، هو طريقة يمتزج الدين فيها بالفلسفة". ويعارضه في هذا الرأي، من حيث امتزاج الدين بالفلسفة، صادق نشأت، مترجم كتاب قاسم غني، "تاريخ التصوف في الإسلام"، ومراجعوه د. أحمد ناجي القيسي، والدكتور محمد مصطفى حلمي، مستندين إلى قول الجنيد البغدادي، شيخ الطائفة حيث يقول: "علمنا هذا مشيد على الكتاب والسنة"، ينفون فيها ما يعتبر تهمة للتصوف بعلاقته بالفلسفة، فيقولان، وأعني المترجمين: "فالتصوف قائم على الدين الخالص، وفي الصوفية من هم أميون لا يعرفون فلسفة ولا منطقاً أرسطياً."⁴ وهذا صحيح ولكن ذلك لا يُعْرَضُ بكون التصوف فلسفة.

وكثير من مشايخ الصوفية وغيرهم قد كتب في التصوف وتعريفه. فمشايخه عددوا مناقبه وسنده من الكتاب والسنة. وأما غيرهم، فمنهم من كان مع التصوف، ومنهم من هاجمه وعده بدعة، ومنهم من وقف منه موقف المحايد الناقد. "وكثير أيضاً من مشايخ سلسلة الطريقة الشاذلية اليشرطية قد ألفوا كتباً في التصوف تعد مرجعاً في فهم حقيقة الشريعة وعلاقتها بالحقيقة، منهم على سبيل المثال لا الحصر، أحمد بن عطاء الله السكندري في كتابه "لطائف المنن في مناقب أبي الحسن"، وفي كتابه "الحكم العطائية"، وكتابه "التنوير في إسقاط التدبير". ومنهم الشيخ أحمد زروق في كتابه "قواعد التصوف"⁵. وقد امتنع بعض المشايخ وعلماء التصوف عن الكتابة فيه، ومن هؤلاء مؤسس الطريقة الشاذلية اليشرطية، الشيخ علي نور الدين اليشرطي فهو لم يضع كتباً أو مؤلفات، وقد سُئِلَ مرة لماذا لا يؤلف كتاباً في علم التصوف، فكثير من السادة الصوفية ألفوا كتباً فيه، فقال: "هذه البشرية فيها سرّ الربوبية، لا تُنْقَشُ بالأوراق. السادة الصوفية وضعوها بالسطور. ونحن نضعها في الصدور. والذي يأتيها نضعه في قلوب الفقراء."⁶ ويؤكد الشيخ اليشرطي هذه النظرة، ويجمل تعريفه للتصوف في قولين، وهما في

¹ جاءت كلمة "يأتون" بهذه الصيغة، ربما، لضرورة الشعر، وهي من ناحية الإعراب "يأتون"

² أبو الشامات، محمود، الإلهامات الإلهية، طبعة 3، 1980، ص 3

³ قاسم غني، طبيب سياسي، مولود في سبزوار في إيران، حضر حلقات الفيلسوف ملاهادي السبزواري، أكمل دراسته الثانوية في طهران، ودرس الطب في بيروت، امتحن الطب وعمل في تدريس الطب في الكلية الطبية بطهران. امتحن السياسة وانتخب نائباً لعدة دورات في البرلمان، وعين وزيراً للصحة والمعارف، وسفيراً لإيران في تركيا. ترجم ثلاث كتباً لانتول فرانس، وكتب في الصوف.

⁴ غني، قاسم، تاريخ الفلسفة في الإسلام ص 13

⁵ راجع الملحق في مؤلفات مشايخ الطريقة الشاذلية

⁶ اليشرطية، فاطمة. نفاحات الحق حديث رقم 408

حقيقتها معنىً واحدٌ، وهو الإخلاص، أي إخلاص القلب في الفكر والعمل. فمرة رأى " الشيخ إسماعيل الخطيب الطوباسي، وهو من أبناء الطريقة الشاذلية اليشرطية، يمسك بيده كتاباً يقرأه، فسأله : ما هذا الكتاب؟! قال: كتاب (المعرفة). فأجابه: تعال، لأقول لك ماهية المعرفة. المعرفة والحقيقة أن تذكر الله بإخلاص، وتحب أخاك بإخلاص، وتطعم هذه اللقمة بإخلاص"¹. وإذا كان الهدف من التصوف هو الوصول، فقد دلَّ الشيخُ علي نور الدين اليشرطي مردييه إلى طريق الوصول ووضعهم عليه، فقال: "من جملة النفل الموصل إلى المقام المحمود إن وجدت أخاك جوعانَ فأطعمه، وإن وجدته عرباناً فأكسبه، وإن لم يكن معه شيئٌ فأعطه."² والمقام المحمود هو مقام معرفة الحق، وهو الغاية من الطريقة. ومن جملة تعريف التصوف بتعريفه للطريقة، قال الشيخ علي نور الدين اليشرطي: " الطريقة هي الكتاب والسنة. وقال: الطريق كلها آداب."³

ومن تعريفات التصوف التي ذكرها أبو نصر الطوسي في كتاب اللمع⁴ : " سئل محمد بن علي القصاب، وهو أستاذ الجنيد، عن التصوف فقال: "أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام." وسئل الجنيد فقال: " التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة." وفي هذا المعنى، أي أن لا تكون للمريد علاقات نفسية تشغله عن (الحق)⁵، يقول شاعر الطريقة الشاذلية اليشرطية، الشيخ عبد القادر الحمصي،⁶ في مبدأ ترك الشواغل:

يا خَلِيَّ خَلِّ الشواغِلِ وانهض إلى باب الكامل

وافتح جميع القوابل تهدي إلى الفرق الثاني

فاخلع رداء الوجود واللبس ثياب الحدود

¹ م. ن. 16

² م. ن. 17

³ م. ن. 1 -

⁴ الطوسي "أبو نصر السراج، "اللمع" ص 45

⁵ كلمة الحق بين قوسين هكذا (الحق) تعني الله سبحانه وتعالى

⁶ عبد القادر الحمصي هو شاعر الطريقة في عصر الشيخ المؤسس علي نور الدين، وشاعرها في كل العصور، وقد أفردت له بابا في فصل الشعر في الطريقة الشاذلية اليشرطية

واقراً كتاب الودود واصنغ لِسْمِعِ رِبانِي¹

وسئل رويم بن أحمد عن التصوف فقال: " استرسال النفس مع الله على ما يريده. " ومعناه القبول بتجليات الحق من جمال أو جلال، والتسليم بما ينتزل منه. والتسليم هو ركن من أركان الطريقة اليشريطية الأربعة وهي: المحبة والذكر والفكر والتسليم. وسئل أبو محمد الجريري عن التصوف فقال: " أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى في الوقت. " ولذلك يقال: الفقير ابن وقته.²

2.1 أصل التسمية واشتقاقها

وكما تباينت تعريفات التصوف، فقد اختلف في أصل التسمية واشتقاقها، وأبلغ ما قيل في التسمية هو ما ذكره أبو نصر، السراج الطوسي في كتابه "اللمع"، حيث قال: " لم تُنسب الصوفية الى حال أو علم، كما يُنسب أهل الحديث الى الحديث، وأهل الفقه الى الفقه. ويعلل ذلك فيقول: " لأن الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون علم، ولم يترسموا برسم من الأحوال أو المقامات دون رسم. وذلك لأنهم معدن جميع العلوم، ومحل جميع الأحوال المحمودة، والأخلاق الشريفة. وهم مع الله في الانتقال من حال الى حال، مستجلبين للزيادة. فلذا ما نسبتهم لحال دون حال، ولا أضفتهم لعلم دون علم. " وبضاهي هذا النعت قول الشاعر نصوح الجابري الحلبي الشاذلي اليشريطي، في تقلبهم في الأحوال:

نحن كالبرق الزوال ، ما لنا قول وحال * فاستمع ترّ الجبال ، سحبها لم

تجمد

سرعة الدور سكون ، شدة الكشف ظنون * ليت قومي يعلمون ، هل ترى من أحد³

فرأى الطوسي أن ينسبهم الى ظاهر لباسهم، وهوليس الصوف حيث "أن لبس الصوف كان دأب الأنبياء والصديقين، وشعار المتسكين."⁴ ولكنه في نسبته، هذه لهم إلى لباسهم، كان وصفه سطحياً ظاهرياً. وقيل في اشتقاقها، إنها مشتقة من الصوفة، لأن الصوفي مع الله كالصوفة المطروحة في

¹ الحمصي، عبد القادر، اللطائف الروحية لأبناء الطريقة الشاذلية اليشريطية، ص 39

² الطوسي، ابو نصر السراج، اللمع ص 45

³ الجابري، نصوح، اللطائف الروحية ص 195

⁴ الطوسي، أبو نصر السراج، اللمع ص 41

الهواء. وقيل إنها من صُفَّة المسجد النبوي الشريف التي كان الرسول يجتمع فيها مع الصحابة. وقيل إنه من الصُّفَّة لاتصافهم بالمحامد. وقيل إنه مشتق من كلمة الصفاء، أو من كونهم في الصف الأول. ومن قائل إن رجلاً أعرابياً إسمه صوفي، كان يزور الكعبة في الجاهلية، نُسبوا إليه فسموا صوفيين. ومنهم من قال إن حرفي الألف واللام في كلمة الصوفي، ليست ألف التعريف، بل هي إسم موصول بمعنى الذي، فتكون كلمة الصوفي تعني: "الإنسان الذي صوفي فهو صوفي".

وأنا أرى أن كلمة "التصوف" هي على نَسَقِ كلمة "التشوّف"، وهو "شوق دائم وتشوّفٌ"، أي حنين عاشق إلى المعرفة وإلى رؤية الحبيب. "وهو ما قد عبر عنه الشيخ عبد القادر الحمصي الشاذلي الشرطي:

ما تعشقت سواه إذ تحققت هواه يا مريد الله: ها هو لك من حبل
الوريد

نحن لله أواني عند أرياب التداني ما غدا في الكون ثاني من قريب أو
بعيد

قال سري قلت كاتم قال أمري قلت لازم قال قولي قلت حاكم فيك يا عز وجودي

قال حدث أنت منا ما تشا في القول عنا وعلينا فتمنى تلك جنات الخلود

قلت موتي في هواك هل لعيني أن تراك قال ما ثمّ سواك أنت خلقي في شهودي¹

فالفقيه ابن الطريق المحب هو في تشوّفٍ وتطلّعٍ وشوق دائم للقاء (الحق)، وفي سعي دائم للوصول والوقوف في رحابه. فالتصوف، في رأبي الشخصي، هو تشوّفٌ قُلبت فيه "الشين" "صادا" فصار تصوفاً.

¹ الحمصي، عبد القادر، اللطائف الروحية، ص 15

3.1 رأي أهل التصوف في التصوف

تقول السيدة فاطمة اليشرطية، ابنة الشيخ علي نور الدين اليشرطي، في كتابها "رحلة الى الحق": "أجمع الصوفية، على أن التصوف هو الحكمة التي تعطي سعادة الدارين، بالمعارف الإلهية. قال تعالى: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ، فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا }¹. وقال جَلَّ وَعَلَا: { هو الذي بعث في الأميين² رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة }³.... ولا بُدَّ لمن يريد الحصول على شَيْءٍ من الحكمة الإلهية، من أن يتأدَّب بآدابِ الشرع، وآدابِ الباطن الذي هو مراقبةُ الخواطر، وتمييزُ الصحيح من الفاسد، والمدح من المذموم، وتصفيَةُ القلب من حظوظ النفس والعَلَل، وتطهيرها؛ فإذا تزكت النفس وانجلت مرآة القلب تنعكس فيها أنوار العظْمَةِ الإلهية والمعارف القدسية، فتنبثق من ذلك القلب أنوار المعارف اللدنيَّة⁴، وتتفجَّر ينباع الحكمة الإلهية. قال ابن عطاء الله الإسكندري في الحِكَمِ العَطائِيَّة: "ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب مشحوناً بالآثار، فارتحلت من حيث أتت. فرَّغ قلبك من الأغيار، يملأه بالأسرار والأنوار"⁵. فخلاص النفس والظَّفَر بمعرفة الله هما ميراث التزكية. وقالوا: " علم التصوف أشرف العلوم وأفضلها على الاطلاق". لأن موضوعه معرفةُ الله، بأسمائه وصفاته وأفعاله. والمعرفة بالله ترقى بصاحبها إلى التخلق بأخلاق الصفات، فيتخلق بالرحمة من اسمه الرحيم، وبالعلم من اسمه العليم، وهكذا مع جميع الأسماء، يتخلق بما هو لائق. فإذا حصل ذلك يرقى إلى تأثيرها، أي تأثير الأسماء، في الموجودات، ثم إلى الفناء بشهود الذات الصادر عنها جميع الموجودات.⁶ ويتفرَّع من هذه المعارف الإلهية أبحاث ترجع كلها الى صدق التوجُّه الى الله. "وقاعدة صدق التوجه مشروطة بكونه من حيث يرضاه الحق وبما يرضاه. ولا يصح مشروط دون شرطه. فلا تصوف إلا بفقه، إذ لا تُعرَفُ أحكام الله الظاهرة إلاَّ منه، ولا فقه إلاَّ

¹ القرآن الكريم، سورة البقرة 2:269

² كلمة " الأميين" تُعطى على وجه العموم معنى، " لا يقرأون ولا يكتبون"، ولكن في سياق الآيات التي ترد فيها كلمة " النبي الأمي" او "الأميون"، فإن المعنى يشير في الغالب إلى المصطلح العبراني الذي يطلقه اليهود على الأمم من غير اليهود، وهو في لغته " غوييم" وتعني "أمي" أو عامة الأمم

³ القرآن الكريم، سورة البقرة، 2:62

⁴ سأفرد لمعنى "العلم اللدني" بابا في فصل الشعر في شرح لبيت الشاعر حسن الحكيم، القائل: علمنا من لدنا ، معرب فينا عنا

⁵ غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطاوية لأبي عبد الله الرندي الجزء الثاني الطبعة الأولى دار الكتب الحديثة 1960 ص 92

⁶ اليشرطية فاطمة "رحلة الى الحق" ط.4، (د. م. بدون مطبعة)، (د. ن. بدون ناشر) 1997، ص.59

بتصوف، إذ لا عمل إلا بصدق توجه، ولا هما إلا بإيمان؛ إذ لا يصح واحد منهما بدونه".¹ وقال الشيخ علي نور الدين اليشرطي: "الشريعة والحقيقة متلازمتان، لا تصح إحداهما إلا بالأخرى".² وقال: "كل حكم من أحكام الشريعة، تحته كنز من كنوز الحقيقة، ولا ينال هذا الكنز إلا بإتقان ذلك الحكم الشرعي".³ وقال: "أفنوا أنفسكم في شيخكم. وافنوا شيخكم في محمد، وافنوا محمداً في الله. واجعلوا ظاهركم شريعة، وباطنكم حقيقة".⁴

4.1 نظرة للشيخ أحمد اليشرطي⁵ في التصوف وتعريفاته

يرى الشيخ أحمد اليشرطي، شيخ الطريقة الشاذلية اليشرطية القائم، أن الاهتمام الواسع بالتصوف، سواء من المؤمنين به، أو المعترضين عليه، من المسلمين ومن غير المسلمين، دليل على أن التصوف له موقع كبير من الإسلام، وفي الفكر الإسلامي. ولذلك يرى الشيخ أن على الطريقة وأبنائها، أن تبحث في التصوف وتبين تعريفها له (وشرح ذلك في مذاكرة مطولة، في زاويته في عمان، مساء الخميس 1977/9/1). أوردتها مختصرة.

فهو أولاً، يرى أن التعريف يقيد المُعرَّف، ويضع حدوداً للمعرَّف. وإن من عرَّفَ التصوف لم يُعرَّفَ التصوف، وإنما حاول أن يتعرف على التصوف من خلال ركائز رآها في التصوف، وهي فعلاً في التصوف، كفاء النفس وغيرها من الركائز. ويرى أنه يمكن أن نعرف التصوف بعد أن ننظر في بعض ما تطرق إليه رجال العلم في التصوف. فهو أولاً، يرى أن التصوف يفرض على المرید، ابن الطريقة، أن يبحث في شؤون الله ليعرفه، حتى يكون تعلق هذا العبد (بالحق) تعلقاً صحيحاً، لأنه لا يجوز للعبد أن يتعلق بمجهول، فالعبد حتى يكون متصوفاً لا بد أن يبحث في شؤون الله، وذلك كي يتمكن من الانتقال من مرتبة التصوف إلى مرتبة الصوفية وهي مرتبة معرفة (الحق). فالمتصوف هو الباحث عن الحق، والصوفي هو العارف للحق.

¹ م. ن. ص. 62.

² اليشرطية، فاطمة، نفحات 176

³ م. ن. ص. 65

⁴ م. ن. ص. 678

⁵ الشيخ احمد محمد الهادي اليشرطي، شيخ الطريقة القائم، وقد أفردت سيرته في باب شيوخ الطريقة الشاذلية اليشرطية

ويفيض الشيخ أحمد اليرطبي النظر في تعريف التصوف للشيخ محيي الدين ابن عربي، فيقول: "الشيخ ابن عربي قال: "التصوف صافاك الله أمره عجيب، و شأنه غريب، وسرُّه لطيف، ليس يُمنَح إلا لصاحب عناية وقدم صدق". فيقول الشيخ أحمد اليرطبي: "التصوف غريبٌ كما يقول ابن عربي في تعريفه للتصوف، وذلك أن التصوف غريب عن غير أهله، ولا يمنح إلا لصاحب غايةٍ وهدف، عنده اهتمام وعنده مقدرة، وله قدم صدق في العبودية. وهم فئة معينة من العباد اختُصت بالرحمة، إشارة إلى الآية الكريمة: { يختص برحمته من يشاء }¹، واختصها (الحق) فاختصت نفسها بأن أخذت تبحث عن الحق، تريد أن تصل لمعرفة، والذي يسمى مقام الوصول. والتصوف هو السعي إلى الذات عن طريق الاتصاف بالصفات. فتظهر آثار صفات الحق على العبد، فيكون العبد مرآة لصفات الحق التي تنعكس عليه في تصرفاته. "وسره لطيف"² كما يقول محيي الدين ابن عربي، لأنه إذا استطاع هذا المتصوف أن يتصوف، فلا بد وأن يبحث ليس في العلوم النقلية فقط، وإنما في العلوم اللدنية ويجول في أسرارها. والعلوم اللدنية كلها أسرار، وسر الإسرار فيها هو ذات (الحق)، لذلك كان سر التصوف لطيفاً. وسره لطيف ليس يمنح إلا لصاحب غاية، عنده اهتمام وعنده مقدرة، وله قدم صدق في العبودية."

ومن نظريته في هذه التعاريف يخلص الشيخ أحمد اليرطبي إلى أن "التصوف هو البحث عن الحق في الحق." ولذلك كان علم التصوف علمًا ذاتيًا متكاملًا قائمًا بذاته، يلجأ إليه العبد متصوفًا بقصد البحث عن (الحق) حتى يصل إلى (الحق) ويتعرف عليه، ولا يمكن له أن يعرف من هو الله، إلا إذا بحث في شؤون الله. وفي نطاق حدود الله. فالتصوف هو البحث عن الحق في الحق"³.

5.1 التصوف الإسلامي ونشأته

يرى كثير من الباحثين في التصوف أنه بدعة ظهرت في القرن الثاني للهجرة. وذلك أنه إثر اتساع الفتوحات الإسلامية وتدفق الخيرات، اتجه الناس إلى حياة الترف والبعد عن الدين، فنزع أفراد في

¹ القرآن الكريم، سورة آل عمران، 3:74، وسورة البقرة، 2:105

² كلمة (لطيف) تعني أنه يتخلل دقائق الأمور ويعرف خفاياها

³ اليرطبي، الشيخ احمد اليرطبي مذاكرة 1.9.1977 ملاحق

انعكاسٍ لذلك النهج إلى الاتجاه إلى حياة الزهد، والانعكاف على العبادات. "ولكن التصوف في حقيقته هو البعد الروحي للدين الإسلامي،" وقد عبّر في تطوره العملي والفكري مرحلة الزهد والتكشف، إلى المرحلة الفلسفية، فالمرحلة الطرقية الجماعية لاحقاً. وتراوحت هذه الطرق بين التوجه نحو أدنى اليسار الفلسفي وبين أقصى اليمين الشرعي، بين الأصولية والاعتدال وبين التطرف والوسطية، ومع مصادرة حق الاجتهاد في العصور المختلفة، لاقى التصوف ما عانته الفلاسفة والمتكلمون من إنكار وصلب، واتهام بالكفر والزندقة والخروج عن الإسلام. وانحسر النشاط الصوفي، في المشرق العربي، بعد الشيخ عبد الغني النابلسي، إلا أن حركات الإحياء تنشطت في القرن التاسع عشر¹.

ويقول سبنسر تريمينجهام، في كتابه " الفرق الصوفية في الإسلام": "لقد حدث تطوران أديا إلى الاهتمام المكثف بالإسلام في ذلك الحين، هما الحركة الوهابية، وحركة الإحياء والتجديد داخل الفرق الصوفية، ولم تكن أيٌّ منهما استجابة للتهديد الأوروبي الذي غزا المنطقة، فقد كانت لهما جذورهما في القرن الثامن عشر. بالإضافة إلى أن العالم العربي الإسلامي قد تنبه إلى حاجته إلى الإصلاح، ومواجهة حالة السبات التي استغرق فيها العالم العربي تحت الحكم العثماني. وحركة الإحياء في النشاط الصوفي هذه، كان نتيجة جهد ثلاثة رجال ولدوا في المغرب، انبثقت من إلهام وإيماء رجل مستتير، هو أبو أحمد العربي الدرقاوي من أقطاب الشاذلية، الذي أيقظ الحماس العاطفي، وحفز الباحث نحو الحياة التأملية بين المريدين والأتباع داخل التراث الشاذلي². ومع أنه لم يرد في كتابات السيدة فاطمة اليشريطية، أي وجود لليشرطية في المغرب إلا أن ترمينجهام يقول: "إن الطريقة اليشريطية أسسها الشيخ علي نور الدين، وكان لها أتباع بين رجال القرويين، وكانت الفرقة تسمح مجالاً للنساء، وفي عام 1942 كانت توجد ثمانية سيدات كقادة للحلقة (مقدّمات)³ في مراكش⁴. وهذا القول يخالف ما ذكره جوزيف فان أس، كما بينته، لاحقاً، في الفصل الخاص بمشيخة الشيخ علي نور الدين اليشريطي، حيث أن الشيخ علي نور الدين، لم يؤسس مشيخة في القيروان، وإنما قضى بضعة أيام في مصرطة بعد وفاة الشيخ المداني، لِيُسَوِّيَ أوضاعه العائلية قبل أن يهاجر إلى الشرق.

¹ صوافطة، وفا، المدرسة الشاذلية اليشريطية، ط 1، 2003 د. م.، د. ن. ص ص 9-13

² ترمينجهام، سبنسر، الفرق الصوفية في الإسلام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط 1، 1997 ص ص 169-73

³ ذكرت السيدة فاطمة اليشريطية في كتابها رحلة إلى الحق، أنه كانت في مدينة صفد في فلسطين أربعين عارفة.

⁴ اليشريطية، فاطمة، رحلة إلى الحق، ص 184

وقد تعددت الأقوال وتتنوعت في أصل التصوف الإسلامي، فمن قائل إن أصله بوذي هندي، أو يوناني مقتبس من الفلسفة الإشرافية. ومن قائل إنه نشأ في القرنين الأول والثاني للإسلام، كردة فعلٍ بدرت من بعض أئمة من المسلمين، بعودة لأصول الدين كما كان في عهد الرسول، وذلك لما رأى بعض المسلمين أنه مع اتساع الدولة الإسلامية، ابتعدت الأمة عن الدين وانشغل الناس بأمورهم الحياتية. فاتخذ هؤلاء مسلك الزهد والتقشف، والزيادة في أداء النوافل، تقرباً إلى الله. ومنهم من قال إن التصوف بدأ في الظهور في المدينة المنورة، حيث كان الرسول يجلس إلى مجموعة من المؤمنين، تُنسب اليهم تسمية " أهل الصُّفة " ، والصُّفَّةُ هي مصطبة في مسجد الرسول بالمدينة المنورة، كان الرسول يجلس فيها إلى فقراء¹ المسلمين. وهناك نظريات أخرى، في أصل التصوف ومنشأه، وكل دارس أو كاتب في حقل التصوف يكررها، نقلاً عن سبقة من الدارسين، متصوفةً أو مستشرقين، نضرب عنها صفحاً في هذا البحث.

6.1 علاقة التصوف بالدين والفلسفة

التصوف علم شرعي كغيره من العلوم الشرعية، كالفقه والحديث والتفسير والأصول والمنطق. " علوم أهل هذا الشأن تتشارك باقي العلوم في العقل والنقل، وتتميز عنها بالذوق والوجدان والمنازلة"². فاشتغلوا بما اشتغل به علماء الظاهر، من علم الإسناد، " ولكنهم فاتوهم بما لم يصل إليه فهمهم من علم القرب والوداد.³ وقد شهد بذلك الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، ومكين الدين بن الأسمر، والعز بن عبد السلام، في مجلس الشيخ الصوفي أبي الحسن الشاذلي، لما تكلم أبو الحسن ساعة بالأسرار العجيبة والعلوم الجليلة فقال الشيخ العز بن عبد السلام (1181-1262)، أشهر علماء عصره: " اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله"⁴. وإذا كان الفلاسفة قد بحثوا عن الحقيقة في العلوم الإلهية عن طريق العقل، فكذلك أهل التصوف، فإنهم يبحثون عن الحقيقة الإلهية، ليعرفوا معبودهم، وذلك عن طريق العقل والاسترشاد بالنقل، والتحقق بالكشف بالذوق والإلهام. ولكنهم يحكمون على

¹ كلمة الفقراء في التصوف لا تعني "المحتاجون الى المعونة البشرية"، بل تعني الفقراء إلى الله، الآية 24:28 والآية 15:35

² البيهقراطية، فاطمة، رحلة الى الحق ص 43

³ م. ن. ص 44

⁴ السكندري، أحمد ابن عطاء الله، "لطائف المنن" مجموعة د. عبد الحليم محمود ط. 1 دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني 1991 ص

الكشف بالشرع فإن وافق الشرع أخذوا به. وإلا ردّوه، والشيخ الشرطي يقول: " إذا ورد على الفقير وارد، يجب أن يزنه بميزان الشرع، فإن وافق الشرع، يقبله. وإلا فليردّه"¹ والتصوف الإسلامي، هو تصوف مُحَمَّدِيّ إسلامي، مارسه محمد صلى الله عليه وسلم، في مقتبل عمره قبل البعثة. فإن تحنّته في غار حراء قبل البعثة، لم يكن إلا سلوكاً صوفياً، تَبَعَ لَدُنْيَاً من قلبه، وكان هذا حاله بعد البعثة، وإلى أن انتقل مظهره البشري الشريف. " فمحمّدٌ، صلى الله عليه وسلم، كان نبياً، وآدم بين الماء والطين، وكان نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين"². .. وعلومه الصوفية تنزلت عليه، في الوحي القرآني، فصلاته ونسكه ومحياه ومماته الله رب العالمين: { قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين }³. وفي سنته الشريفة المطهرة في حديث جبريل يسأل عن الإسلام والإيمان والإحسان. وقد كان الرسول الكريم، يجتمع مع صحابته الذين كانوا أول من أسلم له وآمن برسالته في بيت الأرقم بن أبي الأرقم يعلمهم تلاوة القرآن، ويزكي نفوسهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة. مما يمكن معه القول أن دار الأرقم بن أبي الأرقم كانت أول زاوية صوفية للدعوة المحمدية، وأن الرسول قد يكون قد آخى هنالك بين المسلمين من أول عهدهم بالإسلام.

فالتصوف فرغٌ أصيل في عمق في الحياة الدينية في الإسلام، وينبع من إحساس الإنسان بوجود الله، ومن إحساسه بالعدم من غير وجود الله، ومن حاجته إلى تسليم العقل والمشاعر لهذه التجربة الصوفية. والتجربة الصوفية تتهم غالباً، بأنها منفصلة عن العقلانية والفلسفية، أو على الأقل تتخذ مساراً معاكساً لها. ولكن سواء كانت مختلفة أم لم تكن كذلك، فلا نستطيع القول بأنها منفصلة عن الطموحات العقلانية والفلسفية للإنسان؛ لأنها تعتبر مسيرةً تقود إلى ما يبتغي الفكر (reason) الوصول إليه وهو التحقق من الحقيقة الكلية.

ويقول ماجد فخري في مقدمة كتابه تاريخ الفلسفة: " وفي الحقيقة فإن التصوف الإسلامي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالفلسفة، فتصوف ابن عربي (ت 1240) قد وصل القمة في إظهار نظام كوزمولوجي وميتافيزيقي كوني، له أهميته في الفلسفة. " وفي نفس المساق، فإن أعمال بعض الفلاسفة أمثال ابن

¹ الشرطية، فاطمة، "نفحات" 193

² م. ن. 904

³ القرآن الكريم، سورة الأنعام، 6: 162-163

باجة (ت 1138م)، وابن طفيل (ت 1185) قد قادت منطقياً إلى تجربة صوفية، سميت بالإشراق أو التنوير كمحصلة نهائية وتتويجاً للفكر العقلاني (reasoning). "

وأما عن التصوف نفسه بعامة، فإنني أرى أنه قديم قدم الوجود. فقد كان موجوداً في عالم الذرّ والأرواح، قبل خلق الخلق، في آية الميثاق: { وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم: ألسنت بربكم! قالوا: بلى، شهدنا، أن تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين. }¹. وفي ذلك قال الشيخ عبد القادر الحمصي الشاذلي البشريطي، في قصيدته التي قالها مُرحباً بعودة الشيخ علي نور الدين البشريطي، من منفاه في جزيرة رودس² ...

من حين قالوا "بلى" قد كنت أعرفهم ونشأتي فيهم من قبل عرفاني

يراهم ناظري في كل لائحة وإن سألت فؤادي قال سكاني³

وتوجيهات الحق لآدم بأن يسكن هو وزوجهُ الجنة، وأن لا تقربا هذه الشجرة، دليل من نص القرآن على قيام التواصل الروحي بين الحق وبين الإنسان. فالتصوف كان مع خلق الإنسان؛ فآدم ابو البشرية، هو أول المتصوفين، فكان ولياً صوفياً عارفاً بالله، ليس بينه وبين الله حجاب، (قبل أن يُهبطَ من المرتبة التي "مَلَكها، ليعود إليها سالِكاً"⁴، مُجتهداً، مفتقراً الى الله). كان في مرتبته تلك، صوفياً يأخذ علومه من الله مباشرة، بدون واسطة، ويتخاطب ويتخاطر مع الله مباشرة. " { وعلم آدم الأسماء كلها. } { ويا آدم: أنبئهم بأسمائهم. } { وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة، وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة. } { فتلقى آدم من ربه كلماتٍ، فتاب عليه، إنه هو التواب الرحيم }⁵.

¹ القرآن الكريم، سورة الأعراف، 7:172

² انظر لاحقاً في نفي الشيخ وبعض مرديه الى جزيرة رودس في البحر الأبيض المتوسط

³ الحمصي ، عبد القادر ، اللطائف الروحية ص. 65، وقد سبق وذكرت هذه الأبيات في معرض بيان المحبة الأزلية، وأذكرها هنا لبيان نشوء التصوف قبل الخلق

⁴ ورد في الورد الكبير من الوظيفة الشاذلية البشريطية دعاء " وأيدني بك لك بتأييد من سلك فملك، ومن ملك فسلك ". ويعني في الأولى: صاحب الترقى الذي لا يتم كماله الا بعد حوزة على المقام الذاتي، ويعني بالثانية: صاحب التذلي الذي لا يتم كماله إلا بعد تذليه في مراتب الوجود وسلوكه في مقامات الطريقة. من شرح الشيخ محمود ابوالشامات للوظيفة في كتابه " الإلهامات الإلهية" ص 47 ، ط. 3 ، 1980

⁵ القرآن الكريم، سورة البقرة، 2: 31-35-37

هذه الآيات من القرآن الكريم تصور حال آدم مع ربه، كما تُصَوِّرُ حال الفقير الصادق، وهو في حال أنسٍ مع ربه، حسب التعبير الصوفي؛ ليس له من الأمر شيئاً، فهو كالصوفة¹ تحمل "قوابل الاستعداد"²، مفتوحة لتلقي المدد الإلهي والعمل به، والعمل ميراث العلم، والعلم أيضاً ميراث العمل. فمن عمل بما علم رزقه الله علم ما لم يعلم. والمعارف والعلوم ترتقي وتتطور مع تقدم الإنسان، وأن إلى ريك المنتهى. وهو كالريشة تلعب به الريح، توجهه حيث الله يريد. ويبقى سؤال، وهو لماذا يتَّخِذُ أناسٌ من التصوف مسلكاً لهم دون غيرهم من الناس؟ الجواب: الخصوصية، فهي غرسة غرسها الله في قلوب من اختصهم لهذا المنهج في الحياة، وحبب إليهم هذا السبيل. "ولكن الله حبيب الإيمان وزينه في قلوبكم، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان"³. فالتصوف خصوصية أزلية كتبها الله لأهل التصوف، وخلقهم لها. "وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ"⁴.

والتصوف، في حدِّ ذاته، ليس إسلامياً فحسب، فقد كان هناك تصوف قبل الإسلام؛ فهناك تصوف عند الإغريق، في بلاد اليونان. وهناك تصوف في شرق آسيا، أبدعه كونفوشيوس وبوذا، غايته الوصول إلى الله فيما يسمى "النيرفانا". وكونفوشيوس كان يقول عن نفسه، إنه مجرد ناقل، يوصل ما يصل إليه من السماء. وهناك تصوف مسيحي، وتصوف "الكابالاه" اليهودي، وهناك تصوف عند قبائل المايا في أمريكا الوسطى، وهناك تصوف أخلاقي، غير ديني. ولكن المتصوفة جميعهم يشتركون في هدف واحد، غايته هي معرفة حقائق الوجود، بالارتقاء بالنفس والتخلق بالأخلاق الفاضلة ومحاولة الوصول إلى الكمال المطلق، أو الجمال. ووسيلته التفكير والتأمل، وتربية النفس وتخليتها من الأخلاق الذميمة وتحليتها بالأخلاق الفاضلة. هذا بالنسبة للبشر، وأما بالنسبة لسائر المخلوقات، فهي في تسبيح وذكر دائم لا ينقطع، وشهوها بالحق أكمل من شهود الإنسان. "تسبح له السموات السبع

¹ بعض الأقوال في أصل تعريف التصوف أنه اشتقاق من الصوف الذي كان يلبسه الزهاد. أو الصوفة التي من صفاتها الامتصاص

² صوافطة، وفا، المدرسة الشاذلية البشروطية، د.م.، د.ن. ط 1، 2003، نظرية القابل والاستعداد عند الشيخ البشروطي ص ص 318-326

³ القرآن الكريم، سورة الحجرات، 7: 49

⁴ المنذري، الحافظ ' مختصر صحيح مسلم' رقم 1844

والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم. إنّه كان حليماً غفوراً"¹.
وقال الشيخ علي نور الدين في هذا المعنى: "هذا الشجر تتدلى أغصانه إلى الأرض، دليل السجود."²

ومن طبيعة الإنسان أن يبحث في الأشياء ليتعرف على حقائقها، فينظر في ما حوله ويتفحص ما حوله من المحسوسات، ويتأمل ويقارن، ويصنف، ويجري التجارب ويستنتج، ويضع النظريات والنظم والأحكام والقوانين. ثم يتدرج في النظر من المحسوس إلى المعقول يفكر ويدقق، ومن الجزئيات إلى الكليات يجمع ويفرق. وينظر في السموات وفي أبراجها، وفي النجوم وفي أفلاكها. ينظر في الكون وأعماقه، كيف بدأ إن كانت له بداية، وهل ينتهي أو هل له نهاية. أو أنه عوداً على بدءٍ، {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعَدَا عَلَيْنَا، إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}³. أو أنه بلا بداية وبلا نهاية. ويبحث الإنسان العاقل في الموجود في هذا الوجود، إن كان حقيقةً موجوداً، وهل وجد من لا شيء *ex nihilo* أم أن له موجد أو واجد، وهل من الضروري أن يكون له موجد، هو الأول فليس قبله شيء، وهو الباريء وواجب الوجود. "هو الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء."⁴ وهذا البحث مستمر ما دام إنساناً عاقل مفكر موجوداً في هذا الوجود.

وهذا البحث الفكري العقلي الفلسفي لم يكن مقصوراً على هيلينستيين اليونان، أو كهان نيل مصر، وعراق ما بين النهرين؛ فلم يكونوا هم أول من خاض غمار هذا البحر، أو أن حكماء الهند والصين وفارس لم يلجوا عبابه. ولقد كان للعرب الأعراب الأعرابية في جاهليتهم نصيب من البحث والتنظير الفلسفي، حكماً، وأرجوزاتٍ وخطباً، وأشعاراً. والمسلمون عرباً وعجماً في إسلامهم، وأعني في أطوار الفكر الإسلامي، بحثوا في الأمور الفلسفية، وأوغلوا فيها، فتعول الغلاة من المسلمين فابتدعوا تهمة "البدعة"، وحاربوا فيها الفلاسفة والمتكلمين، وصاحب كل فكرٍ يغاير أفكارهم، واتهموهم بالكفر والزندقة، وحرقوهم وقطعوا أوصالهم. ولكن تفاصيل هذا الجانب ليس هذا مجاله.

¹ القرآن الكريم، سورة الإسراء، 17:44

² البشريطية، فاطمة، نفحات 936

³ القرآن الكريم، سورة الأنبياء، 21:104

⁴ ابن بشيش، عبد السلام، الوظيفة الشاذلية البشريطية، أنظر الملاحق

ففي الجاهلية ظهر من يسمون "بالْحَنَفَاء"، ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل، الذي كان من الذين يتطلبون المعرفة الحقيقية، ويسعون وراءها جاهديين، ويعتصر ذهنه ويشد شعوره: يريد أن يحل ألغاز الكون والواحد والمبدأ والمعاد، وصاغ حيرته وفكره شعراً.¹ وكان منهم الحكماء والخطباء، مثلهم كمثل حكماء اليونان وخطبائهم، يماثلهم أفلاطون، منهم أكثم بن صيفي بن رباح، وقس بن ساعدة الإيادي، وخطبته بسوق عكاظ مشهورة: "أيها الناس! إسمعوا وعُوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت! ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون! أرضوا فأقاموا، أم تركوا فناموا؟ (ثم يتوصل قس بتفكيره الفلسفي والمنطقي الأرسطوي) الى وجود خالق واحد، لا ولود ولا والد، أعاد وأبدى، وإليه المآب غدا."²

وخلاصة القول أن غاية الإنسان هي البحث عن الحقيقة ليصل الى المعرفة بكل مجالاتها وتعريفاتها وتفرعاتها، فينطلق في الآفاق ينظر ما في السموات؛ وفي الآية الكريمة: {سُنِّرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ. أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}،³ يؤكد (الحق)⁴، وهو حقيقة الحقائق التي نبحث عنها أنه هو الذي سوف يُرينا الحقيقة بنفسه، ويقودنا إليها فيقول: "سنريهم آياتنا". فهو من البداية يبين لنا من أين تبدأ مسيرة البحث عن الحقيقة وإلى أين تنتهي؛ فالحقيقة والمسار هو فيك أنت أيها الإنسان" في أنفسهم". لا تذهب بعيدا في بحثك أيها الإنسان! فهو فيك، وهو {أقرب إليه من حبل الوريد}⁵، وكما قال الحلاج⁶ الشاعر الصوفي:

وأي الأرض تخلو منك حتي تعالوا يطلبوك من السماء

تراهم ينظرون اليك جهرا وهم لا يبصرون من العماء⁷

¹ . محمود ، عبد الحليم . التفكير الفلسفي في الإسلام، دار الكتاب المصري واللبناني القاهرة وبيروت 1989 . ص ص 19- 25

² م. ن. ص ص. 28-31

³ القرآن الكريم، سورة فصلت، 41:53

⁴ كلمة (الحق) بين قوسين هكذا، (الحق) أينما وردت في هذا البحث تعني الله

⁵ القرآن الكريم سورة ق 50:16

⁶ الحلاج ، أبو عبد الله الحسين بن منصور (244-309 هـ) من أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري، قتل مصلوبا

⁷ الحلاج، أبو عبد الله، الحسين بن منصور، ديوان الحلاج، شرح وتحقيق هاشم عثمان، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت ، ط 1،

2003 ص 27

وفي هذا السياق قال الشيخ علي نور الدين الشرطي، مؤسس الطريقة الشاذلية البشروطية، التي هي موضوع بحثنا: "الفقير¹، يذهبُ يُدَوِّرُ² على الله وهو محبوب عنه، هو كالمراة الحاملة ولدها على كتفها، وهي دائرةٌ تسأل عنه."³ وفي البحث عن الحقيقة في عالمٍ تكثر فيه المهاوي يحتاج الباحث عن الحقيقة إلى دليل مرشد يبين له معالم الطريق، ويجنبه المهاوي. ودليلنا الى الحق، في الإسلام عامة وفي التصوف خاصة، والذي عرفنا الله بواسطته، هو رسوله محمد، صلى الله عليه وسلم: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا }⁴ وهذه الحقيقة التي يريد الإنسان أن يتعرف عليها، وهي "حقيقة الحقائق"، مَحْبُوبَةٌ عن الإنسان المفكر العاقل، بغشاء رقيق يحول بينه وبين التحقق منها، ويلزم أن نرفع هذا الحجاب لنعرفها ونتحقق منها. ووسيلة المعرفة تكون بتطهير النفس من الشوائب التي تعلقت بها فَتَعَسُّوا عَيْئُهَا. وسنبحث في النفس وشوائبها وتطهيرها في أبواب قادمة من هذا البحث. وحقيقة الحقائق هي "بحر الوحدة" الذي يطلب أبناء الطريقة الشاذلية البشروطية، في دعائهم اليومي أن يَغْرُقُوا فِي عَيْنِهِ: "وأغرقني في عين بحر الوحدة شهوداً، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس، إلا بها نزولاً وصعوداً"⁵. وهذه الشوائب التي تعلق بالنفس فتحجبها عن الحق، تتراكم على النفس فيحتاج الباحث إلى مرشد كامل عالم بدقائق شوائب النفس وطرق علاجها. كما قال الفيلسوف المفكر البريطاني مارتن لينغز (1909-2005): "حتى نستطيع أن نجتاز العتبة من ستار حجب التفسير الظاهري the exoteric interpretation لنتحقق من

¹ كلمة الفقير في التصوف مصطلح يطلق على أبناء الطريقة في مراحلهم المتقدمة روحياً

² وردت كلمة (يُدَوِّرُ) في الحديث بهذه الصيغة، وهي تستعمل بالعامية بمعنى يفتش. وكلمة يدور تعني يطوف حول نفسه، واستعمل الشيخ

كلمة " دائرة" تسأل عن ولدها مع أنها تحمله على كتفها، بمعنى الحيرة البالغة

³ البشروطية، فاطمة، نفحات الحق 677

⁴ القرآن الكريم، سورة الأحزاب، 21:33

⁵ الوظيفة الشاذلية البشروطية طبعة 54 2001 ص 7، راجع فقرة "أورد الطريقة الشاذلية البشروطية"

الباطن¹ the esoteric ، فإن ذلك لا يدع خياراً للباحث إلا أن يفتش عن مُعلِّمٍ صوفي متحقق هو المرشد الكامل، ليرفع الحجبَ ويُرشده في طريق المعرفة.² ويستطيع طالب المعرفة أن يخوض بحور المعرفة برعاية مرشد كامل، بالمحبة وبالصحبة. فقد ورد عن الشيخ في المحبة أنه: "وقف الشيخ علي نور الدين اليشرطي مع مجموعة من مريديه، على ساحل البحر وكان البحر هائجاً، فقال: من يستطيع أن يخوض هذا البحر؟ فسكتوا، فقال" صاحب المحبة.³ وفي صحبة أخ صادق يعينك على تربية نفسك، كما قال الشيخ اليشرطي: "آه. آه. آه. الأخ الصادق قليل. أتعرف من هو أخوك؟! أخوك الذي دائماً معك على نَفْسِكَ، في سَيْرِكَ، وليس الذي مع نَفْسِكَ عليك."⁴.

¹ Aristotle identified his principal philosophic works as "esoteric" works, meaning writings intended for 1 students within his school and implying no secrecy or mystic teaching. He also wrote several "exoteric" works, meant for the general public- Theosophical Encyclopedia, Aristotle Published: Thursday, 17 September 2015 16:40

² لينغز، مارتن " ماهية التصوف " "what is sufism" أكاديمية سهيل لاهور باكستان ط.3 ص.32- 2005

³ اليشرطية، فاطمة، نفاحات 23

⁴ م. ن. 1349

2 الفصل الثاني: الطريقة الشاذلية اليشرطية-تاريخها وأعلامها

1.2 مقدمة

يعتبر كتاب " رحلة إلى الحق " المرجع الأساس في تاريخ الطريقة الشاذلية اليشرطية، وفي سيرة مؤسسها الشيخ علي نور الدين اليشرطي. كما يعتبر كتاب "نفحات الحق في الأنفاس العلية اليشرطية الشاذلية"، المرجع الأساس في بيان عقيدة الطريقة الشاذلية اليشرطية وبيان أحكامها ومراتبها. وهذا الكتاب وأعني "نفحات الحق" هو مجموع من أحاديث وحكم جمعتها السيدة فاطمة اليشرطية الحسنية، إبنة الشيخ علي نور الدين اليشرطي، كما تقول: "من أحاديث وحكم تنزلت على قلب سيدي الوالد، وكان قد تفضل وانعم بها على المريدين، في مذكراته. فأخذتها ورويتها عن الكبراء والعظماء النقاء من مريديه، الذين تلقوا الطريقة الشاذلية اليشرطية عنه.¹ وقد قدم للكتاب في طبعته الثالثة (1982) والرابعة (1997) الشيخ احمد اليشرطي، وقدم لها: " بالنص الذي أقرته المؤلفة، وأن أحاديثه توجيه وتعليم، وتثقيف وتفهم، تستند الى الكتاب والسنة، مما يوضح العلاقة الجذرية بين الطريقة الشاذلية اليشرطية وتعاليمها وأحكامها، وبين الشريعة المحمدية السمحاء. فالشرع أساسه الصفاء، والصفاء هو أساس التصوف.² والكلمة مسموعة أو مقروءة هي سبيل التعارف والمعرفة، وقد قال الشيخ احمد اليشرطي في مقدمة الطبعة الرابعة لكتاب نفحات الحق: "بسم الله الذي أظهر الكائنات بالكلمة، والحمد لله الذي جعل الكلمة سبيلاً للتعارف والمعرفة. والحمد لله الذي جعل العلم طريق المعرفة، وزين قلوب المؤمنين بأنواره، وجعلها موحدة مؤتلفة، وأمر بالجد والاجتهاد في البحث عن الحقيقة الموصلة إلى رحابه المورفة".³ و صلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، الذي جاء بالقرآن ناقلاً عن ربه، قرآناً عربياً مُعرباً عن مكنون العلم: {كما أرسلنا فيكم رسولا منكم ينلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون}⁴. والحكمة في حد ذاتها ليست شرعة لكلّ وارد، فقد اختص

¹ اليشرطية، فاطمة . نفحات الحق ط.4. 1997-ص. 23

² م. ن. ص ص 12-13

³ الشيخ احمد اليشرطي تقديم الطبعة الثالثة لكتاب 'نفحات الحق' للسيدة فاطمة اليشرطية 1990-1410 ص 11

⁴ القرآن الكريم، سورة البقرة، 2:151

بها قوم دون غيرهم، والله: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا }¹. فالحكمة هي عمق العقيدة وروحها، وفي تفسيرها أقوال كثيرة، منها: "النبوة، والفقہ في القرآن، والمعرفة بدين الله، والفقہ فيه، والاتباع له، والخشية، والورع".² وقد جمع التصوف هذه المفاهيم كلها. وفوق كل ذلك فالتصوف عند أهله هو المعرفة بالله. وهذه المعرفة لا تتأتى للفرد إلا أن يعيش حياة روحية، وذلك يكون بانقلاب على نفسه من الداخل، يخرج من التصور المادي لوجوده، إلى وعيٍ روحي لذاته. وهذه الثورة الداخلية هي الحياة الصوفية التي توصل إلى المعرفة الحقيقية.

والتصوف فكر وعلم وعمل، وقد ورد أنه: "من عمل بما علم، أورثه الله علم ما لم يعلم".³ وقد قال الشيخ علي نور الدين اليرشطي في هذا المعنى: " كل حكم من أحكام الشريعة تحته كنز من كنوز الحقيقة. ولا يُنال ذلك الكنز، إلا بإتقان ذلك الحكم الشرعي"⁴. والعلم ميراث التزكية، والتزكية ميراث العمل.

والتصوف الإسلامي صنوٌ وجزءٌ أساس من للشريعة كما يتبين من حديث جبريل، لما جاء يسأل الرسول عن الإسلام والإيمان والإحسان، فأجاب محمد عن الإحسان بأن: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".⁵ والإحسان هو الإتقان في كل أمر، وكيف نعبد من لا نعرف! والتصوف هو سبيل المعرفة الحقة، ومن المعرفة تتبع المحبة، والمحبة نبع الإيمان. "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا".⁶ والتصوف، وهو مقام الإحسان، ركؤه الأساس هو المحبة، والمحبة ركن أساس في عقيدة الطريقة الشاذلية اليرشطية كما سبق وذكرنا سابقاً: " للطريق أربعة أركان: محبة، وذكر، وفكر، وتسليم. وأهم هذه الأشياء المحبة، لأنها قطب تدور عليه الدوائر. فمتى أحببته ذكرته، ومتى ذكرته فكرت فيه وسلمت أمرك إليه".⁷ وقال الشيخ علي نور الدين اليرشطي، شيخ

¹ القرآن الكريم، سورة البقرة، 2:269

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، جزء 3 ص 330

³ لم يرد في الصحاح، ولكن ذكره الحارث المحاسبي في رسالة المسترشدين ص 100 ، والكلاباذي في بحر الفوائد ص 100 ، والغزالي في إحياء علوم الدين ص 106 / 1 ، وابن عربي في تفسيره ص 13 / 1 ، .

⁴ اليرشطية، فاطمة، نفحات الحق 65

⁵ البخاري صحيح- باب الإيمان رقم 49

⁶ مسلم، صحيح مسلم، باب الإيمان

⁷ اليرشطية، فاطمة، نفحات 30

الطريقة الشاذلية اليشرطية ومؤسسها، لمريديه، وكان البحر هائجاً متلاطم الأمواج: من منكم يخوض هذا البحر؟! فسكتوا. فقال: يخوضه صاحب الحب"¹. والمحبة عند اهل الطريقة هي زاد الطريق، والصدق عندهم نعم الرفيق.

2.2 مشايخ الطريقة الشاذلية اليشرطية

ينتقل الإرث المحمدي في السلسلة الطريقية الصوفية النورانية الروحية، من الشيخ السابق إلى الشيخ اللاحق في وراثة روحية لا علاقة لها بالنسب البشري. وهي امتداد للسلسلة المتصلة برسول الله.² ويستلم كل واحد منهم مشيخة الطريقة والوراثة المحمدية الروحية في عصره، وهم في التسلسل التالي:

الشيخ علي نور الدين اليشرطي (1794-1899)

الشيخ ابراهيم اليشرطي (1844-1927)

الشيخ محمد (الهادي) اليشرطي (1900-1980)

الشيخ احمد محمد (الهادي) اليشرطي (مولود 1928/10/2)

الدكتور علي احمد اليشرطي (مولود 1956/8/22)

ويظهر هنا تساؤل عن انتقال المشيخة في نطاق العائلة اليشرطية، من الوالد الى ابنه. وقد أجاب على هذا التساؤل شيخ الطريقة، الشيخ أحمد محمد الهادي اليشرطي في مقابلة أجريت معه في بيروت يوم 1999/7/1، فقال: " لقد حاول بعض أتباع الشيخ علي نور الدين حمل الرسالة؛ لكن أعباءها كانت أكبر منهم ومن طاقاتهم، ففشلوا في الاستمرارية". وهو هنا يشير الى حركات الانشقاق عن الطريقة، "والتي خصصت لها فصلا خاصا. ومرتبة المشيخة تتعين في أشخاص يجب أن تتحقق فيهم خصائص عدة: "أولها الخصوصية الأزلية، وثانيها المكنة والاستطاعة، وثالثها الأهلية العلمية

¹ م. ن. 23

² أنظر ملحق: السلسلة الروحية لأشياخ الطريقة الشاذلية اليشرطية

والدينية. ورابعها التلقي عن الشيخ القائم علومَ الظاهر والباطن، وخامسها الاستعداد النفسي والروحي. لذلك كان بعض أبناء الشيخ أقدر من غيرهم على تحمل المسؤولية.¹

المهم في هذا الموضوع، أن التساؤل يأتي من خارج الطريقة، أو من مرید منتسب حديثاً للطريقة، ولكن عند أبناء الطريقة، فإنه وكما أن الشيخ، كما ورد في هذا البحث، يختار مریديه من عالم الأرواح، فإن المرید يختار شيخه. والطريقة لا تجبر أحداً على الانتساب إليها. ولما كان الفقير ابن الطريقة قد ائتمن شيخه وسلم إليه في أمر دنياه وآخرتة، فمن الأولى أن يسلم لشيخه في اختصاصه من يخلفه في حمل أمانة مشيخة الطريق.

3.2 سيرة الشيخ علي نور الدين اليشرطي

1.3.2 مقدمة

السيرة الحياتية للشيخ علي نور الدين اليشرطي مأخوذة من كتاب 'رحلة الى الحق'، لمؤلفته فاطمة اليشرطية الحسنية (1891-1980)، ابنة الشيخ علي نور الدين اليشرطي، التي عاصرتة لمدة ثماني سنوات من طفولتها. وما روته عنه في كتاب 'رحلة الى الحق' هو ما وعته هي بنفسها عنه في طفولتها هذه، وما روته لها أمها السيدة رتيبة توسيز، وأخوها الشيخ ابراهيم اليشرطي (1844-1927). وأما ما جمعته من مذكرات والدها في كتاب 'نفحات الحق'، وما جمعته من كرامات أجراها الله على يديه في كتابها 'مواهب الحق'، فهو من مخطوطات دَوَّنها المریدون من أبناء الطريقة الذين عاصروا الشيخ علي نور الدين اليشرطي، ومن رواياتهم الشفوية التي كانوا يتناقلونها عبر الأجيال. وتقول السيدة فاطمة اليشرطية انها لما عزمت على كتابة كتابها، 'رحلة الى الحق'، قامت بمراجعة الكثير من الكتب والأبحاث عن التصوف، ولكنها حرصت أن تتجنب كتابات الشيخ محيي الدين ابن عربي (1165-1240) لأن هناك اعتراضات على أفكار الشيخ محيي الدين، وأخصها ما يسمى 'مبدأ بوحدة الوجود'، فأرادت أن تجنب كتابها مثل تلك الاعتراضات. ولكن باءت محاولاتها الكتابة بالفشل لمدة ثلاث سنوات، حتى رأت إحدى صديقاتها، والد السيدة فاطمة اليشرطية، في رؤيا وسألته

¹ صوافطة، وفا، المدرسة الشاذلية اليشرطية ص. 42-841

عن سبب الجفاف الذي أصاب ابنته فاطمة، أوضح لها حقيقة العلاقة.¹ وأن سبب الجفاف هو تجنب السيدة فاطمة لأبن عربي وأفكاره.

ومؤسس الطريقة هو الشيخ علي نور الدين بن محمد بن بشرط، (1208-1316) هجرية، (1794-1899) ميلادية، الحَسَنِيّ نسبا وأصلا ، نسبة الى الحسن بن علي بن أبي طالب، الشاذلي طريقة ومشرّباً، التونسي المغربي مولداً ومنشأً. ولد في مدينة بنزرت، في أيلة² تونس المغرب، وتوفي في مدينة عكا في فلسطين، ودفن في زاويته بتلك المدينة، وضريحه مشهور تَوُّمُهُ وفود الزائرين من أبناء الطريقة، من سائر الأقطار. واشتهر فيما بعد بإسم الشيخ علي نور الدين الترشيحي اليشرطي.³ أخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ محمد حسن بن حمزة بن عبد الوهاب ظافر المداني،، واستلم مرتبة مشيخة الطريقة بعد انتقال شيخه، وحمل الطريقة معه من بلاد المغرب الى بلاد المشرق العربي، حيث دخل مدينة عكا في فلسطين سنة (1850/1266)، ومنها انتشرت الطريقة الى سائر المدن والقرى الفلسطينية، في القدس ويافا وحيفا وغزة ونابلس، ومدينة صدف، وبلدة طوباس، وبلدة ترشيجا التي لا تزال الزاوية قائمة فيها، ويؤمها ابناء الطريقة إلى يومنا هذا، وفي بلدة دير القاسي، وبلدة الكابري التي لا تزال آثار أطلال زاويتها، ونباتات الصُّبَيْر، قائمة الى الآن. كما انتشرت في دمشق وضواحيها وحلب والرقّة وبيروت وقرى البقاع اللبناني في ما كان يعرف في ذلك الوقت ببلاد الشام.

2.3.2 مولده ونشأته

وُلِدَ الشيخ علي نور الدين بن محمد⁴ ابن بشرط، المغربي الترشيحي، لأبوين شريفين،⁵ في مدينة بنزرت، في أيلة تونس المغرب، سنة (1208 هـ / 1794 م و انتقل⁶ يوم الأربعاء 16 رمضان

¹ اليشرطية، فاطمة، مواهب الحق، ص 21

² كلمة أيلة كانت تطلق على المقاطعات الإدارية أثناء الحكم العثماني للبلاد الإسلامية

³ { Van Ess , Josef 'die Yasrutiya' Lebaneseische Miszellen, Die Welt des Islam XVI, 1-4 }

⁴ يذكر فان أس في ملاحظة أسفل صفحة 3 من كتابه 'اليشرطية'، das yasrutia ان اسم والده قد ورد خطأ باسم أحمد في كتاب حلية البشر لعبد الرزاق البيطار، والصواب هو محمد كما ذكرت ابنته في كتاب رحلة الى الحق.

⁵ كان الشيخ حسنيا من ناحية الأب، حسنياً من ناحية الأم.

⁶ مصطلح انتقل والانتقال (بدون ذكر كلمة إلى ربه أو إلى العالم الآخر) عند أبناء الطريقة يرمز الى الموت، وقد ورد في كتاب 'نفحات الحق، على لسان الشيخ علي نور الدين اليشرطي: "لا تخف موتاً. ما في عندنا إلا نَفْسُ يُفْنِي نَفْسًا. وهكذا إلى ما لانهاية". نفحات 1329

1316 هجرية). ووالده ينتسب الى قبيلة بني يشرط، وهي قبيلة بالمغرب، تنتسب الى إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السَّبُط بن علي بن أبي طالب. وكان والدُه، محمد بن نور الدين اليشرطي الحسني، رجلاً صالحاً تقياً ورعاً ذا شخصية قوية بارزة، وثقافة اسلامية عالية. واشتغل بالسياسة وإدارة أملاكه ومزارعه، وتولى عدة مناصب رفيعة في الدولة، منها منصب القائد الكبير للجيش التونسي، في أيلة تونس التي كانت آنذاك تابعة للحكم التركي العثماني. أما والدته السيدة مريم تاجرية، ابنة السيد عبدالله تاجرية الحُسَيْنِي، فكانت على جانب كبير من قوة التفكير وحدة الذكاء، وكان والدها متضلعا من اللغة العربية وآدابها، وكانت هي الابنة الوحيدة بين إخوتها الذكور، وقد بلغ تعلق والدها بها حدّاً، جعله يعلمها القراءة والكتابة ومبادئ اللغة العربية بنفسه، واستمرت في التعلم تحت اشراف والدها حتى أتمت علومها. وقد وهبها الله أولادا ذكورا وإناثا، مات منهم ثلاثة في سن الطفولة، وعاش أربعة الى أن بلغوا سن الشباب، ثم ذهبوا ضحية الوباء الأصفر (الكوليرا)، في اسبوع واحد. فأذهلتها الفاجعة، خصوصا وانها قد بلغت سنّ الكهولة وتجاوزت فترة الحمل والولادة. لولا أن تداركها الله فحملت بولدها صاحب السيرة. وقد بشرها به الشيخ الصالح محمد جلول¹، وقال لها: " سيهب الله لك غلاما زكياً، أسميه علي نور الدين، تاريخ ولادته في الآية الكريمة: " وأبونا شيخٌ كبير"². وبحساب الجُمْل³ لحروف هذه الآية، يكون مولده سنة 1208 هجرية. وقدم لها الشيخ محمد جلول، حصة قال لها : أعطيه هذه الحصة عندما يبلغ سن الرشد، وبلغيه تحيتي وسلامي. ذلك مع العلم أنه لم تكن بين الشيخ محمد جلول وبين آل يشرط أية علاقة أو معرفة.

وقد علق الشيخ علي نور الدين اليشرطي، فيما بعد على هذه الواقعة، فقال: " انظروا قوة إيمانها⁴، يعني بذلك إيمان والدته، بالله وبأهل الله. لقد كانت تعلم علم اليقين، أن الحصة حجر لا يضر ولا ينفع، واحتفظت لي بالحصة حتى بلغت سن الشباب". ويعلق فان اس. على تكرار ذكر واقعة أن مولد

¹ يقول فان اس في ص 3 من حاشية مقالته اليشرطية: هذا الشيخ ليس ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمود بن بكار الجلول (1781-1849) لأن هذا كان موظفا حكومياً وليس ولياً. وقد غاب عن فان اس أن جلول هذا كان عمره 13 عاماً فقط عند ولادة الشيخ علي نور الدين اليشرطي سنة 1794.

² القرآن الكريم، سورة القصص، 23:28

³ بحساب الجمل: تعطى حروف الأبجدية: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت، ضغط، تُخذ، أرقاما من 1-10 ثم 20، 30، 40، وهكذا الى المئة وبعدها مئتان وثلاثمائة ...

⁴ انظر حديث الشيخ رقم 525 في أثر اعتقاد المرید الصادق بشيخه،

الشيخ هو 1208 هجرية، بأن المولود الذي يُبَشَّرُ أهله به يكون مولودا مباركا. ويحيل فان اس. موضوع الاعتقاد بالبركة، الى إي. وستمارك، "الشعائر والإيمان في المغرب" (لندن 1926) ص. 148 وما يليها.

فالشيخ ينتسب للرسول من ناحية الأب والأم، فهو في نسبه حَسَنِيٌّ من ناحية الأب، حُسَيْنِيٌّ من جانب الأم. وهذا النسب البشري الى جانب النسب الروحي يضيف على مشايخ الصوفية نوعا من التقديس بانتسابهم لهذا النسب النبوي الشريف، والذي كان ولا يزال يتخذ مرجعا لشرعية الملوك والسلاطين في المغرب والمشرق.¹ ويتبين تقديس أبناء الطريقة لذلك النسب، وانتساب شيخهم لذلك النسب المحمدي الشريف في قصيدتين من قصائدهم الشعرية:

الأولى لحسن الحكيم الحلبي والتي مطلعها:²

يا نور فجر الإرشاد يا رحمة للعباد ما تَمَّ إِلَّاكَ هادي بالقول والأفعال

شرفت كل البلاد يا معدن الكمال

الى أن يقول مُبَاهِيًا بشيخه وبنسبة شيخه، الحسنية الحسينية، المحمدية، وبنسبته هو لشيخه :

يا حسني يا حسيني يا روعي وضيا عيني انت الأمين بلا مِينٍ وسَيِّدُ الرجال

مَنْ ذا يداني كمالك من ذا يضا هي أفضالك نحن بباهي جمالك حزنا حسن الخصال

والقصيدة الثانية هي، لمحمود خضر الفحماوي، من بلدة أم الفحم بفلسطين:³

يا ابن المداني (جود) يا ساميَ الجَدِّين (وارعى) لنا العهود بحق نور الدين⁴

¹ بالنسبة لدور الأشراف في الحياة الدينية في المغرب يحيل فان أس. في مقالته البيشرطية ص 4 ، الى وستمارك ص. 36

² الحلبي، حسن الحكيم، اللطائف الروحية من الأشعار البيشرطية ص. 131-32

³ الفحماوي، محمود خضر، نفس المصدر ص. 534

⁴ كلمتي (جود) و(وارعى)، هما فعل أمر، الأول مبني على السكون وتحذف الواو لالتقاء الساكنين، والثاني مبني على حذف حرف العلة

3.3.2 البيئة التي أحاطت بالشيخ

نشا الشاب في جوّ ذي طابعٍ صوفي شعبي، وما نعرفه عنه في ذلك الحين "هو تفسير ولده إبراهيم، الشيخ اللاحق، للأحداث التي ترد الى ذاكرته، ويحدث بها أبناء الطريقة، ومن ضمنهم ابنته، واضعة الكتاب، كنوع من الارشاد." كان مطيعا لوالديه، يعطي مصروفه اليومي للفقراء، وكان لا يغادر البيت إلاّ للتعبد في المسجد أو لعيادة مريض. كان لا يحتمل رؤية طائر في قفص، فكان يشتري العصافير التي كان الأولاد يلعبون بها في الشارع ليطلقها. ويشير رشيد الزوادي (كاتب تونسي، مولود 1936) في كتابه "أعلام من بنزرت"، تونس 1996، صص 21-23 " الى أن كون الفتى وحيدا لوالديه واهتمام والديه المتزايد به، قد عمقا شفافيته تجاه الأحداث حوله، مما جعله يميل الى العزلة ومن ثم يميل الى التصوف. ومن تلك الأحداث هجوم الثائر الليبي "علي برغل" على جزيرة جربة واحتلالها قبل أن يتصدى له "حمودة باي" ويخرجه منها عام 1795¹. والأمر الثاني، وعلى رأي الزوادي، "والتي آلمته وانطبعت في نفسه، ما شاهده وهو في السادسة والثلاثين من عمره من نزوح قسري لعائلات جزائرية كثيرة الى بنزرت، إثر الاستعمار الفرنسي للجزائر عام 1830. وأرى أن الزوادي قد جانبه الصواب في هذا الاستنتاج، من أن ميل الشيخ البشري للتصوف كان نتيجة لحادثين عامين، أحدهما قبل أن يعقل، والآخر وهو في السادسة والثلاثين، ولم يكن لأيهما على ما يبدو أية علاقة مباشرة بالشيخ. وقد أرخ له المؤرخ المغربي رشيد الزوادي في كتاب "أعلام من بنزرت" ، وقدم فيه ترجمة وافية لمؤسس الطريقة البشيرية ، فقال عنه: " إنه من أعلام الدولة الحسينية ... تعلم ... ببنزرت أولاً، ثم التحق بتونس وحضر الكثير من الدروس في جامع الزيتونة ، وبعد أن ملأ وطابه من هذه الدروس اشتغل بالتنقيف في بعض المدارس الثانوية، حيث درّس التفسير والحديث، والأصول، والتشريع، والمنطق، والكلام ، وغيرها من المواد والفنون".² ويبدو أن صلته بالتصوف قد بدأت في

¹ صوافطة، وفا المدرسة الشاذلية البشيرية ص ص 190-191. ولكن يلاحظ ان الشيخ البشري ولد عام 1794 فليس من المعقول أن يتأثر بالأحداث التي وقعت قبل مولده، أو على الأقل وهو في السنة الأولى من عمره.

² الزوادي، رشيد، أعلام من بنزرت، تونس، 1996 ص 23

وقت مبكر، وانقطع عن أي شاغل أو عمل يباعد بينه وبين هدفه، فترك التدريس، " إذ لم يكن له هدف دنيوي قط، وجعل شغله مودة أهل الله".¹

4.3.2 تصوف الشيخ علي نور الدين

صحب الشيخ علي نور الدين كثيرا من الصالحين، وانتسب الى عدة طرق صوفية، ومنها الطريقة العيسوية الجزولية الشاذلية، تنسب الى الشيخ محمد بن عيسى الفهدي المكناسي (ت 1523). تم تعرف على الشيخ أحمد عبد الوارث، الذي قاده الى الطريقة المدانية المنسوبة للشيخ محمد حسن بن حمزة بن عبد الوهاب ظافر المداني². "فانتسب للشيخ المداني، وتجرد لخدمته ثلاثة عشر عاما، وترى على يديه في زاويته في مصرطة في ليبيا"³ والطريقة المدانية فرع من الطريقة الشاذلية الأم المنسوبة الى الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الجبار الشاذلي (1196-1258)، والذي أخذ الطريقة عن الشيخ عبد السلام بن بشيش (قتل 625 هـ / 1228)⁴. ولما رأى شيخه، المداني، فيه الأهلية، جعله مقدما على الفقراء، وأجازه باعطاء الطريقة المدنية لمن يرى فيه الأهلية. "ولم تزل مرتبته تتعالى، وخوارقه في الطريقة تتوالى، الى أن تأهل للإرشاد"⁵ ولم يمنعه تجرده من الزواج، فتزوج راضية الباجي ورزق منها بولد اسماء ابراهيم، وهو الذي تولى المشيخة بعده. وبعد وفاة زوجته تزوج من فافا بالكاهية، التي انجبت ابنته خوجية.

5.3.2 مشيخة الشيخ علي نور الدين للطريقة المدانية

في تجرده لخدمة شيخه، أفنى الشيخ علي نور الدين اليشريطي نفسه في شيخه: "لما افتقدت سمعي وجدت سمع سيدي المداني، ولما افتقدت ذوقي وجدت ذوق سيدي المداني. ولما افتقدت عقلي وجدت

¹ اليشريطية، فاطمة، رحلة الى الحق، ص 180

² يرد اسم الشيخ المداني في هذا البحث مرة بلفظ "المدني" وهو كنيته، ويرد بلفظ "المداني" بالألف وهو كما يلفظ بالتحبيب باللهجة المغربية

³ م. ن. ص ص 182-83

⁴ قتله ابن ابي الطواجن الذي ادعى النبوة فتصدى له الشيخ عبد السلام بن بشيش. للتفاصيل يمكن الرجوع الي كتاب "قطبا المغرب" للدكتور

الشيخ عبد الحليم محمود نشر دار الكتاب اللبناني، 1990

⁵ البيطار، عبد الرزاق، حلية البشر ج 2، ص 1065

عقل سيدي المداني. فصار شيخي قلبي، وزاويتي رأسي¹. وتوضح السيدة فاطمة اليشريطية هذا المعنى فتقول: " سيدي المداني رضي الله عنه، هو الشيخ محمد حمزة ظافر المدني، قدس الله سره، شيخ سيدي الوالد، وأحد أقطاب السلسلة الشريفة. وقد ورث عنه سيدي الوالد القطبانية الكبرى، والصديقية العظمى. ومعلوم أن والدي، قدس الله سره، بقي محتفظاً بقواه العقلية والجسدية، ولم يفقد منها شيئاً قط، والمراد بقوله هذا هو، الفناء في شيخه، حتى غدا سمعه سمع شيخه، وذوقه ذوق شيخه، وعقله عقل شيخه. وكنت ذكرت في كتابي (رحلة إلى الحق) صفحة 91، أن هذا الانطباع الكلي كان في المرتبة الفردية، وانطباعها فيه"². ولما توفي الشيخ المداني لم يكن الشيخ علي نور الدين في مصرطة، بل كان في سياحة في المشرق. ويبدو أنه كان هناك من يطمح في تولي المرتبة، " فهناك أولاد الشيخ المداني وكذلك الشيخ احمد عبد الوارث الذي كان زوج ابنة المداني. ولكن ابنة الشيخ المداني جمعت اتباع الطريقة المدانية وأعلمتهم أن الوراثة المحمدية قد ذهب بها الشيخ علي نور الدين.³ "وقد فضّل الشيخ علي نور الدين " الابتعاد عن جو الصراع على الخلافة، فمكث أياماً في مصرطة، يسوي فيها أوضاع أسرته، ثم هاجر الى المشرق في سياحة استغرقت ثلاث سنوات قبل أن يستقر في عكا في فلسطين. ويقول الشيخ اليشريطي: "حينما كنت طائفاً بالكعبة المشرفة، مرت علي روحانية سيدنا إبراهيم، فقال لي: مرحبا بك يا علي! مكّن الحربة في عكا، فأجبتّه: على رأسي يا سيدي."⁴

وقبل أن يصل إلى عكا، كان الشيخ علي نور الدين ابن يشرط، قد أدى فريضة الحج، وقضى سنوات في البلاد المقدسة في الحجاز مُجاوراً. وتوجّه بعدها لزيارة قبر الشيخ الأكبر، الشيخ أبي الحسن الشاذلي(1167-1258)، والذي سميت الطريقة باسمه، في بلدة القصير على البحر الأحمر في مصر. وهناك صدر الإذن الإلهي للشيخ بالرحيل إلى الديار الشامية لزيارة المسجد الأقصى في القدس الشريف. وركب البحر من مدينة الاسكندرية في سفينة شرعية تقصد مدينة يافا، إلا أن عاصفة شديدة هبت، فلم تتمكن السفينة من الرسو في ثغر يافا، وجذبتها الرياح إلى شاطئ البحر بين بيروت وصيدا،

¹اليشريطية، فاطمة، نفحات 409

² م. ن. هامش ص 216

³ فان أس، داس يشريطية، ص ص 10-11، وانظر المخطوطة المرفقة من " جوهرة المحبين"، للشيخ علي الطقطاق الحرستاني

⁴ اليشريطية، فاطمة، نفحات 1203

أمام قبر النبي يونس. وكان صاحب السفينة من أهل مدينة بيروت من - آل شبارو - رجلا صالحا محبا لأهل الله، فأبى أن يأخذ أجرته، هنالك قال له الشيخ اليشرطي: "مُدَّ يدك أبايَعُك ! أريد أن أكافئك". وأعطاه الطريقة الشاذلية المدنية، التي تطورت فيما بعد الى الطريقة الشاذلية اليشرطية، فكان أول مَنْ أخذ الطريقة عن الشيخ علي نور الدين اليشرطي، في تلك البلاد، وكان فيما بعد من أخلص مريديه. وفي تلك الليلة، في مقام النبي يونس، رأى الشيخ النَّبِيُّ يُونُسَ، رؤيا عيانٍ مُرَحَّباً به، ومُشَجَّعاً إِيَّاهُ، ويقول الشيخ اليشرطي: "حينما هَبَطْتُ أرض الساحل، بين بيروت وصيدا في بلاد الشام، بثُّ تلك الليلة في مقام النبي يونس، واجتمعت بروحانيته الشريفة، فضمني إلى صدره مُرَحَّباً ومُشَجَّعاً. ثم قال لي: يا علي! مَكَّن الحرية في عكا. فقلت: سمعاً وطاعة. ودعا لي بالفتح المبين".¹

"وفي صباح اليوم التالي، رحل متوجها إلى عكا عن طريق البر، وما أن شارفها، ووقف في بَرِّيَّتِها أمام مقام النبي صالح، خارج السور، حتى كان على علم بأمر الله تعالى، وأن هاهنا المُقام، وأن هنا مشرق أنوار الولاية الكبرى، والصدّيقية العظمى، فأحس بنفحة الاستقرار الروحي، وزال عنه ما كان يجده من قيود وتبعات روحية، كانت ترغمه على متابعة السفر والانتقال من مكان إلى آخر، بعد أن قضى أربعة عشر عاما سائحا داعيا إلى الله ورسوله".²

6.3.2 مدينة عكا في القرن التاسع عشر

تقع مدينة عكا في الطرف الشمالي لخليج عكا في فلسطين، بينما تقع مدينة حيفا في الرأس الجنوبي للخليج، على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط. وتشكل في موقعها ما يشبه شبه جزيرة تحيط بها المياه من ثلاث جهات، ويحيط بها سورٌ عالٍ له بابان، وخذق من الجهة الرابعة. وتمتد المروج السهلية في بَرِّها الشَّرْقِي، بينما كانت مدينة حيفا بلدة صغيرة هادئة تقع في المنطقة الجبلية من جبل الكرمل. فكانت عكا مركزا للقيادة العليا للجيش التركي في فلسطين، ولذلك كانت تعتبر منطقة عسكرية لا يسمح بالبناء أو زراعة الأشجار العالية، في المروج خارج السور. فكانت تزرع فيها فقط الأزهار والرياحين وتنمو فيها زنايق الحقول، مما دعا الى تسمية حديقته باسم حديقة البهجة.

¹ م. ن. 188

² اليشرطية، فاطمة. رحلة الى الحق ط 4، د.م. 1997

وكانت تزابط فيها فرق من الجيش كاملة العدة والعدد، ولذلك كان يسكنها كثير من أميرالايات الجيش وقواده وضباطه وكثير من الحكام المدنيين مع عائلاتهم. كما أنها كانت مكاناً يُنفى إليها المبعدون السياسيون من الأستانة مقر الخليفة العثماني ومن غيرها من البلاد الخاضعة للحكم العثماني، الذي كانت تطلق عليه الدول الغربية في ذلك الوقت لقب "رجل أوروبا المريض" *The sick man of Europe*. وكانوا يتآمرون ويندارسون وسائل القضاء عليه. ولما كانت مدينة عكا مقراً لكبار ضباط الجيش والمبعدين السياسيين والحكام المدنيين، " فقد كان أهل هذه المدينة منهم العظماء والكبراء والوزراء والمفكرين والعلماء الأعلام، ومشاهير الأدباء." ¹ بالإضافة إلى أن مدينة عكا كانت من أهم الثغور على ساحل البحر المتوسط، نظراً لتوسط موقعها وقرب مواصلاتها البرية والبحرية. ومن أهم معالمها جامع الجزائر الذي أنشأه أحمد باشا الجزائر (1734-1804)، فيه المدرسة الأحمدية، ومكتبة تحتوي الكتب النفيسة مما جعل المدينة موئلاً لطلب العلم من فلسطين وسائر بلاد الشام. وبذلك كانت مدينة عكا موقعا خصبا لتلقي علوم الشيخ اليشرطي الصوفية الذوقية، وأقرب إلى تقبل الطريقة الشاذلية اليشرطية في عكا وفي ما حولها من المدن والقرى الفلسطينية، وَمَنْ تَمَّ انتشأؤها في بلاد الشام.²

7.3.2 الشيخ علي نور الدين في عكا بفلسطين

دخل الشيخ علي نور الدين اليشرطي، مدينة عكا سنة 1850 ميلادية. ونزل في جامع الزيتونة، وهو مسجد صغير بالقرب من السوق، في وسط المدينة يجتمع فيه خَلْقٌ كثير في أوقات الصلاة. "واعتكف في المسجد ثلاثة أشهر ثم خرج من اعتكافه وقال للناس في المسجد: يا أهل عكا! إن في مدينتكم كنزاً سوف أخرجكم لكم. ثم عاد إلى اعتكافه ثلاثة أشهر أخرى، وبعدها خرج إلى الناس." ³ وما كاد يجلس بعد الصلاة ويتكلم بما أفاض الله عليه، حتى أقبل الناس عليه يصغون لدعوته؛ إذ لم تشهد البلاد السورية نهضة صوفية منذ انتقال الشيخ عبد الغني النابلسي (1050-1143 هجرية، 1641-

¹ م. ن. ص ص 213-214

² من المستغرب ان الطريقة الشاذلية اليشرطية لم تصل الى منطقة شرق الأردن، ولم يكن يسكنها من أبناء الطريقة في منتصف القرن العشرين سوى عائلتين (أسرة "أبو محمود حمدي الطيب" وأسرة "أبو سعيد فوزي حيمور")، بحكم عمل اوليائها في سكة حديد قطارات فلسطين وسكة حديد الحجاز. ولم تصل الطريقة الى الأردن إلا مع اللجوء الفلسطيني إثر النكبة عام 1948

³ الحرساني، علي الطقطاق مخطوطة جوهرة المحبين، وبكلمة "كنزاً" يعني " كنزاً من العلوم الذوقية الروحية"

1730 ميلادية)، إلا بعد قدوم الشيخ علي نور الدين اليشرطي إلى عكا سنة 1850. وكان أول من تلقى عنه الطريقة الشاذلية وانتسب إليه، هم مفتي عكا الشيخ قاسم العرابي، والتاجر الكبير الحاج أحمد دلال، والسيد أبو أيوب القبلاوي. ولم تمضِ إلا أيام معدودات، حتى تبعهم معظم القادة الأتراك، إذ كانت عكا، كما قلنا، مقرا للحامية التركية، والعلماء والزعماء وأرباب الأعمال والحرف وغيرهم. ثم أخذت الوفود من المدن والقرى المجاورة تهرع إليه يبايعونه على الطريقة.

8.3.2 الشيخ علي نور الدين في ترشيحا

وأما الشيخ علي نور الدين اليشرطي، مدة في عكا، يدعو إلى الله بذلك التوجيه الصوفي، قام خلالها بزيارة القدس سنة 1850/1266 هجرية¹. إلا أن انتقاله من المناطق الحارة في إفريقية إلى المناطق الرطبة أثر على صحته أثرا كبيرا، الزمه الفراش لفترة طويلة من الزمن. ثم قرر الأطباء ضرورة انتقال سكن الشيخ إلى منطقة جبلية، فإما أن يذهب إلى مدينة صفا أو إلى قرية ترشيحا. ونظرا لصعوبة المواصلات في تلك الأيام، ولأن بلدة ترشيحا كانت هي الأقرب، اختار الشيخ الذهاب إلى ترشيحا، فكانت هي المقر الثاني للطريقة في فلسطين.

وبعد أن استقر بالشيخ المقام في ترشيحا واستردّ عافيته، بدأ بالدعوة بالإرشاد إلى سبيل الله، ونشر الطريقة الشاذلية، فكان أول من لبى الدعوة بالانتساب إليه الشيخ محمد الصالح، قاضي ترشيحا الجبل وأسرته، والسيد يوسف شريح الشريف الحسيني وأسرته، وابن أخته السيد مصطفى توسيز، والشيخ احمد عبد الرحمن، والسيد احمد المعتصم، وغيرهم كثيرون.

وفي تلك الأثناء، إقترن الشيخ علي نور الدين، بالسيدة خديجة توسيز، كريمة احمد بك توسيز، وهو من أمراء المماليك في مصر. توفي عنها زوجها السابق يعقوب بك المصري الثري الكبير الذي كان يقطن عكا، ولم تنجب منه أولادا. وبعد وفاته ورثت عنه مالا وعقارا وأراضٍ زراعية، فكان لهذه السيدة أعظم الأثر في خدمة الطريق وأهله، وبذل المال في سبيل الله، والسعي لبناء الزوايا. وبعد انتقالها تزوج أختها رتيبة توسيز التي أنجبت له فاطمة اليشرطية صاحبة مؤلفات الطريقة.

¹ اليشرطية، فاطمة، رحلة إلى الحق ص 241

وبعد هذا الاستقرار الروحي والسكينة والطمأنينة بالله، انتشرت الطريقة الشاذلية اليسرطية في عكا، وصفد ، والقدس، ودمشق وضواحيها، ومنطقة البقاع في لبنان، وحلب وضواحيها، والرقّة ودير الزور ، وطرابلس من لبنان ، وبيروت وصيدا وحيفا ويافا ، وغزة وغيرها من البلاد. وانتشرت بعدها في جزر القمر، التي ينتسب أغلب مواطنيها إلى الطريقة، وانتشرت كذلك في غيرها من البلدان الأفريقية. ثم انتشرت إلى بلدان المهجر في أمريكا الشمالية، فتوجد الآن جاليات كبيرة من أبناء الطريقة في مدينة 'كالجاري'، وغيرها من المدن في كندا، من أصول لبنانية وفلسطينية، ولحقهم لاجئون من سوريا نتيجة أحداث سوريا بعد سنة 1911. كما أن هناك جالية كبيرة أخرى في "ساو باولو" بالبرازيل، من أصول من البقاع اللبناني.

ولما كان الشيخ هو مركز الطريقة: " الطريق ذكر الله ومحبة الشيخ"¹. فقد كان أبناء الطريقة يتوافدون لزيارة الشيخ في مقر إقامته في بلدة ترشيحا في المواسم والمناسبات الدينية كعيد الأضحى، وعيد الفطر، والمولد النبوي الشريف، للتبرك واكتساب الأوصاف، كما يقول الشيخ: "نحن أي شيء عندنا؟! عندنا اكتساب أوصاف. المدد يصل إلى جميع الفقراء. لكنهم يأتون لزيارة الشيخ لاكتساب الأوصاف"².

9.3.2 نفيه إلى جزيرة رودس³

ولكن نظرا لتكاثر أعداد الزائرين وبعض الدسائس ممن يعترضون على التصوف والمتصوفين، شكّت السلطات بأن الشيخ قد جند مئة ألف مقاتل من أتباعه للقيام بثورة على السلطنة العلية العثمانية⁴، كثورة ظاهر العمر⁵ (1689-1775) الذي ثار على العثمانيين واحتل عكا، وأقام سلطة مستقلة في

¹ اليسرطية، فاطمة، نفحات 3

² ن. م. 117-118

³ رودس جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، تتبع اليونان وهي أقرب إلى تركيا. مشهورة بتمثال ابولو رودس وه أحد عجائب الدنيا السبع، وبآثار قلاع فرسان القديس جون التي بنوها أثناء الحروب الصليبية. تعقب عليها اليونان والرومان وفرسان الحروب الصليبية، ثم احتلالها من قبل السلطان سليمان القانوني سنة 929 هـ. وكانت تخضع للسلطنة العثمانية وقت نفي الشيخ علي نور الدين اليسرطي إليها

⁴ دي يونغ ص 159

⁵ ولد ظاهر العمر في حدود عام 1689، في مدينة عرابة شمال فلسطين، قام ظاهر ببناء علاقة وطيدة مع عائلات ووجهاء المنطقة مما ساعده على بناء حكم مستقل في شمال فلسطين. اصطدم ظاهر بالحاكم العثماني عام 1721 لدى دعمه لأهالي قرية البعنة في رفضهم دفع الضرائب المتركمة عليهم، واستمر بالسيطرة حتى ساد على الجليل وشمال فلسطين بعد خلع الحاكم التركي، حارب ظاهر العمر الشهابيين كما

الجليل وشمال فلسطين سنة 1721. ولذلك رأى رشيد باشا الشيرواني¹، حاكم سوريا في ذلك الوقت، أن يتم نفي الشيخ علي نور الدين الى جزيرة رودس. فقامت ثلة من قوات الجيش بمحاصرة الزاوية في ترشيحا، ونقل الشيخ وثلاثة من أتباعه عن طريق الجبل الى بيروت، برفقة مجموعة كبيرة من الضباط والجنود، الذين انتسبوا لاحقا الى الطريق، لما رأوه من تقوى الشيخ وصلاحه. ثم نقل على سفينة الى منفاه في جزيرة رودس في البحر الأبيض المتوسط.² وكانت إقامته التي دامت واحدا وعشرين شهرا في بيت مفتي الجزيرة، وهناك اتبعه مريدون كثيرون وأنشأ زاوية هناك، خصصت الحكومة التركية لها مبلغ عشرة دنانير ذهبية شهريا.³ ومع أن عبد الرزاق البيطار في كتابه حلية البشر⁴، قد أفاض في التشنيع على الطريقة وسبب نفيه، إلا أن معاملة السلطة بهذه الطريقة توضح عدم مصداقية الاتهامات الباطلة التي كالتها البيطار للطريقة وأبنائها، وسار كثيرون على أثره. ولما استيقنت السلطات العثمانية خطأها، اعتذرت اليه، وعرضت عليه أن تعينه شيخا للسلطان، فرفض العرض، ومن أقواله رمزاً: "الذي يخدم السلطان ويلبس البدلة يطأطئ رأسه هكذا، ويكون السيف فوق رأسه هكذا".⁵ وفضل العودة الى مقره السابق، إلا ان السلطة اشترطت عليه ألا يجعل إقامته الدائمة في ترشيحا. وكانت عودته عام 1285 هجرية. ومن جوانب هذا الحدث " قامت اتصالات بين الشيخ اليشرطي وحاشية السلطان عبد الحميد، الأمر الذي تمخض عنه انتساب السلطان عبد الحميد الثاني وكثير من رجالاته للطريقة، ويتبين ذلك من الرسائل المتبادلة فيما بين الشيخ اليشرطي وبين السلطان وأركان ديوانه".⁶

حارب والي دمشق وتعدى على ولايته بمحاولته السيطرة على نابلس، واستطاع السيطرة حتى على صيدا ودمشق بمساعدة قوات علي بك الكبير واهالي جبل عامل ولكن القوات التركية عادت لتسيطر على تلك المناطق وتقضي على الاستقلال الذي تمتع به الكيان الذي أنشأه ظاهر العمر وذلك بقيادة أحمد باشا الجزار وقتل ظاهر العمر في حدود عام 1775.

¹ فان أس اليشرطية Das Yasrutiya ص 15

² اليشرطية، فاطمة، رحلة الى الحق ص ص 225-228

³ فان اس Das Yasrutiya ص 18

⁴ للتفصيل انظر فان اس، اليشرطية Das Yasrutiya ص ص 16-17

⁵ اليشرطية، فاطمة، نفحات 1290

⁶ م. ن. ص ص. 230 - 237

10.3.2 الطريقة الشاذلية اليشرطية في جزر القمر وشرق إفريقيا

تقع جزر القمر في المحيط الهندي على مقربة من الساحل الإفريقي الشرقي. وينحدر سكانها من عروق مختلفة، فمنهم عرب مهاجرون من حضرموت واليمن في جنوب الجزيرة العربية، ومنهم جماعات البانتو، أتوا إليها من ساحل إفريقيا الشرقي، وتتكون الدولة من أربعة جزر: انجزيجة، جزيرة موالى، وجزيرة أنزواني، وجزيرة ماهوري بالإضافة إلى العديد من الجزر الأصغر مساحةً، وجزيرة مايوت التي صوتت ضد الاستقلال عن فرنسا التي تعتبرها فرنسا مستعمرة فرنسية عبر البحار، ولا زالت تحكمها. "وكان دخول الإسلام الى الجزر عن طريق ثلاثة رجال من جزر القمر سمعوا بالنبي محمد، صلى الله عليه وسلم، فخرجوا إلى مكة بواسطة سفن شراعية إلى دار السلام، وكانت تدعى سابقاً مزيزيما من بلاد الزنج، ومنها عبّر السودان إلى جدة ومنها إلى مكة، حيث علموا أن الرسول قد توفي قبل وصولهم بتسعة أيام. واعتنقوا الإسلام ورجعوا إلى بلدهم حيث نشروا تعاليمه هناك. وسكان جزر القمر مسلمون على المذهب الشافعي، وللطرق الصوفية دور مهم في حياة البلاد الاجتماعية والدينية، واهمها وأكثرها انتشارا وتأثيرا الطريقة الشاذلية اليشرطية هناك".¹

ولانتشار الطريقة في الشام (سوريا)، أورد رواية، أخذتها عن أحد أبناء الطريقة حكاها عن جده: "أرسل الشيخ اليشرطي، الشيخ أحمد عبد الرحمن إلى دمشق لنشر الطريقة وعند وصول الشيخ أحمد عبد الرحمن إلى دمشق، نزل في جامع الكردان، في حي الأكراد. وعند صلاة الفجر، التقى بالشيخ ابراهيم الكردي (جد الراوي)، الذي دعاه لزيارته في بيته، وهو قريب من الجامع، ونزل الشيخ احمد عبد الرحمن، بضيافة الشيخ ابراهيم آل رشي الكردي ثلاثة أيام، وأعطاه الطريق وأخذ عليه العهد".² "وأقام الشيخ احمد عبد الرحمن في دمشق، يدعو إلى طريق الله، وكان يرافقه في رحلاته الشيخ محمد جدبية الصيداوي. وبعده ذهب الشيخ مصطفى الخليلى إلى مدينة حلب الشهباء وضواحيها، وقام هو والشيخ

¹ ناصر، اسكندري فوزي القمري، "أساليب التربية في الطريقة الشاذلية اليشرطية في جزر القمر"، دار البشائر، 2012، ص ص 137-138

² رواية شفاهية عن أحمد آل رشي الكردي، من أبناء الطريقة في دمشق

محيي الدين الاسكندراني الصيداوي، بسياحاتٍ طويلة، يطوفان المدن والقرى لنشر مبادئ الطريقة في بلاد الشام.¹

وهكذا وبقوة المدد المحمدي الذي حمله الشيخ علي نور الدين، انتشرت الطريقة، فوصلت البقاع اللبناني ، وتجاوزته إلى بلاد الشام خلال سنتين، من دخول الشيخ علي نور الدين اليشرطي، الى مدينة عكا في فلسطين. وقد أرخ العالم الكبير الشيخ سليم الخطيب البقاعي، السنة التي تشدل بها هو وأهل سورية والبقاع في بيت في قصيدة نظمها،(1268 هـ)²:

أصيرير أقلام المودة بيننا قد أرخت: أحكامنا الدائية

4.2 الشيخ ابراهيم بن علي نور الدين اليشرطي

خلف الشيخ علي نور الدين على مشيخة الطريقة الشاذلية اليشرطية ولده الشيخ ابراهيم بن علي نور الدين اليشرطي (توفي 1346 هجري 1927). وقد ولد الشيخ ابراهيم اليشرطي في بنزرت وتزوج هناك. ثم لما احتلت فرنسا تونس الغرب استقدمه والده اليه، فانتقل مع أسرته الى عكا حيث أخذ الطريقة على والده وترى التربية الروحية على يديه، وتولى مشيخة الطريقة بعده. وقد أتم بناء الزاوية الشاذلية اليشرطية في عكا، والتي كان والده الشيخ علي نور الدين اليشرطي قد بدأ بإنشائها. ثم خلف والده في مشيخة الطريقة التي كانت قد انتشرت في أرجاء عديدة من العالم الإسلامي وخاصة في فلسطين وسوريا، إلى أن توفي في عكا ودفن إلى جانب والده، في المشاهد في الزاوية الشاذلية اليشرطية فيها.

وقد انجب اثنين من الأبناء هما: الشيخ محمد الهادي اليشرطي الذي آلت إليه أمانة الطريق بعد انتقال والده. والإبن الثاني هو الدكتور عبد اللطيف اليشرطي اشتهر كطبيب حاذق في فلسطين والخليج العربي (قطر). ورزق بالإضافة الى ذلك بعدد من البنات.

¹ اليشرطية، فاطمة، "رحلة الى الحق" ص 363

² بحساب الجمل تحسب الحروف بعد كلمت أرخت، باعتبار رقم يعادل كل حرف، فالألف=1، والبا=2 وهكذا حتى رقم 10، 20، 30، حتى 100، ثم 200، 300، 400 حتى 1000

5.2 الشيخ محمد الهادي بن ابراهيم اليشرطي

ولد في عكا في فلسطين سنة 1900 ، حيث تلقى تعليمه في المدرسة الأحمدية ، وخلف والده ابراهيم اليشرطي على مشيخة الطريقة في عكا عام 1927/1928. وبعد الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين عام 1948 انتقل الشيخ الى بيروت في لبنان حيث عاش بقية عمره حتى توفي هناك سنة 1980. وقد انجب عددا من الأبناء هم: الشيخ احمد اليشرطي شيخ الطريقة القائم، الدكتور صلاح اليشرطي والدكتور ابراهيم اليشرطي وهما طبيبان، والمهندس خالد اليشرطي¹ توفي في بيروت عام 1971.

6.2 الشيخ أحمد بن "محمد الهادي" بن ابراهيم اليشرطي

استلم مشيخة الطريقة الشاذلية اليشرطية بعد انتقال والده في 1980/6/24، ولا يزال قائما على رأس الطريقة، واتخذ من عمان مقراً للطريقة حيث أنشأ مجمعا للزاوية هناك. ولد في عكا 1928/10/2، وعاش فيها وتلقى علومه الابتدائية والثانوية في مدارسها. ودرس العلوم الاقتصادية والسياسية في الجامعة الأمريكية ببيروت سنة 1950. ثم حصل على الدبلوم العالي في العلوم القانونية والفقهاء من معهد الدراسات العليا التابع للجامعة العربية. وتابع ليسانس الحقوق في جامعة القاهرة بمصر. وعمل في المحاماة في عمان في الاردن، إلى جانب تولي مسؤولية إدارة شؤون الطريقة في الأردن نيابة عن والده الشيخ محمد الهادي. وله مذكرات اسبوعية دورية في اجتماعات أهل الطريقة ابتداء من العام 1967 في عمان وبيروت ودمشق، وكذلك في زيارته لمراكز الطريقة في السعودية وقطر والكويت، وفي كندا والبرازيل، وكذلك في زيارته لجزر القمر، تتوف في مجموعها عن 2600 محاضرة، أو كما يسميها ابناء الطريقة "مذكرات"، يقوم، اثنان مكلّفان، من أبناء الطريقة بكتابتها خطيا بالإضافة الى تسجيلها على أشرطة المسجلات الكهربائية. ثم تعرض على الشيخ بعد طباعتها حيث يقوم بتتقيحها. ويقوم الآن فريق من ابناء الطريقة، بتعليمات من الشيخ وتحت اشرافه المباشر، بتنسيقها لجمعها في أسفار. وتتضمن هذه المذكرات شروحات لنصوص الوظيفة الشاذلية اليشرطية، والآيات القرآنية بما يتناسب مع المواسم الدينية الشرعية، وبما يتلى من الآيات القرآنية في اجتماعات أبناء الطريقة.

¹ تخرج المهندس خالد اليشرطي من كلية الهندسة في الجامعة الأمريكية في بيروت، وعرفته أثناء دراستي في نفس الكلية (1955-1959)، وكان أمينا للصندوق القومي الفلسطيني التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، وقتل في بيروت في حادثة في أحد مواقع البناء التي كان يديرها

ونظرا لارتفاع أعداد أبناء الطريقة في عصر ولاية الشيخ احمد اليشرطي، تقام الصلوات الجامعة في عيد الفطر وعيد الأضحى وصلاة الجمعة في مقرات الزوايا، حيث يتناوب ابناء الطريقة أداء خطبة الجمعة وخطب صلاة العيدين والمناسبات.

ويتضح من سيرة الشيخ احمد اليشرطي انه مصمم على الانفتاح على المتغيرات الاجتماعية والحياتية، ضمن الحدود التي رسمها اجداده وابوه وبحدود ما يتيح الخط الصوفي الذي يسعى للعرفان. فاتجه الى إنشاء المزيد من الزوايا في العالم الجديد، الولايات المتحدة وكندا والبرازيل، وكذلك في المدن السورية والأردن ولبنان. وإضافة الى ذلك فهو يضيف الى ما قام به أسلافه بجعل افتتاح الزوايا يأخذ أبعادا اجتماعية وحياتية، إذ يدعو كبار الشخصيات الدينية والاجتماعية الى هذه الزوايا كما حدث في افتتاح زاوية بيروت بمنطقة خلدا في 13/7/1998، وزاوية كامد اللوز في 24/7/1999. كما يصر على الاستقلالية المالية للطريقة وللزوايا، ويرفض أية مساعدات مالية حتى يحافظ على استقلالية القرار للطريقة، وعدم تبعيتها لولاية أي جهة حكومية رسمية او خاصة ، ويبدو أن هذ الاستقلالية هي ما اعطى الطريقة الشاذلية اليشرطية استمراريتها.

1.6.2 الشيخ احمد اليشرطي وعلوم التصوف

يقول الشيخ أحمد اليشرطي في مذكراته: "يقوم التصوف على علمين: علم بالذات وعلم بالحق. "فالتصوف كغيره من الأمور، لا يدرك إلا بواسطة، ولأن التصوف كيان قائم بذاته وله أحكام وله قواعد وله سبل وله آثار، فهذه لا تتحقق عند طالب التصوف إلا بواسطة علم التصوف. فكما كان هناك ما يسمى بعلم الشريعة، فهناك أيضا ما يسمى بعلم الحقيقة ، فعلم الشريعة له أحكامه وله قواعد وله سبله وآثاره وبالنتيجة تتحقق أحكام الشريعة عند المتشرع . وكذلك التصوف له أحكامه وله قواعد وله سبله وله آثاره التي إذا تحققت عند المتصوف أصبح صوفيا فما هو علم التصوف؟

فقهاء التصوف قالوا أن علم التصوف يدور على أصليين، وضعوا نتيجة لهذين الأصليين: الأصل الأول هو: علم يبحث في العبد، وهو علم بالذات ومراتبها وحقوقها وحدودها، وقالوا إن معرفة النفس هي مفتاح معرفة الحق؛ والأصل الثاني علم بالحق ومعرفة تجلياته بأسمائه وصفاته وأفعاله. فكأن الكون قائم على قاعدتين! ربوبية وعبدية، فلولا الحق الفاعل لما كان الكون ولما وجد، والكون قام في استمرارية وجوده على كاهل العبد. ومعرفة العبد للحق لا تستقيم إلا إذا استطاع هذا العبد أن يعرف

نفسه. فعندما يعرف العبد أنه هو عبد، عندئذ، تتفتح له أبواب معرفة الحق. فطالما أن العبد غير مُسلّم وغير عالم بأنه عبد، وطالما لم يتحقق في نفسه أنه هو عبد، فمن المستحيل عليه أن يستطيع أن يطرق أبواب الحق.

1.1.6.2 الأصل الأول في علوم التصوف: العلم بالنفس

البحث من قِبَل العبد في أمره، يبدأ ويستمر وينتهي في البحث في نفسه هو. ويجب عليه أن يحصر البحث في نطاقه هو، أي أن يبحث في داخلية نفسه. فعلم التصوف يبحث في العبد بصفته عبدًا. والذي يحرك الإنسان هو النفس، وحتى يستطيع هذا العبد أن يتحقق من شؤون نفسه، عليه أن يعرف حدودها وحقوقها حتى يتبين مراتبها فتستقيم أمورها عنده. وأن يعرف أيضاً من يضع له حقوق نفسه وحدودها. ولكن يبقى تساؤل هو: من الذي يصنع الفيلسوف أو النبي؟ وفي المقاربة الصوفية، الجواب هو (الحق) الله. وحتى تبني مدينة فاضلة، يتطلب الأمر أن تبني إنساناً فاضلاً. وحتى تبني إنساناً فاضلاً، رسم (الحق) لهذه النفس ما لها من حقوق وما يتوجب عليها من حدود. وهذه تأتيه بواسطة التعاليم التي ترسل إليه بواسطة التشريعات حتى يتمكن لهذا العبد أمره، ويرضى عنه الحق فيُقرّه إليه. يعني أولاً الإنسان الذي هو عبد لا يجوز لكل فردٍ منه، أن يشرّع لنفسه، فتتضارب المجتمعات وبالنتيجة الأخيرة تتضارب الحياة. ولذلك جاءت الأنبياء وكانت التشريعات.

فطالب التصوف يتوجب عليه أن يأخذ بما جاء على أيدي الرسل من تعاليم الحق، ولهذا قيل إن الشريعة باب الحقيقة، وطالب التصوف يحتاج لمن يأخذ بيده ويرشده، فكان له نبيه ومرشده. فإذا تمكنت الأحكام التي جاءت بواسطة الرسول وعلى لسانه من هذا العبد، طالب التصوف واستقام أمره في سلك التصوف وتمكنت له قدماء في التصوف، عندئذ يستطيع هذا العبد أن تنتزل عليه علوم الحق اللدنية. فالعلوم اللدنية لا تنتزل إلا بعد تمكن العلوم التلقينية من هذا العبد. فإذا استطاع هذا العبد يتبين حقوق نفسه وحدودها وقام بأحكام هذه الحقوق وهذه الحدود، في هذه الحالة يستطيع هذا العبد أن يعرف في أي مرتبة تقف نفسه. فمن أجل هذا وضع فقهاء التصوف الأصل الأول وهو علم بالنفوس ومرتبتها وحقوقها وحدودها، والالتزام بهذه الحدود. فإذا استطاع هذا العبد أن يتحكم في نفسه بما لها من حقوق وما عليها من حدود استطاع عندئذ أن يتصرف بهذه النفس بالشكل المرضي، فتصير نفسه نفساً (راضية) فإذا صارت نفسه نفساً راضية، رضي عنها الحق فتصير بالتالي نفساً

(مرضية) فإذا وصلت نفسه إلى هذه المرتبة، كان لها الحق في العودة إلى رحاب (الحق)، وأن (ترجع إلى الحق): (إرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي، وادخلي جنتي).¹ فعلم التصوف يبتدئ بالعلم بهذه النفس وحدودها.²

2.1.6.2 الأصل الثاني: العلم بالحق

العلم الثاني من علوم التصوف فهو علم العبد (بالحق)، ومعرفة تجلياته بأسمائه وصفاته وأفعاله. والعبودية هي غير العبودية؛ فالعبودية هي الحال أو الوضع الذي يترتب على العبادة، في حين أن العبودية هي الحال أو الوضع الذي يترتب على قوة السيد مقابل ذل العبد. ومع أن جميع المخلوقات تكون أمام الحق في موقف العبد تجاه السيد، إلا أن الحق لا يريد لهذا الإنسان أن يكون ذليلاً. ومن أهم قواعد التصوف، أن التصوف لا يرضى أن يكون المخلوق ذليلاً حتى أمام الحق، بمعنى أن التصوف يريد أن يرى أبنائه رجالاً أعزاء أقوىاء في جانب الله، ويضع كل الإمكانات وكل التوجيهات والإرشادات أمام أبنائه ليخلق فيهم الرجال الأقوياء. "الذي لا يقوي قلبه، لا يتعمّر".³

"والوسيلة التي تمكن المتصوف من العلم بالحق، هي معرفة (الحق)، والمعرفة طوّرت فوق طوّر العلم. فالعلم تلقيني أما المعرفة فهي أن يعيش الفقير التجلي ذاته بتجليات الحق. فالحق وهو ذات، والذات سرّ، ولا تعرف الذات إلا عن طريق التجليات، ولا تتحقق هذه المعرفة إلا لمن تجاوز حدود التعلم، ووصل إلى مرتبة العلم. وهؤلاء هم نوع مميز مختار من الصوفيين الذين تجاوزوا الحدود البشرية، فحقق لهم الحق في الاتصال المباشر (بالحق). وهؤلاء المصطفين الأخيار الذين يصطفاهم الحق، يقربهم إليه ويرفع ما بينه وبينهم من حجب، فيعرفهم عليه. والوسيلة لمعرفة الحق، كما ذكرنا هي

¹ القرآن الكريم، سورة الفجر، 89:30. وتفسر الآية بمعنى الحساب في الآخرة، وتؤول في التصوف على أنها جنة المعرفة والشهود في هذه الدنيا

² مقتطفات بتصريف، من مذاكرة الشيخ أحمد البشري مساء 1977/10/6، و 1977/10/13 في بيت المريد جميل الصيفي، وبيت أبو عادل للوه بالتناوب، حيث لم يكن للطريقة زاوية في ذلك الوقت. علماً أن افتتاح الزاوية في منطقة الدوار الرابع، جبل عمان، في الأردن، كان يوم 1980/11/13م، وافتتح مجمع جديد للزاوية في منطقة الجندوبيل في عمان الغربية سنة 1426 هـ/ 2006 م

³ البشرطية، فاطمة، نفحات 157

معرفة تجلياته. فعندما أراد الله أن يُعرفَ خلق الأكوان أي خلق المخلوقات¹، وجعلها وسيلة تأخذ بيد العبد فتدله على الحق. وهذه التجليات تظهر في ثلاثة عناصر: في أسماء الله (أسماء الحق)، وفي صفات الحق، وفي أفعال الحق. فتجليات الحق تظهر في أسمائه، والآثار التي تظهر في الكون هي مطابقة لأسماء الحق، من الشديد والرحيم والغفور والتواب. أما في أفعاله فتظهر تجلياته، مثلاً في إنزال المطر فهو الممطر، وفي الزرع وفي تكوين الحمل، وخلق الإنسان، وكلها تكون بفعل الحق في هذا الأمر. ويتجلى الحق بصفاته، وهذه الصفات هي التي تميّز الحق عند العبد. وتعني عبارة "معرفة المتصوف بصفات الحق" أنه يعرف مميزات الحق. ولذلك هذا المتصوف لما تأتي أمامه صفة من الصفات يستطيع أن يرى من خلال هذه الصفة من هو المتجلي في هذه الصفة. يعني مع أن صفات الكمال وصفات النقصان هي من خلق الحق ولكن الحق خلق كل شيء، ومن جملتها الصفات، واختص نفسه بصفات الكمال، وترك الصفات الأخرى لغيره من شياطين الجن و الإنس، حتى يتمكن العبد من تمييز الحق عن غيره من خلال الصفة؛ فصفة الكمال تدل على الحق وصفة النقصان تدل على غير الحق. فإذا ظهرت أمام العبد صفة نقصان، فيجب أن يعرف هذا العبد أن المتجلي فيها هو غير الحق. وبالتالي لا يجوز لهذا العبد أن يتبع من يتجلى بصفات النقصان. يعني صحيح أن الخالق هو الله وأن المخلوقات كلها من صنع الله، وأن الخير والشر من خلق الله . إنما خلقَ الخيرَ والشرَّ حتى يدل الشر على الخير ، حتى إذا جاء: الأذى تعرف أن هذا فيه ضرر، وأن هذا يريد أن يبعدك عن الحق. ولذلك يجب أن تذهب إلى الشيء الحسن الذي يقربك إلى الحق. فكانت صفات الحق هي صفات الكمال وكان على العبد أن يتعرف على الحق من خلال صفاته. فإذا تحقق لهذا العبد المتصوف أن يعرف تجليات الحق من خلال تعرفه على أسماء الحق وأفعاله و صفاته، استطاع هذا العبد أن يكون من الذين يعلمون بالحق. فإذا علم المتصوف بالحق بعد أن يكون قد علم كما رأينا في السابق - بنفسه علم بالذات وعلم بالحق ، فعندئذٍ يستطيع هذا العبد أن يعتبر في سبيل الصوفية، يعني يكون قد مشى في طريق الصوفية قبل أن يصل إلى مرتبة (الصوفي). يظل متصوفاً ولكن يكون

¹ إشارة إلى الحديث القدسي: "كنت كنزاً مخفياً، فأحببت أن أعرف فخلقت خلقي في عرفوني"

قد تقدم في سيره. فمن أجل هذا قال فقهاء التصوف أن علم التصوف يقوم على هذين الأصلين : علم بالنفس وعلم بالحق.¹

7.2 الطريقة اليشرطية في فلسطين وعلاقتها بالطرق الأخرى والانشقاقات عن الطريقة

كانت هناك طرق متعددة في فلسطين قبل وصول الشيخ علي نور الدين اليشرطي الى عكا في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ولكن تلك الطرق لم يكن لها ذلك الحضور في الحياة الاجتماعية في البلاد. ولم يكن وجودها يظهر سوى في مناسبات الافراح كالزواج والميلاد، والاحتفالات الموسمية العامة، كموسم النبي موسى² في القدس، وموسم النبي روبين في يافا، حيث يتجمع الأهالي من عموم أنحاء فلسطين. وهذه المواسم الاحتفالية ابتدعها السلطان صلاح الدين الأيوبي (1138-1193)، بعد تحرير القدس من الصليبيين في 2 أكتوبر 1187م، وذلك ليتوفر وجود جموع غفيرة من المسلمين خلال فترة الأعياد المسيحية وخصوصا عيد الفصح، وتوافد المسيحيين من أوروبا، وذلك حرصا من محاولة الصليبيين إعادة احتلال المدينة المقدسة وفلسطين. فأنشأ الرباطات للمتصوفة في الثغور، وهي تجمعات شبه عسكرية، لطرق صوفية ظهرت " في مصر أو العراق قبل وصولها الى فلسطين، ومنها الأحمدية نسبة للشيخ احمد البدوي، والدسوقية نسبة للشيخ أحمد الدسوقي، والقادرية نسبة للشيخ عبد القادر الجيلاني، والرفاعية نسبة للشيخ احمد الرفاعي، وكانت هناك طرق أخرى لا يزال لها وجود ضئيل كالسعدية والصاوية، واليونسية، وهي تفرعات من الطرق من عصر المماليك. ويذكر فريدريك دي يونج، "أن الطريقة الشاذلية اليشرطية ظهرت في

¹ مذاكرة الشيخ أحمد اليشرطي مساء يوم 13/10/1977

² موسم النبي موسى جزء من تراث مدينة القدس الديني والشعبي، يحتفل به الفلسطينيون منذ ما يقارب التسعة قرون، والذي يعتبر مع مواسم أخرى مثل مواسم النبي صالح قرب رام الله، وموسم المنطار في غزة، وموسم النبي روبين قرب يافا، من المواسم التي استحدثت زمن صلاح الدين الأيوبي في نفس الفترة التي تقام فيها أعياد الفصح المسيحي. حيث كانت وفود المناطق الفلسطينية في السابق، تصل إلى القدس قبل أيام من بدء الموسم، وتتجمع في البلدة القديمة وتخرج منها في احتفالات رسمية وشعبية كبيرة ترفع البيارق القادمة من نابلس والخليل وغيرها من المدن الفلسطينية

النصف الأول من القرن التاسع عشر. ¹ وهذا يخالف الواقع حيث أن الشيخ علي نور الدين اليشرطي دخل عكا لأول مرة سنة 1850، أي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

وإثر حرب 1947-1948 وطرد الفلسطينيين ولجوءهم من فلسطين، إضمحل وجود الطرق الصوفية في فلسطين، وتشرذمت، في أنحاء العالم العربي ومواقع اللجوء الفلسطيني. وقد عانت الطريقة الشاذلية اليشرطية، ما عانتها الطرق الأخرى من تشتت ونزوح إلى الأردن وسوريا ولبنان، ومصادرة سلطات الإحتلال لأوقاف الطريقة، خلا الزاوية في عكا والزاوية في ترشيحا. وقد بقيت مجموعات من أبناء الطريقة في فلسطين المحتلة، في مدينة ام الفحم وبافا وعكا، صمدت وتكيفت مع واقع الإحتلال الإسرائيلي. وكان مخيم عقبة جبر بالقرب من مدينة أريحا من أكبر مخيمات تجمع لجوء أبناء الطريقة من فلسطين، إلى أن أفرغ نهائياً بالنزوح إثر احتلال كامل التراب الفلسطيني عام 1967.

8.2 التفرعات والانشقاقات في الطرق

يعزو وفا صوافطة، في كتابه " المدرسة الشاذلية اليشرطية وشيخها علي نور الدين اليشرطي" التفرعات والانشقاقات التي نجمت عن الطرق الأصلية إلى إغراق تلك الطرق في التقليدية، مما استدعى الحاجة إلى بعث التعاليم والفلسفة الصوفية وتجديدها وتنشيطها، خصوصا مع تعرضها لتحديات السلفية التي تعتبر التصوف بدعة وخروجا على المنهج السلفي، وخصوصا حركة محمد بن عبد الوهاب ومن تخرج من مدرسته، كذلك تحديات الاستعمار الغربي الذي كان يحاول طمس الهوية الإسلامية، تحت شعارات مختلفة. ²

أما الشيخ علي نور الدين اليشرطي فيعزو ذلك إلى عامل نفسي في الإنسان هو حب الرئاسة، فيقول إن من طبيعة الإنسان حب الرئاسة: "وآخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرئاسة." ³ وقد أسماهم "صديقين"، ليبين قوة حب الرئاسة والأنا في الإنسان. وإشارة إلى حب الرئاسة التي يجب على الفقير

Jong F. De, 'The Sufi orders in the Nineteenth and Twentieth Century Palestine', Studia Islamica, ¹

Published by: Maisonneuve & Larose 1983 pp 174-75

² صوافطة، وفا، المدرسة الشاذلية ط1، دن، 2003 ص ص 271-272

³ اليشرطية، فاطمة، نفحات 785

أن يمسخها من فكره، ومحوها من أخلاقه، تحدث في إحدى مذكراته عن الوضوء وفضائله فقال: " مسح الرأس في الوضوء يعجبني."¹ ويحدث أن تنتزل على المرید موارد، أو أن يرى أعمالاً خارقة يجريها الله على يديه، فيركبه الغرور، وتتغلب عليه الأنانية وحب الرئاسة، فيحسب أنه الشيخ وينسب الأمر إلى نفسه، وينسى فضل الله وشيخه عليه، فيؤدي به ذلك إلى الخروج على شيخ الطريقة، والادعاء بأنه هو الشيخ. وقد علل الشيخ الیشرطي أسباب حركات الانشقاق بقوله: "المرید تلوح له بارقة فيظن نفسه الشيخ. لا، لا، ما يصير الشيخ، لا في الدنيا ولا في الآخرة"². ومن هؤلاء كان أمين الشعبي الذي كان مقدما للطريقة من قرية شعب القريبة من صفد. فقام بالخروج على الشيخ علي نور الدين الیشرطي، فزور ختم الشيخ، وادعى لنفسه مشيخة الطريقة سنة 1880. وقد كانت شَعْب والقرى المحيطة بها مثل عمقا، الكابري، كفر صوماي والرويس مراكز للطريقة الشاذلية الیشرطية، فتابع بعض أهلها حركة أمين الشعبي الانشقاكية، ولكن هذه الحركة لم يكتب لها الاستمرار.³ وقام الشيخ علي نور الدين بطرد أمين الشعبي وأتباعه من الطريقة.⁴ وقامت حركة انفصالية أخرى في نفس الفترة، قام بها الشيخ عبد الرحمن الشريف، وكان هو أيضا مقدماً للطريقة الشاذلية الیشرطية، وأسس طريقة سميت بالطريقة الرحمانية الخلوتية، تستند في نسبها الروحي الى الشيخ احمد الصاوي عن الشيخ ابو عبدالله محمد ابن سليمان ابن ابوبكر الجزولي السملالي الحسني (توفي 1465)، وكان زعيم الصوفية المغربية من قبيلة جزولة الأمازيغية. ومركز هذه الطريقة الآن في باقة الغربية في فلسطين حيث أسست صرْحاً علمياً باسم "كلية القاسمي". كما قامت في سنة 1950 حركة انشقاكية أخرى حيث ادعى عبد الرحمن أبو ريشة مشيخة الطريقة في عصر خاله الشيخ محمد الهادي الیشرطي، الذي فصله هو وجماعته من الطريقة الأم، وكان له أتباع في منطقة نابلس في فلسطين، وانتهت طريقته قبل وفاته سنة 1977.

¹ ن. م. 973

² الیشرطية، نفحات رقم 586

³ فان أس الیشرطية، Das Yasrutiya ص. 26

⁴ مخطوطة، صفحة من المخطوطة، أنظر الملحق

3 الفصل الثالث: الانتساب للطريقة الإشرطية وأورادها وفلسفتها

يقدم هذا الفصل عرضاً عن الطريقة الشاذلية الإشرطية من حيث الانتساب للطريقة، وأرادها، وأركانها وأحكامها، كما يقدم صورةً مبسطةً عن الحياة الاجتماعية في مدينة عكا، مركز الطريقة، في القرن التاسع عشر، وتأثير الطريقة في الحياة الاجتماعية في مدينة عكا وفلسطين في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وانتساب السلطان وباشوات قصره للطريقة.

1.3 الانتساب الى الطريقة والمبايعة

يتم الانتساب الى الطريقة بالمبايعة، أي ما يسمونه العهد. وهي بمثابة إقرار من المرید بأنه يريد أن ينتسب الى الطريقة وأن يلتزم بأحكامها. ومبدأ ذلك هو الآية: " وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذُرِّيَّتَهُمْ، وأشهدهم على أنفسهم، ألسنت بربكم؟ قالوا بلى شهدنا، أن تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين"¹. ويقول الشيخ الإشرطي: " من عهد آدم]، عليه السلام، إلى تاريخ نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، وكل نبي له جماعة، أحبهم وأحبوه، من عالم الأزل. فلما ظهوروا في عالم الشهادة، منحهم على قدر محبتهم. ومن بعد ظهور نبينا محمد، عليه الصلاة والسلام، كذلك كان حال المرشدين الكُمل، كل واحد له جماعة من الأزل. وفي وقت ظهورهم في عالم الشهادة، يمنحهم على قدر محبتهم. وهكذا كان الحال معنا. في وقت ظهورنا في عالم الشهادة، لم نكلف إخواننا المجيئ إلينا؛ بل تركنا بلادنا وأولادنا، وجئنا إلى بلادهم، وجعلناهم محبوبين ومحبين، ومنحناهم على قدر محبتنا لهم، لا على قدر محبتهم لنا."² فالشيخ الإشرطي يقر بمبدأ الخصوصية الأزلية ومبدأ المحبة التي جعلها ركنا أساسا في الطريقة.

فللمريد بيعتان: أما البيعة الأولى فهي بيعة الأزل في عالم الذر، قبل الظهور في عالم الوجود، وهي بيعة عامة لجميع البشر من بني آدم، وقد ذكرت هذه البيعة في القرآن الكريم: " وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريرتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم قالوا بلى."³ ويذكر الشيخ عبد القادر

¹ القرآن الكريم 7:172

² الإشرطية، فاطمة، نفاحات 59

³ القرآن الكريم، سورة الأعراف، 7:172

الحمصي، وهو من شعراء الطريقة، هذه البيعة شعراً في قصيدة له مطلعها : هل فاقد الشمّ يدري شدوّ
ريحاني، أم الأصمُّ غدا يشجى بألحاني؟¹ فيقول:

من حين قالوا "بلى" قد كنت أعرفهم ونشأتني فيهم من قبل عرفاني

ومظهري كان فيهم قبل ما ظهرت سرائر الكون سراً دون إعلانٍ

وفي هذه القصيدة يعبر الشيخ عبد القادر الحمصي، عن محبته الخالصة لشيخه علي نور الدين
الشرطي، وعن شدة شوقه له، ومع أن الشيخ عبد القادر الحمصي كان ضريباً فاقد البصر، إلا أنه
يقول إنه في شهوده، يرى شيخه بعين قلبه فيقول في نفس القصيدة:

يراهم ناظري في كل لائحة وإن سألت فؤادي قال سكاني

خلعتُ كلَّ رداءٍ في محبتهم حتى رأيت الذي أنهار ينهاني

لو أشمموا نفع كاسي للورى سكروا ولا قضى الشرع في حدّ لسكران

وأما البيعة الثانية فهي بيعة الظهور في العالم البشريّ، وهو العهد الذي يأخذه الشيخ على المرید،
يبايعه على الطريقة الشاذلية الشريفة، والقيام بأحكامها وقراءة أورادها، وسندّها الآية الكريمة: " إِنَّ
الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا وَنَّ يُبَايِعُونَ اللَّهَ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَى
بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا."² وفي أحاديث الشيخ علي نور الدين، الشرطي عن
البيعتين، يقول: " ألمبايعة من عالم الأرواح. وأرواح المریدين مربوطة بروح الشيخ. وروحانية الشيخ
ترعى المرید في عالم الأرواح. وعند ظهوره في عالم الأشباح، ترعاه روحانية شيخه، وتجعل له سببا
يقربه شيئاً فشيئاً، إلى شيخه، إلى أن يأتي إليه ويبايعه"³.

¹ الحمصي ، عبد القادر للطائف الروحية، 65

² القرآن الكريم، سورة الفتح، 48:10

³ الشرطية، فاطمة، نفحات 437

وفي هذه الأحاديث يبين الشيخ أن الروح الفردية لكل فرد تكون موجودة أولاً ولا تتخلق عند ولادته الطبيعية، ولكن تتعلق بالجسم عند تخلقه. وهذا هو مبدأ الشيخ الرئيس ابن سينا في الروح والذي وضعه شعراً في قصيدته العينية: "هبطت إليك من المكان الأرفع

وبالتزام الفقير بما عاهد عليه، تتحقق له الجنة، وجنة الفقير هي شهود الحق. والحوار العيني التي وعد المتقون، عند المريدين هي الإلهامات الإلهية، كما قال الشيخ عاطف حمدي الطيب، في شرحه لرسالة الشيخ عبد القادر الحمصي بالمولد النبوي: " وجاءت مريم الحقيقية، وآسية النفس المرضية، والحوار العيني الإلهامات الإلهية.¹ وبنبات الفقير على بيعته يصل، بفضل شيخه إلى مقام الشهود:

أثبتت ليلى عهودي فتملكت شهودي * قدس الحب وجودي صرت من خير الرجال

أشرقت شمس يقيني عن شمالي ويميني * سلبت عقلي وديني في الهوى ذات الجمال²

ويتم الانتساب الى الطريقة بالمبايعة: وهي مصافحة ومعاودة، حيث يجلس المرید بين يدي الشيخ، أو من ينوب عنه، يتلقى عنه ما تفرضه عليه الطريق من واجبات، أولها التأكيد على أداء أركان الإسلام الخمسة: وهي الشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإيقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج عند الاستطاعة.

ثم يتلو الشيخ، أو المقدم الذي ينوب عن الشيخ بإعطاء الطريقة، لمن يرى فيه الأهلية لأخذ الطريقة، آية البيعة: "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً." ثم يسأل الشيخ طالب الإنتساب: هل تباع على الطريقة الشاذلية اليسرطية، وشيخها حضرة سيدنا الشيخ احمد محمد الهادي اليسرطي (الشيخ القائم)، وبعد أن يجيب المرید بالإيجاب، يقول الشيخ: أوصيك بالقيام بأحكام الإسلام الشرعية، وتلاوة الوظيفة الشاذلية اليسرطية بالنص الثابت لها مرتين يومياً، صباحاً بعد صلاة الفجر، ومساءً بعد صلاة العشاء، وحسبما تسمح الظروف، وأن تتلو الأوراد المقررة مائة مرة: مرة بعد صلاة الفجر، ومرة بعد

¹ الطيب، عاطف حمدي، تأملات روحية، دار البشائر، دمشق، ط 1 - 2015 ص 328

² الحمصي، عبد القادر، اللطائف الروحية، ص 12

صلاة المغرب من كل يوم، وأن تجعل لسانك رطباً بذكر الله، وأن تداوم، ما أمكنك ذلك، على حضور اجتماعات الطريقة المقررة.

2.3 الوظيفة الشاذلية الإشرطية¹

تسمى الورد الكبير، وتتلى كل يوم مرتين، مرة بعد صلاة الصبح ومرة بعد صلاة العشاء، عملاً بحكم الآية القرآنية: "واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه". سورة الكهف - 28. وقد سماها الشيخ أبو الحسن الشاذلي: صلاة الفتح، وهي الصلاة الممزوجة: الأصل منها للشيخ عبد السلام بن بشيش، والمزج للشيخ أبي أحمد العربي الدرقاوي، وهما من أقطاب سلسلة الطريقة الشاذلية الإشرطية. أما الآيات والسور وترتيبها فهو مأخوذ عن "سفينة النجا لمن إلى الله التجأ"، للشيخ أحمد زروق.

3.3 أوراد الطريقة الشاذلية الإشرطية

تتلى هذه الأوراد، صباحاً ومساءً، مرة بعد صلاة الفجر، ومرة بعد صلاة المغرب.

الورد الأول: الاستغفار بصيغة: "أستغفر الله العظيم، الذي لا إله إلا هو، الحي القيوم وأتوب إليه"، مائة مرة؛ وقد وردت فيه آيات بينات: "وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون". سورة الأنفال - 33. والآيات: " فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا، يرسل السماء عليكم مدرارا، ويمددكم بأموال وبنين، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا". سورة نوح: 10-12. وسنده من الحديث: " إني ليغان على قلبي، فأستغفر الله في اليوم مئة مرة." قيل: كيف وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ! قال: " أفلا أكون عبداً شكوراً." وجاء في الحديث القدسي: " لو لم تخطئوا وتستغفروا لجئت ب قوم غيركم يخطئون ويستغفرون، فاسمى غفاراً."

الورد الثاني: الصلاة على النبي بصيغة: "اللهم صلّ على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم"، مائة مرة؛ وذلك بحكم الآية: " إن الله وملائكته يُصلّون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه، وسلموا تسليماً". سورة الأحزاب - 56.

¹ انظر الملحق - الوظيفة الشاذلية الإشرطية

الورد الثالث: التوحيد بقول: "لا إله إلا الله". وقد روى الإمام أحمد والطبري، أن النبي لَقَّن أصحابه جماعة وأفراداً. رحلة إلى الحق صفحة 153

4.3 الذكر باسم الله الأعظم: الذكر الخفي

والسير والسلوك، في الطريقة لا يكون فقط بإقامة حلق الذكر، فهي أي حلق الذكر كما قال الشيخ: "الحضرة (حلقة الذكر) بدعة حسنة مستحبة، لاجتلاب الخلق. والطريق هي المداومة على ذكر الله ليلاً نهاراً".¹ ويكون الذكر الخفي، همساً، باسم الجلالة "الله"، وهو الركن الثاني بعد المرشد الكامل صاحب الوقت شيخ الطريقة. والذكر يكون باستغراق الذاكر في الحق، وقال الشيخ اليرشطي: "الذكر بالغفلة يأتي بالذكر باليقظة. والذكر باليقظة يأتي بالذكر بالحضور. والذكر بالحضور يأتي بذكر يغيب الذاكر في المذكور".²

وتقام حلق الذكر الجهري، ليلة الجمعة من كل اسبوع، أو حسب ظروف البلد الذي يوجد فيه المريديون، وكذلك في ليلة المولد النبوي الشريف، وفي صبيحة اليوم الأول من كل من عيد الفطر وعيد الأضحى. وتقام حلقة الذكر بعد الصلاة وقراءة الوظيفة. ويقوم الشيخ أو المقدم الذي ينوب عنه في وسط الحلقات الدائرية، يدير الأذكار بتدرج في طبقات الحضرة. والمنشدون ينشدون القصائد الصوفية. وينتهي الشيخ الحلقة بإشارة مع قوله محمد رسول الله. ويجلس الجميع لقراءة آيات من القرآن، وسماع محاضرة من الشيخ وتسمى في عرف الطريقة بالمذاكرة.

5.3 الزاوية مركز النشاط الروحي للطريق

الزاوية هي مكان تجمع المريدين والفقراء بشيخهم لأداء الصلوات والأوراد والذكر والتذاكر في الأمور الطريقية، وممارسة نشاطاتهم الروحية والاجتماعية. وقد ظهرت الحاجة للزاويا، بتطور التصوف من مرحلة التصوف الزهدي الفردي إلى المرحلة الطريقية الجماعية، وازدياد أعداد المريدين المنتسبين لشيوخ الطرق. وتقول أنيماي شيميل: " في بداية القرن الثاني عشر/الخامس الهجري، ظهرت طرق

¹ اليرشطي، فاطمة، نحات 20

² م. ن. 46

صوفية ضمت مريدين من مختلف الطبقات الاجتماعية، ويصعب تفسير اسباب هذه الظاهرة؛ فربما كان سبب ذلك هو الحاجة الباطنية لإشباع الحالة الروحية، بالحاجة إلى الإحساس بالتواصل والقرب من الله ومن النبي، والتي لم يستطع العلماء والفقهاء إشباعها، ولا تستبعد أنيماري شيميل، أن يكون السبب في ظهور الطرق الصوفية، هو رد فعل لمقاومة التأثير القوي للأفكار الباطنية للإسماعيليين، والتي نافح الإمام أبو حامد الغزالي¹ (1058/450-1111/505) ضدها بقوة. ولمكافحة معتقدات الإسماعيليين الباطنية²، والتي هددت البناء الرئيسي للإسلام، فكريا وعقاديا، كان من الضرورة أن تتوجه النشاطات الى النظر في بواطن الشريعة.³)

ومع أن الظروف السياسية في تلك الفترة، هي التي جعلت أنيماري شيميل لا تستبعد هذا الرأي، ولكن المدارس النظامية المنتشرة والتي أسسها نظام الملك كانت لتقي بالغرض لمكافحة الفكر الاسماعيلي. فظهور الطرق كان تطورا طبيعيا، والحاجة إلى الإشباع الروحي والنظر في بواطن الشريعة أساس في الدين، وليس من المحتمل أن يكون ظهور الطرق والزوايا رد فعل لظهور "الدعاة الاسماعيليين" الذين مهدوا لظهور الدولة الفاطمية (909-1172م)، في المغرب سنة 297 هـ وفتحو مصر سنة 341 هـ. فالتصوف عنصر أساس في العقيدة الإسلامية، كما يتبين من قول الرسول في حديث جبريل في سؤاله عن "الإسلام والإيمان والإحسان": هذا جبريل، جاء ليعلمكم دينكم. والتصوف هو مقام الإحسان. كما أنه قد ظهرت "طريقة صوفية في القرن الثالث الهجري، كالمحاسبية نسبة للحارث المحاسبي(ت

¹ كتب الإمام الغزالي كتاب " المستظهري في فضح عقائد الباطنية"

² ظهرت الحركة الأسماعيلية وهي حركة شيعية إمامية نسبت الى اسماعيل بن جعفر الصادق، الذي اختلف في وفاته هل حدثت قبل وفاة والده أو أن والده خوفا عليه، كما يقول النزاريون الاسماعيليون، واليه ينتسب الاسماعليون - الأغا خان. وقد اهتم الاسماعيليون بدراسة الفلسفة اليونانية ويظهر ذلك في رسائل إخوان الصفا" الذين يقال انهم من الاسماعيليين. وقد نشط الدعاة الذين شكلوا مؤسسة منتظمة، بثوا دعوتهم في المغرب حتى تم لهم تأسيس الدولة الفاطمية في المغرب ومصر والحجاز. وقد قام الحسن الصباح بنشر الدعوة في المشرق وشكل سلطة قوية في قلعة "ألموت" وفرقة الحشاشين الذين اغتالوا الوزير السلجوقي نظام الملك الذي اسس المدارس النظامية لمعارضة الفكر الاسماعيلي، ووضع الامام الغزالي على رأس احداها في بغداد. ومن المستغرب أن يقوم حسن الصباح باغتيال نظام الملك، ولم (يغتال) الإمام الغزالي المفكر الذي حارب الاسماعيليين بفكره في كتاب " فضائح الباطنية ". ويقال ان نظام الملك زمر ابن الخيام والحسن الصباح تعاهدوا في شبابهم إن وصل احدهم الى السلطة أن يرفع معه مقام الآخرين، ولعل الحسن الصباح قد حقد على نظام الملك لخلفه عهده.

³ Schimmel, Annemarie, The Mystical Dimensionsof Islam, The University of North Carolina Press, 1975,

234هـ) والطيفورية نسبة الى طيفور البسطامي(ت 261هـ) والجنيدية نسبة للجنيد البغدادي(ت 297هـ).

ويحلوا للدارسين الغربيين أن يربطوا بين التصوف والتشيع، فيرون أن التصوف أخذ من التشيع مرتبة القطب في التصوف، مقابل مرتبة الإمام عند الشيعة، وكلاهما معصوم عند جماعته، ويعلم علم الأولين والآخرين. وفي مدى علوم المرشد، يقول الشيخ اليشرطي: "لا يكون المرشد مرشدا، حتى يعلم النملة الصغيرة في بحر الظلمات، ويكون هو المحرك لها."¹

ويعتبر عصر الشيخ أحمد اليشرطي "عصر الزوايا"، حيث قام الشيخ أحمد اليشرطي بإنشاء عدد من الزوايا في عمان ودمشق وحلب وبيروت، وكذلك في ضياع البقاع اللبناني، أهمها في بلدة كامد اللوز التي تتعدق فيها لقاءات سنوية لأبناء الطريقة من جميع أنحاء العالم. وقد تم إنشاء مجتمعات للزوايا في البرازيل وفي كندا. ويتناسب حجم مباني الزوايا مع أعداد المنتسبين إلى الطريقة في البلد الذي تقام فيه الزاوية. والزوايا مبنية بطريقة عصرية، مزودة بالتدفئة والتبريد وتكييف الهواء، وهي مزودة بوسائل الكترونية لبث المناسبات الى جميع مراكز الطريقة. وفيها قاعات للصلوات وإقامة الحضرة وقراءة الأوراد. وهي مزودة بمكتبات شاملة لمصنفات من مختلف العلوم العصرية والفقهية والصوفية.

6.3 النظرة الفلسفية للشيخ علي نور الدين اليشرطي

1.6.3 العلاقة بين التصوف والشريعة وبين بالفلسفة

يبدو أن تهافت الفلاسفة المسلمين أمام الفلسفة اليونانية وتهافتهم عليها، في نظر الإمام أبو حامد الغزالي(1058-1111) هو الذي دفعه الى كتابة كتابه "تهافت الفلاسفة"، يبين تهافت الفلاسفة: "لما رأيت هذا العرق من حماقة نابضا على هؤلاء الأغبياء، ويعني الفلاسفة، انتدبت لتحرير هذا الكتاب رداً على الفلاسفة القدماء، مبينا تهافت عقيدتهم وتناقض كلمتهم في ما يتعلق بالإلهيات."²

¹ اليشرطية، فاطمة، نفحات 435

² الغزالي، أبو حامد، "تهافت الفلاسفة" - مع ترجمة الى اللغة الإنجليزية، لميشيل مرمورة، Brigham Young University Press, Provo, Utah 2000 ص 3

فالغزالي في كتابه "تهافت الفلاسفة" ردّاً على الفيلسوفين الإسلاميين، أبي نصر الفارابي وخاصة أبي علي ابن سينا، لم يكن مناهضاً للفلسفة على وجه العموم، فقد تقبل علوم المنطق والعلوم الرياضية والفيزيائية، علماً أن هذه العلوم تعتبر جزءاً من الفلسفة. فالغزالي لا يجد أي ضرر على الدين في علومهم الرياضية والمنطقية والطبيعية، وإنما انتقد الفلاسفة في خوضهم بالعلوم الإلهية في ما يسمى بما فوق الطبيعة، وانتقدهم في عشرين نظرية فلسفية، وكفّرهم في ثلاث مسائل تتعارض مع العقيدة الدينية الإسلامية، وهي نظرية الفلاسفة في قدم العالم، وفي قولهم بأن الله تعالى لا يحيط بالجزئيات الحادثة من الأشخاص، والثالثة في إنكار افلاسفة بعث الأجساد، واعتبر باقي النظريات بدءاً قد نطق بها المتكلمون من فرق الإسلام. .. "ولكنه في نفس الوقت تبنى بعض أفكار ابن سينا الفلسفية، مما يبدو لأول وهلة تناقضاً مع نفسه"¹، ومما دعا إلى الشك في صحة نسبة الفصل الثالث من كتابه "مشكاة الأنوار" إليه، حيث أنه يبدو مواكبا لنظرية الفيض الأفلوطينية. ومما دعا ابن رشد (1126-1198) بعد ما يقارب نصف قرن، إلى ان يسم الغزالي بالنفاق وبأنه ذو وجهين. وأن إنكار الأسباب الفاعلة التي تظهر جلية في المحسوسات هو نفاق، وأن الغزالي ينفي بلسانه ما هو متيقن منه في قلبه.

ويقول البير منصور نادر في تقديمه لكتاب فصل المقال: "ليس ابن رشد أول من حاول، في الإسلام، التقريب بين الفلسفة والشريعة، فقد سبقه إلى ذلك المعتزلة الذين اتخذوا العقل سلطاناً، واعتمدوا عليه في تأويل الشرع، ثم الكندي الذي قال إن صدق المعارف الدينية يعرف بالمقاييس العقلية. فالفارابي وابن سينا في الشرق، وابن باجة وابن طفيل في الغرب في الأندلس، حاولوا التقريب بين الشريعة والفلسفة في كتبهم الفلسفية العامة. أما ابن رشد فقد خصص بعض كتبه لموضوع التقريب بين الفلسفة والشريعة، مثل: "كتاب فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال"، وكتاب "الكشف على مناهج الأدلة في عقائد أهل الملة". أما في كتاب "تهافت التهافت"، فيدافع ابن رشد عن الفلسفة

Marmura M. Al-Ghazali The Cambridge Companion to Arabic Philosophy Cambridge University ¹
press,2006 p.137

المشائية، ويرد على هجمات المتكلمين عامة، والغزالي وابن سينا خاصة من ناحية الإبطال والتقريب.¹

يتساءل ابن رشد في كتابه فصل المقال في علاقة الفلسفة والمنطق والشريعة: "هل أوجب الشرع الفلسفة؟ فيقول: إن كان فعل الفلسفة ليس أكثر من النظر في الموجودات، واعتبارها من جهة الدلالة على الصانع، فإن الشارع قد أوجب النظر بالعقل في الموجودات، وذلك في كثير من الآيات القرآنية: أفلم ينظروا في ملكوت السموات والأرض."² وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلي. ومثل قوله: "أفلم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء"³، فهذا نص على النظر في جميع الموجودات.⁴ واما في المنطق فيقول: "وإذا تقرر أن الشرع قد أوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها، فكان الاعتبار ليس أكثر من استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه، فهذا هو القياس. فوجب أن نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي."⁵

ويخلص ابن رشد الى وجوب معرفة القياس العقلي لدى الفقيه ولدى العارف بالله فيقول: "فإنه كما أن الفقيه يستنبط من الأمر بالتفقه في الأحكام وجوب معرفة المقاييس الفقهية على أنواعها، كذلك يجب على العارف أن يستنبط من الأمر بالنظر في الموجودات وجوب معرفة القياس العقلي وأنواعه، بل هو أحرى بذلك، لأنه إذا كان الفقيه يستنبط من قوله تعالى: "فاعتبروا يا أولي الأبصار"، (فكم بالحري وأولى) أن يستنبط العارف بالله وجوب المعرفة بالقياس العقلي."⁶

وهنا لا بد من التعليق على وجهة نظر ابن رشد. فابن رشد وغيره من الفلاسفة "ينسبون الفعل لأنفسهم، بمعزل عما عليه أهل الحقائق من التبيري من النفس، والتوحيد بالخلق والمشئية"⁷. وهذه المعرفة الصوفية الروحية لا يمكن إدراكها بالعقل وحده، أو بالحس والإلهام وحده، أو يدركها بكليهما معا فقط. بل يدركها بهما معا، وبخصوصية يهبها الله لأفراد مخصوصين من خلقه، اختصوا بها من الأزل، واتبعوا ولياً مرشداً. ففي التصوف "إذا ما حقق العبد العبودية في نفسه فإن الله يتولاه بالإمداد

¹ ابن رشد، أبو الوليد أحمد بن محمد، كتاب "فصل المقال"، قدم وعلق عليه البيبر منصور نادر، الطبعة الثانية، دار المشرق، المطبعة

الكاثوليكية، بيروت لبنان، ص 14

² القرين الكريم، سورة الحشر، 2:59

³ القرآن الكريم، سورة الأعراف، 7:184

⁴ ابن رشد، فصل المقال ص 27-28

⁵ م.ن. ص 28

⁶ م.ن. ص 30

⁷ م.ن. ص 17

بالمعرفة¹، كما في قصة موسى والعبد الصالح: {فوجدنا عبدا من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما}. فثمررة العبدية المعرفة الدنية، وتتحقق باتباع المرشد الكامل. وابن رشد في كتاب "تهافت التهافت" ردّاً على الإمام الغزالي، يبين انه لا يوجد تعارض فيما بين الفلسفة والمنطق وبين والدّين، بل على العكس، فإن الفلسفة والمنطق واجبة شرعا، بل إنها تعضد الدين.

واتخذ الإمام جمال الدين محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (1087-1153) من الفلاسفة نفس الموقف الذي اتخذه الإمام الغزالي منهم في كتابه "تهافت الفلاسف"؛ فألف كتابا أسماه "مصارع الفلاسفة". وكما عارض ابن رشد الإمام الغزالي قام محمد بن محمد نصير الدين الطوسي (1201-1274) في القرن السابع الهجري، فعارض الشهرستاني في كتاب أسماه "مصارع المصارع"، ذكر فيه أنه "سينقل نص كلام الشهرستاني في مصارعة الفلاسفة، ثم يرد عليه مسألة مسألة²."

وإن كان الغزالي قد سَفَّ الفلاسفة ونعتهم بالحماقّة والغباء، فإن الشهرستاني رفع من مقام ابن سينا وسِعَة علمه: " وقد وقع الاتفاق على أن المبرز في علوم الحكمة، وعلامة الدهر في الفلسفة، أبو علي الحسين بن عبد الله ابن سينا، فلا يقفوه فيها قاف³ وإن نقض السواد⁴، ولا يلحقه لاحق وإن ركض الجواد. وأجمعوا على أن من وقف على مضمون كلامه، وعرف مكنون مرامه فقد فاز بالقدح المعلى⁵."

وإنه أيضا وإن كان عند الغزالي "أن المقصود تنبيه من حَسُنَ اعتقاده في الفلاسفة وظن أن مسالكهم نقية عن التناقض ببيان وجود تهافتهم، فلذلك أنا لا أدخل في الاعتراض عليهم إلاّ دخول مطالبٍ منكرٍ، لا دخول مدّعٍ مثبتٍ؛ فأكدر عليهم ما اعتقدوه مقطوعا بالتزامات مختلفة. فألزمهم تارة مذهب المعتزلة وأخرى مذهب الكرامية"⁶. فإن الشهرستاني يقول: "فأردت أن أصارعه (ابن سينا) مصارعة الأبطال، وأنزله منازل الرجال؛ فاخترت من كلامه في إلهيات الشفاء، والنجاة، والإشارات، والتعليقات أحسنه وأمثله، وهو ما برهن عليه وحققه."⁷

¹ الغزالي، أبو حامد، "المنقذ من الضلال"، مجموعة عبد الحليم محمود، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية-1985 ص 12

² الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، مصارع الفلاسفة، تحقيق وتقديم وتعليق سهير محمد مختار، الطبعة الأولى، مطبعة الجبلاوي- بولاق- مصر 976 ص 26

³ كلمة يقفوه وكلمة قافَ فعل ماضٍ ويقفوي ويقفوه، تعني من إقتفاء الأثر

⁴ السواد منطقة في العراق

⁵ الشهرستاني، مصارع الفلاسفة، ص 15

⁶ الغزالي، أبو حامد، تهافت الفلاسفة، ص 7-8

⁷ الشهرستاني، مصارع الفلاسفة، ص 16

2.6.3 الشيخ اليشريطي والقلب والروح والنفس والعقل

عرّف الإمام الغزالي معنى القلب، والروح، والنفس، والعقل، فقال: "القلب هو لطيفة ربانية روحانية، هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان، له تعلق بالقلب الجسماني، وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وَجْهِ علاقته. والروح هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان، وهو الذي شرحناه في أحد معاني القلب، وهو الذي أراد الله، في (سورة الإسراء/85): {ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا. والنفس هي اللطيفة التي ذكرناها والتي هي الإنسان بالحقيقة، وهي نفس الإنسان وذاته، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة فهي، إما مطمئنة، أو لَوَامَةٌ، أو أَمَّارَةٌ، بحسب اختلاف أحوالها. والعقل هو اللطيفة المدركة لتلك العلوم.¹ ويقول الإمام أن هناك أيضا لطيفة خامسة هي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان. ويبدو من كلام الإمام الغزالي أنه، وإن تعددت الأسماء والمعاني الخمسة فإن التعريفات الخمسة، إنما هي تعريفات لأمر واحد، لا يدرك.

أما الشيخ اليشريطي فقد تحدّث عن مراتب للنفس البشرية فقال: "مراتب النفس سبع: أمارة، ولوامة، وملهمة، ومطمئنة، وراضية، ومرضية، وكاملة؛ فالنفس الأمارة هي التي تأمر صاحبها بمتابعة هواه، ومخالفة أوامر دينه. قال الله، تعالى في كتابه العزيز: (ان النفس لأمارة بالسوء)². والنفس اللوامة هي للمؤمن، لأن قلب المؤمن حيّ، والقلب الميت لا يحس بطاعة ولا بمعصية، فإذا أطاع ربه تنعم قلبه، وإن عصاه تألم فلامته نفسه لترده إلى الطاعات، على أن للنفس اللوامة شيئا من الامارة، وذلك قال تعالى: (لا أقسم بيوم القيامة. ولا أقسم بالنفس اللوامة).³ والنفس الملهمة هي التي قال، تعالى، فيها: (فألهمها فجورها وتقواها)⁴، وذلك لبعدها عن مقام الثبوت والتمكين، ويلزمها الاجتهاد والتصفية. أما النفس المطمئنة، فهي في أول درجة من درجات الكمال، إنما يلزمها أن تكون راضية مرضية في جميع الأحكام. هنالك يكون صاحبها محمودا بترقيته. بعد أن كان حامدا. قال الله تعالى: (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي، وادخلي جنّتي).⁵ وأما النفس

¹ الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، الجزء الثالث، دار الحديث، القاهرة، 1998 ص ص 4-7

² القرآن الكريم، سورة يوسف 12:53

³ القرآن الكريم، سورة القيامة 1-2 : 75

⁴ القرآن الكريم، سورة الشمس 8:91

⁵ القرآن الكريم، سورة الفجر 30-27: 89

الكاملة فهي أعلى مرتبة في العبودية، ويكون صاحبها من أهل الشهود والعرفان والوصول إلى الله، قائماً بوظائف ربوبيته تعالى، ظاهراً باطناً بعد أن أغلق جميع الأبواب على شيطانه، ولم يجعل له عليه سلطاناً.¹

وتربية النفس لترقيتها بين المراتب، والصدِّقُ من أهم مبادئ التربية في الطريق. ومن معاني الصدق الإخلاص في العمل، ومن معانيه أيضاً الصدق في القول أي عدم الكذب ويتفرع عندهم ما يسمونه مبدأً فضح النفس²، ومعناه أن الفقير إذا عمل عملاً مخالفاً، أو خطر له خاطرٌ سواء كان خاطر سليماً أم غير ذلك، فعليه أن يقر به ويفضح نفسه أمام شيخه أو إخوته. فمن أقوال الشيخ علي نور الدين اليشرطي في هذا الباب، قال: "لقد وهبنا الله عقلاً، وشرع لنا سراطاً مستقيماً نسلك فيه. الشرع لا يحكم على من لا عقل له. فيجب أن تجبر نفسك على الطاعات والعبادات، وتبجحها بالمباحات، وتحذرها وترجرها عن المحرمات. وهذه النفس تدخل على الفقير من كل باب، حتى من باب الطاعات، فتُحسِّنُ له عمل شيء. فالواجب على الفقير إذا ورد عليه خاطر، أن يعرضه على شيخه، فإذا أذن له فعله. وإن كان الشيخ غائباً، فليتحدث أمام الخلق، ويقول لهم: نفسي تأمرني بكذا وكذا. هنالك تقرّ الخواطر وتتكسر النفس. وما ضبط العارفون نفوسهم إلاّ بهذا. فلو تحدث الفقير عن نفسه إلى إخوانه لوجد فيهم أخواً رشيداً ينهض همته بجانب الله."³

ومن ذلك ما حدث مع أحد الفقراء، كما ورد في كتاب "نفحات الحق" لفاطمة اليشرطية الحسنية: " فقد كان أخونا⁴ احمد أبو الغرابية الصيداوي مسافراً في مركبه في البحر⁵، فطلع عليهم نوّ شديد وكاد المركب يغرق. فلماً نجا، جاء إلى الزاوية وذكر للشيخ ما حصل معه. فقال له: يظهر لي أنك كنت

¹ اليشرطية نفحات 125

² مبدأ "فضح النفس" عند السادة اليشرطيون لا علاقة له بالاعتراف عند النصارى، ولا علاقة لها بالطريقة البكتاشية. ويقول عبد القادر البحراري على هامش صفحة 96 من ترجمته لكتاب "الفرق الصوفية في الإسلام" للمستشرق الإنجليزي سبنسر ترومنجهام أن الاعتراف في المسيحية قد تبنته الطريقة البكتاشية التي أسسها الحاج بكتاشي الصوفي المولود بنيسابور وتوفي في الناضول سنة 738 هـ-1337 م. وقد طور العلم الحديث في الطب في علاج "صعوبة النطق الخفية" بان يقوم الشخص في محفل عام ويخطب فيهم ويخطب فيهم ويعترف بذلك.

³ م. ن. 122

⁴ يستعمل ابناء الطريقة في مخاطبتهم، لفظ "الأخ" بتفريعاته بالمفرد والتمنى والجمع والتذكير والتأنيث، بمعن الأخ الروحي في الطريقة

⁵ أعتق أن الغرابي كان من مدينة صيدا، وكان يقوم بمزاولة مهنة صيد السمك،

تشرب الخمر. قال : نعم¹. فقال له الشيخ: يا احمد، قلبك كله نور. إذا أي شيء لك في هذه النقطة السوداء؟ أتركها، وارجع إلى أوامر الله. فقرر أبو الغرابة التوبة من ساعته. وفيما هو نازل من على الدرج، خطر له الموت. فرجع وقال: يا سيدي، إنني أخاف الموت. فقال له الشيخ: لا تخف موتاً. ما في عندنا إلا نَفْسٌ يُفْنِي نَفْسًا. وهكذا إلى ما لانهاية.¹ ففي هذه الواقعة نفهم أولاً أن أبناء الطريقة لا يدعون العصمة، وأن الطبيعة البشرية والنفس ما تزال تراود الفقير ما دام فيه نَفْسٌ، ولكن عليه أن يحاسب نفسه، وذلك ما كان عليه "الحارث المحاسبي (170-243 هـ) الصوفي البصري، وشيخ البغداديين.² والمبدأ الثاني الذي تناوله الحديث، هو أن "الموت" عند الشيخ اليشرطي، ليس إلا انتقالاً من بَرزخٍ إلى برزخ، وأنه ليس هناك "إِلَّا نَفْسٌ يُفْنِي نَفْسًا، إلى ما لا نهاية". فهل يعني الشيخ أنه "لا موت"، وأن النَفْسَ عند الشيخ الشرطي أبدية أزلية! والمبدأ الثالث، هو أن الشيخ يطلب من الفقراء أن لا يشغلوا أنفسهم بالخواطر وأن يعيشوا حاضراً، وأن يكون الفقير حازماً ذا عزيمة صادقة، غير متردد في أمور حياته، فقال لفقير اشتكى، أو على الأصح فضح نفسه، وكان ذلك الفقير مشغولاً بالخواطر: "ألق هذه الخواطر. فالماضي دَهَبٌ، والمستقبل لا تعرفه، فلماذا تشتغل به؟!"³ ومن أقوالهم في ذلك: "الفقير ابن وقته". ورابعاً، هو أن النفس البشرية خَطَاءَةٌ لا يجب أن يغفل عن تربيتها، ومن ذلك قول الرسول في حديث قدسي: " لو لم تخطئوا وتستغفروا، لجئت بقوم غيركم يخطئون ويستغفرون، فأغفر لهم حتى أسمى "غفاراً".⁴

وضرب الشيخ اليشرطي رمزاً في طبيعة النفس البشرية ورمزاً في السلوك فقال: "عندما يُحلق طير النسر في الفضاء، يشكّل بجناحيه ما يشبه دائرة، كحلقة الذكر. وهو كلما علا، بسط جناحيه وارتاح، حيث يأخذ حُكماً من العلو. ويظل هكذا حتى يبلغ أعلى مقام من الأحكام، فيرتاح راحة تامة. ومع ذلك، أتعلمون ما الذي ينزل بهذا الطير من أسمى مرتبة إلى أسفل؟! إن الله، سبحانه وتعالى، منح النسر حدة البصر، فإنه يرى أدق الأشياء على الأرض، وهو في الأجواء. لكنها هي الشهوة التي تهبط

¹ . تقول فاطمة اليشرطية: حدثتني سيدتي الوالدة، قالت: كنت أقف وراء النافذة وسمعت الحديث. فلما رجع حضرة سيدنا، قلت له كيف قال (نعم)؟ فقال: لو أنك، يكون وكأنه لم يخدم الطريق .

¹ اليشرطية، فاطمة، نفاحات 1329

² السُّلَمِي، أبو عبد الرحمن، طبقات الصوفية، دار الكتب العلمية، ط 2003، ص 58

³ اليشرطية، فاطمة، نفاحات 124

⁴ صحيح مسلم الجزء الرابع - 49 كتاب التوبة باب سقوط الذنوب بالاستغفار والتوبة

به إلى الحضيض. أتعرفون كيف ذلك؟! حين يكون النسر مرتفعاً، يقع نظره على جيفة في الأرض، فيسقط عليها دون وعيٍ وبعزم هائل، بحيث لو صادف، في هبوطه شجرة لأهاضت جناحه، أو عوداً لأقتلع عينه، أو صخرة، لحطمت رأسه. و السرّ في أمره هو انقيادُه للشهوة ، و ميله إلى المادّة.¹

3.6.3 الشيخ البشريطي والوجود

1.3.6.3 موقع الإنسان في الكون - الإنسان الكامل

يرى الشيخ البشريطي أن الوجود مجموع في الإنسان، وجمع صلاة الوجود في الإنسان، "فقد سأل الشيخُ البشريطيُ الشيخَ إسماعيلَ الخطيبَ الطوباسيَّ عن إقامة الصلاة، فقال الشيخ المذكور: هي في تكبيرات الإحرام الأربع. فقال الشيخ البشريطي: تكبيرات الإحرام الأربع هي عبودية الأسماء الأربعة: (الأول، والآخر، والظاهر، والباطن). "وما دام الإنسان جزءاً من الوجود من حيث بشريته، والوجود جزءاً من الإنسان من حيث حقيقته"، فيجب على الإنسان أن يجمع صلاة الوجود بصلاته؛² والوجود جماد ونبات وحيوان وإنسان، ولكل واحدٍ من هؤلاء صلاة. لذلك كانت صلاة الإنسان جامعة. فإذا قال الإمام: ((الله أكبر))، ووقف المصلّي بين يدي ربّه، فهو كالجماد في حالة وقوفه، لا يتحرك بنفسه. فإذا قال الإمام: ((الله أكبر))، وأحنى المصلّي القوس في ركوعه، فهذا الانحناء كالنبات المتحرك بغيره لا بنفسه. والسجود كالحيوان المتحرك بنفسه وبغيره، ومجموعها صلاة الإنسان. فالمقصود منه أن يجمع المصلّي صلاة الوجود بصلاته، لا من ناحية أفعال الصلاة، بل بالحضور التام، والاستغراق الكلّي بالله. فيخلق الله من هذا العمل، ملكاً اسمه (الصلاة) يُسبّح الله. والمصلّي مُطالبٌ بإقامة الصلاة، وإحياء هذا الملك. قال أحد إخواننا: ومن يستطيع أن يجمع هذه الصلاة في صلاته؟ . فقال الشي البشريطي: إذا استحضر المصلّي، عند تكبيرة الإحرام، يكفي.³

وهذا المبدأ يتماشى مع القول:

أتحسب أنك جسم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر⁴

¹ البشريطية، فاطمة، نفحات 884

² الصلاة بمعناها الأعمق هي إقامة الصلة مع الحق، كما ذكر الشيخ: لا من ناحية أفعال الصلاة، بل بالحضور التام

³ البشريطية، فاطمة، نفحات 267

⁴ ينسب هذا البيت لعلي بن ابي طالب، ويقال أنه لمحيي الدين ابن عربي

والإنسان عند الشيخ اليرطري، هو المركز الرئيس في الكون، والذي من أجله خلقت الأكوان، والكون كله مجموع في الإنسان، وهو ما يطلق عليه الإنسان الكامل: "الوجود على هيئة الإنسان الكامل. إذا فقد الإنسان الكامل فُقد الوجود."¹ فالإنسان الكامل هو الوجود الأصغر، والكون هو الوجود الأكبر، والشيخ اليرطري يقول: "الإنسان الكامل ضمنه الكليات والجزئيات، والعلويات والسفليات، والحيوانات والنباتات، وما كان وما يكون. وما في العالم إنسان كامل إلا محمد، عليه الصلاة والسلام. ومن عرفه فقد عرف الحق."² وفي الطريقة الشاذلية اليرطرية، فإن شيخ الطريقة هو الوارث المحمدي، وهو كله محمدي، حسب قول الشيخ اليرطري نفسه: "المخلوقات نورٌ محمدي. وأنا ما عندي إلا محمد. أكلي محمدي، وشري محمدي، ونومي محمدي، وكلي محمدي. والذي يصدق يصدق، وإلا فعليه أن يجد ويكد ويذكر الله، فيرى بعينه."³ فالشيخ هنا يربط المعرفة والتحقيق بالذكر. والخلق كله نور محمدي، كما ورد في حديث جابر الأنصاري لما سأل الرسول عن أول الخلق. ولكن كيف يستطيع الفقير أن يتحقق فيصدق، فهذا ما شرحه الشيخ المرید، يوسف الزين من بلدة برجا⁴ بلبنان، وذلك بأن يتجرد الفقير عن نفسه، وبذلك لا يرى في الوجود إلا الله قائما في كل شيء:

ما في الوجود إلا جمال الله يتجلى وما سواه كلاً إن الإنسان لفي

خسر

تجرد فيك وعنك ترني أقرب منك أنا المشهود بأعينك أنا إياك فما

تدري

أنا الواحد بلا ثاني وعين الكل تلقاني قريبٌ منكم داني وفيكم منطوى

سري

أنا الظاهر فلا أخفى وسري قد غدا كشفا تناول كأسنا صرفا تراني كأس

والخمرا

¹ اليرطرية، فاطمة، نفحات 271

² م. ن. 224

³ م. ن. 222

⁴ برجا بلدة بالشوف في لبنان، وقد زارها الشيخ محمد الهادي اليرطري للقيام بالصلحة بين فريقين في البلدة عام 1933 أنظر الملاحق

تراني في الملا وحدي فلا قبلي ولا بعدي ولا يد سوى يدي ولا نظر سوى

نظري¹

هل نفهم من هذه الأبيات، أن الشيخ وفقرائه يتبنون ما يسمى مبدأ " وحدة الوجود؟! قالت السيدة فاطمة اليشرطية في مقدمة كتابها نفحات الحق انها تجنبت في البداية أن تشير الى الشيخ محيي الدين ابن العربي في كتابها، لأن نظريته في وحدة الوجود لم تكن مقبولة عند العلماء والفقهاء، فتوخت أن تجنب الطريقة هذه التهمة، ولكن هذه الأبيات من كلام ابن الطريقة، الشيخ يوسف الزين البرجاوي تكاد تصرح، إن لم نقل، قد صرحت بما حاولت السيدة اليشرطية تجنبه. فهذه الأبيات تصرح، أنه عند أهل الشهود من مريدي الشيخ اليشرطي، أن الوجود الحق هو الله وحده وأن الموجودات ما هي إلا هو. وفي معرض تعليقه على قول أبي الحسن الشاذلي: (كل من في الوجود كالهباء في الهواء، إن فتشتهم لا تجدهم شيئاً)، قال الشيخ اليشرطي: "الوجود كالهباء في الهواء، لأنه موجود مفقود. إذا دخلت الشمس من الطاقة يستوي الهباء فيها. وبزوالها فلا يكون له أثر. هكذا الحضرة المحمدية في الوجود."² والشيخ علي اليشرطي يقول أيضاً: "الوجود هو الكتاب، والأنبياء سُورُهُ، وأكابر المسلمين والكفار آياته، وعامة الخلق كلامه، والوجود الناقص حروفه. والمجموع هو (الله)"³. وقال: " الإنسان جزء من الوجود من حيث بشريته. والوجود جزء من الإنسان من حيث حقيقته"⁴. وفي الحقيقة، فالشيخ هنا يقول إن للموجود بعدين: ماديٌّ ظاهر، وحقيقةٌ روحية باطنة. ويقول وفا صوافطة، وهو من أبناء الطريقة، معلقاً على قول الشيخ اليشرطي، وأضاف كلمة "قائم" الى حديث الشيخ: " فالوجود عند الشيخ اليشرطي (قائم) من البداية الى النهاية، والنهاية هي كلمة التوحيد."⁵ وهو المعنى الذي حققه الفقراء من أبناء الطريقة من معنى الآية: هو الذي خلقكم من نفس واحدة."⁶ ومصطلح "قائم" في عرف الصوفية يطلق على الحق (تعالى)، بمعنى أنه قائم في الوجود، ولا تطلق على "الحق" كلمة موجود. فهل يعني

¹ البرجاوي، يوسف الزين، اللطائف الروحية ص 422

² اليشرطية، فاطمة نفحات 305

³ م. ن. 262

⁴ م. ن. 268

⁵ م. ن. 275

⁶ صوافطة، وفا، المدرسة الشاذلية اليشرطية ص 631

وفا صوافطة بذلك وحدة الوجود، أو وحدة الشهود؟ أو ما يسمى " وحدة الشهود المحمدي" ¹ عند الشيخ
الشرطي.

والشيخ الشرطي يقول: "النور هو الموجود، وهو (أي الوجود) له، وليس لنا منه شيء. وهو، أي
النور، يظهر في الإمكان العدمي الذي لم يشم رائحة الوجود الحق، وهو باق على إمكانه فينا. فإذا
ظهر الحق بشيء من الممكنات أزالها. ثم هي تبقى على إمكانها حسب المراتب المتعينة فيها." ² كما
يقول الشيخ الشرطي: "الإنسان لا يرى في الوجود إلا ما هو مطبوع في قلبه، ولو كان الفعل ظاهراً
من غيره." ³

والشيخ الشرطي في قوله ان النور هو الوجود، يحيل على الحديث النبوي الوارد عن جابر بن عبد الله
الأنصاري: "قال: قلت يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء،
قال: " يا جابر: إن الله خلق، قبل الأشياء ، نورَ نبيك محمد، صلى الله عليه وسلم، من نوره. فجعل
ذلك النور يدور بالقدرة ما شاء الله. ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم، ولا جنة ولا نار، ولا ملك ولا
سما ولا أرض، ولا شمس ولا قمر، ولا إنس ولا جن. فلما أراد الله أن يخلق الخلق، قسم ذلك النور
إلى أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش. ثم قسم الرابع
أربعة أجزاء: فخلق من الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة. ثم قسم
الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول السموات، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنة والنار. ثم قسم
الرابع ثلاثة أجزاء، فخلق من الأول نورَ أبصار المؤمنين، ومن الثاني نورَ قلوبهم - وهي المعرفة بالله
- ومن الثالث نورَ أنسهم - وهو التوحيد- لا إله إلا الله محمد رسول الله." وهذا الحديث تجده ظاهراً
في الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي، في مطلب: هل خلقت الملائكة دفعة واحدة. ⁴

والنور هو الحقيقة المحمدية والقبضة النورية التي خلقها الله من نوره فكانت أولَ تَعْيِينٍ ظهر عن الحق
(تعالى). وفي حديثٍ حول الحقيقة المحمدية، قال الشيخ علي نور الدين الشرطي: " قبض الله قبضة
من نوره ، وهي الحقيقة المحمدية، وظهرت بالصورة المُكْرَمَة، وجعل منها ما كان وما يكون، فجعل

¹ م. ن. ص 441 و ص. 694

² الشرطية، نفاتح 1059

³ م. ن. 272

⁴ م. ن. 216 ، هامش ص 97

منها أهل السعادة وأهل الشقاوة. واختفى ذلك النور بأحوالهما وشؤونهما. وكان مستواه الأسنى القواد، الذي هو الكرسي، على عرشه الأسنى النوراني، ولم يزل ممداً لما كان وما يكون.¹

وهذا النور المحمدي هو الذي يُتوارث وينتقل من واحدٍ الى واحدٍ، في نسبٍ روحي، في ما يسمى بالسلسلة الشريفة. وسند أهل الطريقة هو الآية الكريمة: " الله نور السموات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح."² ويذكر الشيخ مصطفى نجا البيروتي، في تفسيره لهذه الآية: "أن كلمة (مثل نوره)، أي النور الثاني، الذي هو النور المحمدي، باعتباره أول مخلوق صدر عن النور الأول(الله)، ومنه صدرت سائر الأكوان."³

وفي معنى هذا الحديث يقول الشيخ رشيد سنان شعراً :

من مثل أحمد في المقام الأمتل خير الورى ما القلب عنه بمنسلي

نور تعين قبل كل حقيقة وحقائق الأشياء عنه تتجلي⁴

فهل هذا هو مبدأ وحدة الوجود، أو ما يقال، إنه وحدة الشهود؟! يقول وفا الصوافطة في كتابه المدرسة الشاذلية الشريفة، وشيخها علي نور الدين البشري " أن هذا المبدأ هو نظرية "وحدة الشهود المحمدي".⁵ وقال الشيخ: "كل من في الوجود حيوان ناطق، ما فيه إلا الإنسان ومن أتبع الإنسان."⁶ وقال أيضاً: "ما الوجود الذي يقابلك إلا وجودك. والنظر فيه بأية صورةٍ من الممكنات ترى فيها الرجز، يكون ذلك من نقص إيمانك. طهر وجودك يكمل إيمانك."⁷ وقال: "الوجود من البداية إلى النهاية. والنهاية هي كلمة التوحيد. والفقراء عرفوا معنى قوله تعالى في كتابه العزيز: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ) (1)⁸. وقال الشيخ البشري في الوجود: "كل ذرة من ذرات الوجود جامعة كل الوجود. وكذلك كل طورٍ من الأطوار جامع، وكل نفسٍ من الأنفاس جامع."⁹ وقال: "لما خلق الله

¹ م. ن. 217

² القرآن الكريم، سورة النور، 24:35

³ نجا، مصطفى، كشف الأسرار وتوير الأفكار ص. ص. 95-96

⁴ سنان، رشيد، اللطائف الروحية، ص 80

⁵ صوافطة، وفا، المدرسة الشاذلية ص ص 441-457

⁶ البشري، فاطمة، نفحات 273

⁷ م. ن. 274

⁸ م. ن. 275

⁹ م. ن. 276

الوجود قال: ما الذي يحتاج إليه هذا؟! ثم وضع له سمعاً من سمع محمد، وبصراً من بصر محمد، وذوقاً من ذوق محمد.¹

ونظرة الطريقة الشاذلية اليشرطية الى الفلسفة، أظهرها الدكتور علي اليشرطي شيخ الطريقة القادم في كلمته في الزاوية في عكا في فلسطين يوم السبت 19 رمضان 1416 - 8 شباط 1996، في الاحتفال بالذكرى المئوية لانتقال الشيخ علي نور الدين اليشرطي، الشيخ المؤسس: "لقد يسرت الطريقة اليشرطية لأبنائها لأن يفهموا مبادئ الدين والمبادئ العقلية البشرية، بدون التدخل في تلك النظم البشرية. فقد جمعت إلى الشمولية في الإسلام، المحبة في المسيحية والخصوصية المزعومة في اليهودية. ونحن مرتبطون بعلي نور الدين لأنه جمع لنا خلاصة الفكر الإنساني، وقدم لنا المبادئ التي جاءت بها الأديان السماوية، بالإضافة إلى المبادئ الإنسانية غير السماوية بعد تنقيتها من الشوائب. وهي في مجملها مبادئ أخلاقية، سواء جاءت في البوذية أو الهندوسية، أو في الفلسفة اليونانية. ولا نغفل الفلسفة الغربية الحديثة، التي نأخذ بعضها في الاعتبار، وأخرى نمر عليها مرور الكرام، من أمثال أمانويل كانت وديكارت. فنحن مدينون بالفضل للشيخ علي نور الدين اليشرطي لما جمعه لنا من العلوم والفلسفة العالمية وجعلها ميسرة الفهم لعقولنا. ومن ناحية أخرى فإننا مدينون للشيخ علي نور الدين بما تركه لنا من طريقة في الحياة، مبنية على المحبة والأخوة الصادقة في ما بين ابناء الطريقة، سواء بين بعضهم البعض، أو في ما بينهم وبين مجتمعاتهم. وهذه الطريقة في الحياة من سيمتها المحبة والصفاء والوسعة، وقبول الآخر.²

4.6.3 نظرة الطريقة الشاذلية اليشرطية إلى الإلهيات

أما في موقف الطريقة الشاذلية اليشرطية من موضوع البحث في الإلهيات، فإن الشيخ أحمد اليشرطي شيخ الطريقة القائم، يقول في هذا المعنى: "جاء أهل التصوف وقالوا إن الله هو الهدف وهو الغاية، والبحث فيه يؤدي إلى البحث عنه و البحث عنه يؤدي إلى معرفته و معرفة (الحق)، أي معرفة الله واجبة على العبد، لأنه لا يجوز للعبد أن يتعلق بمجهول فلا يجوز أن يبقى (الحق) مجهولاً لدى العبد، بل لا بد من أن يصبح الحق معروفاً للعبد، حتى يكون تعلق هذا العبد بالحق تعلقاً صحيحاً ، فأجاز أهل التصوف البحث في شؤون الذات في شؤون الله ،(ليس فقط هذا)، بل و فرضوه . قالوا : العبد

¹ ن.م. 277

² اليشرطي، د. علي أحمد اليشرطي، كلمة في احتفال مئوية الشيخ علي نور الدين اليشرطي في عكا، في 8/2/1996

حتى يكون متصوفاً لا بد أن يبحث في شؤون الله كي يتمكن من الانتقال من مرتبه التصوف إلى مرتبه الصوفية، وهي مرتبة معرفة الحق، المتصوف هو الباحث عن الحق والصوفي هو العارف للحق.¹

5.6.3 الشيخ اليشرطي ونظرته في الصفات الإلهية

يسير الشيخ اليشرطي على نهج السلف من شيوخ الطريقة الشاذلية الذين يؤمنون بان الصفات الإلهية هي عين الذات، وأن الله واحد أحد فرد صمد قديم عالم ... موصوف بما وصف به نفسه، لم يزل قديما بأسمائه وصفاته.² وقد حدد الشيخ اليشرطي موقفه من الصفات الإلهية، بأنها عين الذات، في كلامه الى مرديه فقال: "الصفات: منهم مَنْ قال عنها عين، ومنهم مَنْ قال عنها غين، ومنهم مَنْ قال لا عين³ ولا غين. فَمَنْ قال عنها عين، نحن معشر الشاذلية. وَمَنْ قال عنها غين⁴، فهو الشيخ محيي الدين ابن عربي وجماعته. وَمَنْ قال لا عين ولا غين هم ساداتنا العلماء⁵.⁶ كما قال في حديث آخر: أهل الله اختلفوا في الصِّفة². منهم من قال عنها وجودية. ومنهم من قال إنها نِسَبٌ وإضافات. فَمَنْ قال إنها وجودية، فهو سيدي علي وفا⁷ قدس الله سره . وأما من قال إنها نسب وإضافات، فهو الشيخ محي الدين الأكبر، رضي الله عنه وربيه³ . ولكني لا أقول هذا ولا ذلك . نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، هو حضرة القابل والاستعداد⁸.⁹

¹ اليشرطي، الشيخ أحمد ، مذاكرة 1977/9/1 انظر صفحة 138 من هذه الرسالة

² اليشرطية، فاطمة، رحلة ص 64

³ أي عين الذات الإلهية ، وموقف الشيخ اليشرطي يختلف عن موقف المعتزلة الذين نفوا الصفات كليا، وقالوا لا شيء غير الذات، وأن الصفات المذكورة في القرآن الكريم هي أسماء لذاته.

⁴ غين أي مستقلة عن الذات الإلهية

⁵ يعني بذلك الأشاعرة

⁶ اليشرطية، فاطمة، نفحات 280

² . الصفات تطلق على الأوصاف للإنسان ، بخلاف كلمة الأوصاف فهي لا تتعدى الوصف .

⁷ ألقب علي وفا من أقطاب السلسلة الشاذلية اليشرطية، وله مصنفات وديوان شعر مشهور

³ إشارة إلى الشيخ صدر الدين القونوي ، تلميذ الشيخ محي الدين ابن عربي وربيه. فقد تزوج الشيخ محي الدين من أم الشيخ صدر الدين، بعدما مات عنها زوجها (والد الشيخ صدر الدين) . وتولى الشيخ محي الدين تربية صدر الدين وتوجيهه الوجهة الصوفية الإسلامية حتى صار من أهم تلاميذه وأقربهم فكريا إليه .

⁸ لتفاصيل نظرية "القابل والاستعداد اليشرطية"، يرجى الرجوع لكتاب المدرسة الشاذلية اليشرطية للدكتور وفا صوافطة ص ص 318-325

⁹ اليشرطية، فاطمة، نفحات 263

والشيخ اليرشطي يؤمن ان الحضرة الإلهية واحدة: "فالذات لا تقبل نعنا ولا صفة، مرفوع عنها النسب والإضافات"¹. أما الألوهية فلها خمس مراتب، أي تجليات: "مراتب الألوهية خمس: ذات وصفات وأسماء وأفعال وأحكام."² "فالكنه لم تدرکه الأنبياء والأولياء، وإنما عرفنا الله بواسطة نبينا محمد."³ وقَسَّر ذلك بقوله: "السِّرَّ كان مطلقاً، فلما تبين بالصورة المحمدية، تقيد وهما. وهذه الصورة نور⁴ من نور الله تأمل هذا الكلام واخرج عن وهم الظلام تر ربّ الأنام وهكذا: فإن جميع الصور، المحسوسة والمعقولة، قد تحولت بهذه الصورة، إلى أصلها . النور الذي هو القبضة المسماة بمرتبة الظهور من عالم الغيب؛ إذ لم تظهر هذه المخلوقات في عالم الشهادة إلا بعد أن برزت من مرتبة البطون وعالم الغيب والحق. وقد طرأ عليها الحكم، من حل، وضد، ومثال، بمقتضى رتبة الأحكام في الوجود."⁵

والنور المذكور في هذا الحديث للشيخ اليرشطي، هو الذي ذكره الشيخ في قوله: "الشيخ بين الحضرتين: الحضرة الإلهية والحضرة المحمدية."⁶ والشيخ هو الإنسان الكامل، باعتبار أنه الوارث المحمدي، الذي تكون مرتبته برزخية بين الحضرتين، "إذا لم تتلقَّه الأولى، تتلقاه الثانية." 271 . قال رضي الله عنه: "الوجود على هيئة الإنسان الكامل. إذا فُقد الإنسان الكامل فُقد الوجود."⁷ فالحضرة الإلهية تندمج فيها المراتب الخمس، وهي الذات والصفات والأسماء والأفعال والأحكام. وأما المرتبة المحمدية فهي الإنسان الكامل الذي "ضمَّته الكليات والجزئيات والعلويات والسفليات والحيوانات والنباتات وما كان وما يكون. وما في العالم إنسان كامل، إلا محمد عليه الصلاة والسلام. ومن عرفه فقد عرف الحق."⁸ ولولا الحضرة المحمدية لما ظهر الوجود، وقد قال الشيخ اليرشطي، معلِّقاً على قول سيدنا أبي الحسن الشاذلي من أن

¹ م. ن. 201

² م. ن. 202

³ م. ن. 207

⁴ النور المعني هنا هو النور المحمدي الذي هو قبضة من نور الله التي خلق الله منها كل شيء - انظر كتاب نفحات الحق لفاطمة اليرشضية

ص ص 134-136

⁵ اليرشضية، فاطمة، نفحات 216

⁶ م. ن. 223

⁷ م. ن. 271

⁸ م. ن. 224

كلُّ مَنْ في الوجود كالهباء في الهواء، إن فتشتهم لا تجدهم شيئاً، قال: الوجود كالهباء في الهواء، لأنه موجود مفقود. إذا دخلت الشمس من الطاقة يستوي الهباء فيها. وبزوالها فلا يكون له أثر. هكذا الحضرة المحمدية في الوجود.¹

ويرى الشيخ علي نور الدين اليرشطي أن الوجود هو كلمة التوحيد: "الوجود من البداية إلى النهاية. والنهاية هي كلمة التوحيد. والفقراء، عرفوا معنى قوله تعالى في كتابه العزيز: (هو الذي خلقكم من نفس واحدة)."² ويرى أن " الإنسان جزء من الوجود من حيث بشريته، والوجود جزء من الإنسان من حيث حقيقته."³

7.3 التربية في الطريقة الشاذلية اليرشطية

1.7.3 دور الاعتقاد بالشيخ في التربية

تعتمد التربية الصوفية الطريقية على مدى اعتقاد المرید السالك بالشيخ المرشد. والمدد، أي تحصيل المرید واكتسابه، سواء من ناحية تزكية النفس، أو الموارد المعرفية، تتناسب مع هذا الاعتقاد. "من يعتقد شيخه ولياً، يأتيه المدد من الولاية. ومن يعتقد ملاكاً، يأتيه المدد من الملائكية. ومن يعتقد مرشداً يأتيه المدد من الإرشاد."⁴ وفي قول الشيخ اليرشطي: "الطريق ذكر الله ومحبة الشيخ."⁵ فإنه يقرر للمرید الأهمية البالغة لموقع الشيخ في الطريقة. ويؤكد الشيخ اليرشطي ضرورة سعة علم المرشد حتى يكون مرشداً، قوله: "لا يكون المرشد مرشداً، حتى يعلم النملة الصغيرة في بحر الظلمات، ويكون هو المحرك لها."⁶ ومن قوة هذا الاعتقاد يستمد المرید الأوصاف من اقتدائه بشيخه، والذي اقتدى قبل كل شيء بالرسول واكتسب أوصافه وتخلق بأخلاق الرسول، على حد قول عائشة، لما سئلت فقالت:

¹ م. ن. 305

² م. ن. 275

³ م. ن. 268

⁴ اليرشطية، فاطمة، نفاحات 563

⁵ م. ن. 3

⁶ م. ن. 435

"كان خلقه القرآن".¹ وكما قال الشيخ اليرشطي، تأكيداً على أن الذي يكتسبه المرید من أوصاف شيخهم هو الأخلاق المحمدية: "نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، خُلقه القرآن. والمرید الصادق الذي يتخلق بأخلاق شيخه".² وتُخرق للمرید الحجب، إذا ظهر الشيخ بذات المرید: "إذا ظهر الشيخ بذات المرید، تُخرق له الحجب الظلمانية، حتى لا يبقى منها شيء؛ ثم تخرق له الحجب النورانية، إلى ما لا نهاية".³

ويؤكد الشيخ أن المعرفة وحدها، لا تؤدي الغرض إذا لم تقترن بالاتباع: "لقد عرفت صورة الشيخ. فما الذي يلزم لهذه المعرفة؟! يلزمها الاتباع بالأوصاف. ما الذي ستأخذونه معكم؟! أتأخذون كلاماً أم مالاً؟! أريد أن تأخذوا معكم أعمالاً صالحة، تنتعمون بها في البرزخ".⁴ ويقول الشيخ اليرشطي إشارة إلى أنه مع أن الشيخ اختار مرديه من الأزل بصفاته وأخلاقه، فإنه أخرج لطافته منهم ليكتسبوا الأوصاف: "لطافة الشيخ دخلت على المریدين، لكنه أخرجها منهم، وبقي أثرها، كي يستمدوا منه".⁵ ومبدأ الاتباع يتطلب مبدأ آخر يتعلق به وهو مبدأ "امتثال الأمر"، وهو الذي يعني التسليم، كما قال الشيخ اليرشطي عنه: امتثال أمر الشيخ يوصل المرید لأعلى المقامات:⁶ "وذلك عملاً بالآية: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا".⁷ وقال الشيخ اليرشطي: "على الفقير الذكر، وامتثال الأمر. والله، سبحانه، الفتوح، وانسراح الصدر".⁸ والامتثال يورث الظفر والفلاح، بوعد من الله: "ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم، وأشدّ تنبيهاً. وإذن لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً، ولهديناهم صراطاً مستقيماً".⁹

¹ رواه مسلم، وألسهروردي، أبو النجيب عبد القاهر، في كتاب "آداب المریدين"، حققه وقدم له مناحيم ميلسون، صادر عن معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية/ الجامعة العبرية بالقدس، 1977، ورواه الغزالي في "كتاب إحياء علوم الدين"

² اليرشطي، فاطمة، نحات 566

³ م. ن. 570

⁴ م. ن. 567

⁵ م. ن. 569

⁶ م. ن. 572

⁷ القرآن الكريم، سورة النساء 4:65

⁸ اليرشطي، فاطمة، نحات 42

⁹ القرآن الكريم، سورة النساء 68-66:4

والغاية من التربية الصوفية هي معرفة الله بمعرفة تجلياته بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتخلق بأخلاقه، كما ذكر الشيخ أحمد اليرشطي في معرض حديثه عن "علم التصوف" في موقع آخر من هذا البحث. وحتى يصل الى معرفة التجليات فعلى المرید أن يتخلى المرید عن أنانيته وعدم الالتفات إليها ليعرف الحقائق الإلهية، فقال الشيخ اليرشطي: "من التفت إلى آدميته بالكلية سلبت عنه الحقائق الإنسانية. ومن سلبت عنه الحقائق الإنسانية، جهل حقائق العلوم الإلهية."¹ وقال الشيخ: "من وقف عند (إن لم تكن)، ظفر بعلم (مالم تكن). "بمعنى أنه عند قراءة الحديث " إن لم تكن تراه فإنه يراك، أن يقرأها إن لم تكن (أي موجودا)، فعل الشرط، يكون جواب الشرط (تراه). فلما كانت الأنانية هي الحجاب عن الحق قال ينبه على سطوتها: "الأنانية هي أعظم داء في الوجود."² وأكد على أن التخلص منها هو أسرع الطرق في الوصول: "بعض المتصوفين، عدّوا المراتب والمقامات، وبذلك أضاعوا المریدين. ولكن سيدي الشيخ المداني، قدّس الله سرّه، اختصر لنا الطريق، فقال: "فقر الفقير إسقاط ياء الضمير". وكان الطريق ترقياً، فجعلته تدليلاً. ولولا ذلك، من أين للفقراء أن يشموا هذه الرائحة في وقت قريب؟! فقد كان الفقير، قبلاً، يمر عليه عشرون عاماً حتى يشم هذه الرائحة. والطريق لمن صدق لا لمن سيق."³

ولبيان أهمية الشيخ المرشد، وضرورة البحث عنه، قال الشيخ اليرشطي: "أصل ماء البحر حلو. فلما طرأ عليه العرض، صار مالحة. يلزمه أستاذ ماهر، يكرره، ويرجعه لأصله."⁴ ولبيان أهمية العشرة، وانتقاء من تعاشر قال: "من عاشر العطار طاب بطيبه، ومن عاشر الحداد لا يسلم من السواد."⁵

2.7.3 التربية الأخلاقية والروحية

كان الشيخ علي نور الدين اليرشطي يلتقي في مجلسه، في الزاوية في عكا، جماعات من كافة المستويات، من علماء وفلاسفة وشعراء، وأميين وفلاحون، وبهذا كان كلامه بسيطاً باللغة العربية

¹ اليرشطي، فاطمة، نجات 1176

² م. ن. 888

³ م. ن. 55

⁴ م. ن. 1190

⁵ م. ن. 1230

الفصحى يشوبه أحياناً بعض الكلمات باللهجة المغربية. ولميضا كان المریدون، باعتقادهم بشيخهم، يتحینون أن يلتقطوا كلماته وحركاته يأخذون منها معان وتعليمات وإشارات، كلُّ يأخذ من الموقع الروحي الذي وصل إليه. وكان یحث أبناء الطريقة على الاجتماع والذكر والتذاكر والتناصح، قال: "اجتمعوا واذكروا وتناصحوا، والمدد يأتيكم هكذا." وأشار بيده الى الفقراء، یعنی أن المدد يأتي من بواطن الفقراء. وكان ينصح تلاميذه في طريقة تعاملهم في المجتمع العام، بأن يتعامل مع الأشخاص بحسب التعامل السائد بينهم، مع الحفاظ على المستوى الأخلاقي الروحي الذي اكتسبه من الطريقة، بمعنى: "مع أهل الظاهر احفظ ظاهرک، ومع أهل الباطن احفظ باطنک، ومع اهل الله کن كيف تشاء." "أسند ظاهرک للكتاب والسنة، وأطلق باطنک للحق، ولا تخف من شيخک ولا من أحد."¹ وفي القول: " لا تعطوا الحقيقة غير أهلها فتظلموهم، وفي قول آخر فتظلموها". وهو العلم الذي اسماه الإمام أبو حامد الغزالي بالعلم "المضنون به على غير أهله". وقال الشيخ البشريطي في هذا المعنى: "الطريق محبة وصدق وحفظ أسرار الله. ولا يجوز إعطاء الطريق لمن لا يحفظها. فماذا نفعل بهؤلاء الذين يعطون الطريق للناس، وفي ذات الوقت، يتكلمون أمامهم بالحقائق؟! فالفقير الصادق لا يتكلم بالحقائق إلى غير أهلها، إلا إذا كان متمكناً من العلوم الظاهرة، خشية أن يخطئ في التعبير، فيكفر دون أن يدري. ولذلك ، يجب عليه أن يتوب عن إعطاء الطريق لمن لا يحفظها، فيما لو فعل ذلك، ويتوب عن التحدث بها أمام الناس."²

وكان يتحدث وكأنه يعلم بواطن المریدين، فقد قال مرة، وكأنه أحس بخواطر المریدين، أو أحد المریدين: "إذا بلغ مسامعكم أن رجلاً يدعي المشيخة، فاذهبوا إليه واجلسوا معه. فإن رأيتموه يتكلم بالمقام، وينصت ويصمت، فاعلموا أنه ليس بشيخ، لأن الشيخ يخرج من الكلمة الواحدة علوم الأولين والآخرين."³ وكان يزرع في قلوب المریدين محبة الشيخ ويقوي اعتقادهم بشيخهم، وبقوة مدده، فيقول: "لا تخافوا! شيخكم مدده قوي. كلوا أفخر الطعام والبسوا أحسن اللباس وناموا على الفراش اللين، واذكروا الله ذكراً كثيراً."⁴ ويقول: " سلّموني قلوبكم، وكونوا كيفما شئتم."¹

¹ م. ن. 62

² م. ن. 6

³ م. ن. 412

⁴ م. ن. 517

وكان يحث الفقراء على العمل فقال مشيراً إلى عدم ترك الأسباب، وقوة الولاية: " لو كان إبراهيم بن أدهم في زماننا هذا، لأعطيناه مقامه وهو جالس على كرسيّ مملكته، ولن نأذن له بتركها."²

وكان الشيخ يعلم بالأمثال، فقد سأله أحد الفقراء: من أين يأتي ماء المطر؟ فقال: هو من البحر، يأتي من تنبير الغيم.(التنبير هو التكاثف والترام). فقال الفقير السائل: ماء المطر حلو، وماء البحر مالح. فقال الشيخ: أتريد أن تعرف كيف يتكرر الماء؟! فلكُ الهواء يصعد به إلى فلكِ النار. فيحترق العرض الذي أكتسبه من بقعة الأرض، ويرجع الماء حلواً إلى جوهره الأصلي. قال الفقير: إني أسأل يا سيدي، عن العرض الذي يطراً علينا، كيف يزول؟ فقال الشيخ: أما سمعت الآية الكريمة: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}؟! فالإنسان يخلق على فطرة التوحيد. والحديث الشريف يقول: ((كلُّ مولود يولد على الفطرة)).⁽³⁾ والعرض الذي يطراً عليه هو الشرك الخفي. فإذا من الله عليه، وجمعه بنبي مرسل، أو بوارث محمدي أكمل، هنالك تشتعل نار المحبة، فتُحرقُ ذلك العَرَضُ الذي هو شركٌ خَفِيٌّ، ويرجع الإنسان إلى فطرة التوحيد.³

فالشيخ يتحدث عن جوهر الإنسان وهو الواحد، ويشرح الأعراض التي تلحق بظاهره، وكيف يزول هذه الأعراض ليرجع إلى أصله الواحد. ويبين الشيخ ذلك في حديث آخر فيقول: " كل مولود يولد على الفطرة. ومنذ أن يطلق عليه الاسم ويدعى به، تلبسه الخلقية. ولا يزال ينمو، إلى أن يبلغ سن الرشد فيفرح أبواه. ولو عرفوا قيود العقل، لبكوا عليه. فالعقل عقال، أي تراكم الحجب. ولا يقدر على الخلاص من تلك الحجب، إلا صاحب مرتبة نورانية محمدية. هنالك يجتمع في الإنسان قوله، تعالى، في كتابه العزيز: (هذان خصمان اختصموا في ربهم) ¹. المرتبة النورانية المحمدية، والمرتبة الإبليسية. الأولى تقول له: شق هذا البرج وأخرج إلى الفضاء. وتقول الأخرى: إذا خرجت منه تموت. فمن أطاع

¹ م. ن. 518

² م. ن. 432

³ م. ن. 212

¹ سورة الحج، الآية: 19.

نفسه مات داخل البرج. ومن يطع المرتبة النورانية المحمدية، تسع أخلصه من الهوى والشيطان، فيخرج إلى الفضاء، عيسوياً¹ طياراً، من أهل النفخة.²

3.7.3 باب الوسعة الذاتية والتسامح

ومن أهم مبادئ الطريقة الوسعة الذاتية في الفقير بأن يرى تجليات الحق في الكون، وأن يرى الحق هو المتجلي في كل شيء، وفي كل أمر، وأن يتقبل هذه التجليات بالوسعة، من دافع المحبة، فقال: "إذا وسع الإنسان اثنين يُعدُّ باثنين . وإن وسع ثلاثة يُعدُّ بثلاثة. وإن وسع أهل المدينة، يُعدُّ بأهل المدينة. وإن وسع الوجودَ يوازي الوجود."³ وقال الشيخ محمد الشريف: أتمنى أن يردني الله شاباً، لأقوم بالرياضات والعبادات مرة ثانية. فأجابه الشيخ اليشرطي: "هذا الوقت ليس بوقت كثرة عبادات وذكر؛ وإنما هو وقت سعة ذاتية." قال: "الفقير الصادق في طريق الله، هو الذي يملك نفسه."⁴ وقال الشيخ: "الذي عنده علوم و أحكام و تفاصيل ملء الدنيا، ولا يوجد عنده صفات، فهو لا شيء."⁵ وقال: "إذا قابلك أخوك الفقير بنفسه، فلا تقابله بنفسك. فالفقير الصادق هو الذي إذا قابله أخوه بنفسه، يقابله هو بروحه."⁶ وكلمة النفس هنا تعني النفس الأنانية الأمانة، وهي أدنى مراتب النفس.

4.7.3 مبدأ المحبة والإخاء في الطريقة، وموقع الأخ في التربية الروحية

إن العلاقة القائمة في الكون، بين الله وبين خلقه، وعلى الأخص الإنسان، وبين الناس في ما بينهم، وبين الأجرام التي يحكمها قانون الجاذبية العام، قائمة على المحبة والإيمان المتبادلين فيما بينها. فقد

² . تعمل على أخلصه من الهوى والشيطان.

¹ يشير الشيخ بذلك الى قوله تعالى في الآية في سورة التحريم،: 66:12 : "وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا".

² اليشرطية، فاطمة، نفحات 149

³ م. ن. 511

⁴ م. ن. 139

⁵ م. ن. 140

⁶ م. ن. 141

جاء في الحديث القدسي أن المحبة هي أول ما برز من الكنز: "كنت كنزاً مخفياً، فأحببت أن أعرف فخلقت خلقي، فبني عرْفوني"¹.

قال الشيخ علي نور الدين اليشرطي، في حديث له، وأعاد قوله شيخ الطريقة القائم، الشيخ احمد اليشرطي: "الطريقة هي الكتاب والسنة، وامتنال أمر الشيخ"². وفي هذا الحديث، نرى أن التربية أولاً، مبادؤها مستقاة من الكتاب ومن السنة النبوية، وثانياً فإن امتثال أمر الشيخ المري، وهو التسليم، أساس في رقي المري، وهذا المبدأ أيضاً، أي مبدأ امتثال الأمر، مُستقى من الكتاب والسنة. ومبدأ الإخاء طبقه الرسول في مكة المكرمة في بدايات الدعوة، وطبقه في المدينة المنورة، فأخى بين المهاجرين والأنصار، عملاً بالآية الكريمة: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }³ وبالآية: { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ }⁴. ومن أقال الشيخ اليشرطي في التربية والتعامل مع الفقراء من أبناء الطريقة: "من جملة النقل الموصل إلى المقام المحمود، إن وجدت أخاك جوعان فأطعمه، وإن وجدته عرياناً فأكسه؛ وإن لم يكن معه شيء، فأعطه"⁵. ومرة، كان الشيخ إسماعيل الخطيب الطوباسي يمسك يمسك بيده كتاباً. فسأله الشيخ اليشرطي: ما هذا الكتاب؟! قال: كتاب (المعرفة)، فأجابه: "تعال لأقول لك ماهية المعرفة. المعرفة والحقيقة أن تذكر الله بإخلاص، وتحب أخاك بإخلاص وتطعم هذه اللقمة بإخلاص." ولئن سبق وذكرنا هذا الحديث، في موضوع التدرج المعرفي عند الشيخ اليشرطي، وفي مبحث المعرفة الحقيقية، إلا أن الشيخ في هذا الحديث يبين مركز الإنسان وأهميته عند الحق، فهو المري وهو الأخ الناصح، النادر الوجود: "آه. آه. آه. الأخ الصادق قليل. أتعرف من هو أخوك؟! أخوك الذي دائماً معك على نفسك، في سيرك، وليس الذي مع نفسك عليك"⁶. وهو الذي بمحبته الوسيلة للوصول إلى المقام المحمود: "من جملة النقل الموصل إلى المقام المحمود إن وجدت أخاك جوعان فأطعمه، وإن وجدته عرياناً فأكسه، وإن لم يكن معه شيء فأعطه"⁷. والأخ المتكامل هو

¹ حديث قدسي

² ورد هذا الحديث في مواقع متعددة من هذا البحث

³ القرآن الكريم، سورة الحجرات، 49:10

⁴ القرآن الكريم، سورة الحجر 15:47

⁵ اليشرطية، فاطمة، نفحات 17

⁶ م. ن. 1349

⁷ م. ن. 17

الذي يتكلم به سير المرید: "إذا انتقل الشيخ وخلف مریدین لم يكمل سيرهم، وجب على المرید الذي لم يكمل سيره، أن يجد له أخاً متكاملاً يتكلم به".³ ولبيان مقام الفقير عند الشيخ، وليعزز مقام الأخوة في الطريقة، ويقوي مكانة الأخ عند أخيه، وخدمته لأخيه، قال الشيخ الیشرطي: "الفقير جنة أخيه".² وجعل الشيخ الیشرطي، تجريد المرید لخدمة أخيه في مقام التجريد لخدمة الشيخ: "الفقير، لو يعلم فضل خدمته لأخيه، لترك الدنيا والآخرة، ولزم خدمة أخيه".³ وفي هذا المقام قال توفيق عزيز الصفدي:

أعد أذاك وإياك الجفا عنه والزمه ظللاً له واحفظه بل كن هو

هناك إن صح هذا منك أو منه حققنا نسبةً سبحان مبدئها⁴

8.3 نظرية الشيخ الیشرطي في المعرفة

تطورت الأبحاث الكلامية والعقائدية في الفكر الإسلامي، من البحث في قضية إثبات وجود الله، إما عقلاً عند المعتزلة، أو نقلاً عند علماء الحديث، أو عن طريق البصيرة عند الحارث المحاسبي، إلى الجدل بين المسلمين وبين غير المسلمين، فانتقلوا إلى البحث في إثبات الوجدانية لله. ثم انتقلوا إلى البحث في صفات الله وكلامه، ونفي الصفات وتجريد الإله، فمن معتزلة إلى سالمية، ومن قرآن مُحَدَّث إلى قرآن مخلوق، وكلام الله محدث أو قديم، فإن كان قديماً فيكون عيسى "كلمة الله" قديماً قدم الله، ومن معطل منزله "بالغ في التوحيد إلى الحد أفسد التوحيد"⁵. وانتقلوا إلى بحوث في الإرادة الإنسانية والجبر والاختيار، والكفر والإيمان والمعصية والفسق، إلى مواضيع ليس هذا مجال تفصيلها.

³. أنظر نفحات الحق، هامش الحديث 658. وفي قصة الزيات الذي يجلس قرب الشيخ علي نور الدين أثناء تجرد الشيخ لأنه يراه نورا يريد أن يستضيء به.

¹ الیشرطية، فاطمة، نفحات 436

² م. ن. 596

³ م. ن. 170

⁴ الصفدي، توفيق عزيز، اللطائف الروحية، ص 466

⁵ عفيفي، أبو العلا، التصوف ص ص 156-157

أما المعرفة عند الشيخ اليرشطي فهي الميراث المحمدي. "والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر." ولما كانت المعرفة هي الميراث المحمدي الذي يرثه الفقراء، فكيف يأخذ الفقير منه بحظ وافر؟ قال الشيخ علي اليرشطي: "لكل مؤمن ميراث محمدي! فبأي شيء يناله؟! فقال أحد المريدين: يناله بالفضل، وقال مريد آخر يناله بالاجتهاد. فقال الشيخ: "لا، لا، يناله باتباع السنة المحمدية."¹ وميراث الأنبياء هو العلم والمعرفة، "والفضل" على حد قول المريد هو الإلهام الذي ينتزل عليه بفضل الله، وأما اتباع السنة المحمدية، على حد قول الشيخ اليرشطي، فهي تعني العمل بالاتباع. فالمعرفة عند الشيخ اليرشطي لا تتم بالعمل وحده ولا بالإلهام وحده، بل بكليهما معا وبالفضل. فاتباع السنة المحمدية يكون بالافتداء بالاجتهاد، مع التيقن بأن المعرفة تأتي للمؤمن بالإلهام من الحق، بمدد من فضل الوارث المحمدي، أو ما يسمونه محمد عصره أو صاحب الوقت. والإلهام هو "إدراك الحد الأوسط في المقولة المنطقية، إما من عالم به، أو بالحدس، intuition."²

فنظرية الشيخ اليرشطي الفلسفية في المعرفة، تقوم على ثلاثة أسس: الإلهام، والعقل، والاجتهاد بالعمل، واتخذ سبيلاً وسطاً، "يرفض الاستغراق في المعاني الفلسفية، التي يرمز إليها بالمعرفة، وهي التي تسمى بالمصطلح الصوفي "الموارد"، ورفض لمريديه الانجراف وراء الطريقة السطحية، التي يرمز إليها بالكرامات."³ فقال كما ذكرنا سابقاً: " لا تقل كرامات، لا تقل معرفة وتحقق، أنا ما عندي إلا الثبوت." وأما الاحتكام الى العقل فهو أساس في الطريقة كما سبق وذكرنا قول الشيخ: "إذا ورد على الفقير وارد، يجب أن يزنه بميزان الشرع، فإن وافق الشرع يقبله. و إلا ، فليُرَدَّه."⁴ والعقل الذي يعنيه الشيخ اليرشطي هو العقل الذي يتماشى مع الذوق الصوفي المنطلق من القيود، والذي تحلى بالقدرة على الاستيعاب، كما قال الشيخ اليرشطي: " العلم الإلهي مطلق، والعقل

¹ اليرشطية، فاطمة ، نفحات 861

² Nussaibeh, Sari, Al-‘Aql Al-Qudsī: Avicenna’s Subjective Theory of Knowledge, Studia Islamica 69 (1989) 39-54. Nywia, Published by Maisonneuve-Larose,

³ صوافطة، وفاء، المدرسة الشاذلية اليرشطية ص 284

⁴ اليرشطية، فاطمة، نفحات 74

والإدراك مقيدان. فإذا قوي العقل الإلهي عليهما انطلقا بانطلاقه، وإن هما قويا على العلم الإلهي، تقيد العلم تحت دائرة العقل والإدراك.¹

وتتبدى نظرية الشيخ الشرطي في المعرفة، في أن المعرفة، من حيث هي، لها ثلاث مراتب: مرتبة علم اليقين، ومرتبة عين اليقين، وثالثتها مرتبة حق اليقين. ويتوضح ذلك من قوله: "إذا قيل لك: يوجد في الشام عالم كبير، في علم الظاهر والباطن والمعرفة والتحقيق والشهود، والأخلاق المرضية والأوصاف المحمدية، فماذا يصير عندك؟! (علم اليقين)^٢. فإذا جاء الرجل ورأيته كما دُكر لك، ماذا يصير عندك؟! (عين اليقين)^٣. فإذا صحبتَه، وعرفت ظاهره وباطنه، فوجدته فوق ما وصفوه لك، ماذا يصير عندك؟! (حق اليقين)^٤. إذن! ما الذي فني بينك وبينه، وأنت على ما أنت عليه، وهو على ما هو عليه، لا زيادة ولا نقصان في وجود ذاتك وذاته؟! الجواب: الذي فني بينك وبينه الجهل، أي جهلك به."²

9.3 الشيخ الشرطي والتوحيد

اهتم الفلاسفة السابقون بالبحث عن العلة الفاعلة وراء الصور الوجودية القائمة. بينما الشيخ الشرطي في محاولة توفيقية يجمع العلة الفاعلة في إطار الشخصية المحمدية، فالحقيقة المحمدية لدى الشيخ الشرطي، هي الجامعة للتوحيد في الوجود، فالحقيقة المحمدية: "قبضة من نور الله، ظهرت بالصورة المكرمة، وجعل الله منها ما كان وما يكون"³ وقال الشيخ معلقاً على أقوال السادة الصوفية، من أن الحضرة المحمدية جامعة لكل ذرة من ذرات الوجود، فقال: هذا بالنسبة للسر المحمدي. فما ثبت الوجود عيناً إلا بذاته الشريفة، فهو عين كل موجود، لأن المظاهر العلمية جُمعت بالمظهر المتعين، الجامع الحقيقي. لذلك صار هو عين كل ذرة⁴ بنسبة تحققها، وعدم ربط نظرنا بظواهرها. ولم نطلق

¹ م. ن. 287

^٢ . علم اليقين : ما أعطاه الدليل.

4. عين اليقين : ما أعطاه المشاهدة .

٥ . حق اليقين : ما حصل من العلم بما أريد له ذلك المشهود .

² الشرطية، فاطمة، نفحات 942

³ الشرطية، فاطمة، نفحات 217

⁴ وفي كون المخلوقات تجليات لهذا النور يقول الشيخ رشيد سنان الشاذلي الشرطي، في اللطائف الروحية ص 80:

النظر، هنا، إلا باعتبار ما ظهر لنا من العلم الحقيقي، أنها عين كل ذرة، وأن كل ذرة عينها، بتحقيق الخلق بالسر المحمدي، الذي هو نورٌ من نور الله، تبارك وتعالى . ثم قال: وهذه المخلوقات مظاهر الحق. والأطوار متعددة. منها ثابت بثبوتها بكل متلون ، ومثلون بتلونه بكل ثابت. وهذا لا يدرك بالعقل المقيد بطبيعته، بل بمعرفة الله ذوقاً وحالاً. فلا يوصف، سبحانه، ولا يُدرك.¹ ولما كانت الحضرة المحمدية، عند الشيخ اليشرطي جامعة لكل ذرة من ذرات الوجود، قال الشيخ: "المخلوقات نور محمدي. وأنا ما عندي إلا محمد. أكلي محمدي، وشربي محمدي، ونومي محمدي، وكلي محمدي. والذي يصدق يصدق، وإلا ، فعليه أن يجدّ ويكدّ ويذكر الله ، فيرى بعينه."² فتوحيد الشيخ اليشرطي هو التوحيد في الشهود المحمدي، في التجربة الصوفية، بالمعاناة والممارسة، "بأن يذوق العارف طعم الحقيقة، لا أن يستدل عليها. فالتجربة الصوفية وحدة شاملة متكاملة، تجمع بين الممارسة والعرفان."³ وقد قال الشيخ عبد القادر الحمصي في وصفه لخلق العالم: "أحمد الله الذي أظهر من باطن خفاء عماء ليل هوية الأحذية، مطالع أنوار فجر صبح حضرة الحقيقة المحمدية، ثم سلخ الله منها جميع العالم، فكانت للأشياء في نسابة آدم. فهي كلمة الفصل التي لم تنزل راجعة للأصل، ونون الكاف عند أهل الأعراف، قديمة في العلم، حادثة في الجسم، سارية في الأزمان كالشمس في الأكوان، تعدل ما يكون وما كان."⁴

نور تعين قبل كل حقيقة وحقائق الأشياء عنه تتجلي
عرش إلى الرحمن بالوصف استوى والرفرف الأعلى المبرقع بالحلي
والكرسي والقلم الذي صفحاته لوح الوجود مفصل في مجمل
يا كعبة حجت لها أرواحنا من قبل طينة آدم المتبتل

¹ اليشرطية، فاطمة، نفحات 218

² م. ن. 222

³ صوافطة، وفاء، المدرسة الشاذلية اليشرطية ص 527

⁴ الحمصي، عبد القادر، المولد النبوي الشريف

10.3 نظرة الشيخ القائم، الشيخ أحمد اليشرطي في الطريقة وأحكامها وأركانها

1.10.3 أحكام ومراتب الطريقة - مقابلة¹ مع الشيخ احمد اليشرطي

وللتعرف على الطريقة وأركانها وأحكامها، تفضل شيخ الطريقة القائم، الشيخ أحمد محمد الهادي اليشرطي، وهو محام وأستاذ في القانون، ورحب بقبول لقائي للتعرف على الطريقة. وسألته أن يشرح لي شيئاً عن التصوف والطريقة الشاذلية اليشرطية، فقال :

"الطريقة الشاذلية اليشرطية طريقة إسلامية محمديّة سُنِّيَّة، ترجع في سَنَدِها الى الرسول (ص)، وهي مبنية على الكتاب والسنة." الطريقة هي الكتاب والسنة، وامتنال أمر الشيخ². وقال يبين مراتب الطريقة: " طريقتنا مبنية على أربع مراتب: "المحبة، والمراقبة، والمشاهدة، والفناء"³. وأركان الطريقة أربعة: "محبة، وذكر، وفكر، وتسليم. وأهم هذه الأركان المحبة، لأنها قطب تدور عليه الدوائر؛ فمتى أحبيته ذكرته، ومتى ذكرته فكرت فيه، وسلمت أمرك إليه"⁴. ويتم الانتساب الى الطريقة بالمبايعة: وهي مصافحة ومعاودة مع شيخ الطريقة، حيث يتلقى المريد عن الشيخ ، ما تفرضه عليه الطريق من واجبات، أولها التأكيد على أداء أركان الإسلام الخمسة ، وتلاوة الأوراد المقررة، والمداومة على ذكر الله ، والمداومة على حضور اجتماعات الطريقة.

توجهت للشيخ بالسؤال عن التصوف، فقلت: أرجو منك يا سيدي أن تعطيني لمحة عن التصوف، فإن الذي أعرفه عن المتصوفين أن الزهد والفقر ولبس المرقعات والبسيط من الثياب من صفاتهم، والذي أراه أنكم تقيمون في هذا المبنى الفخم المزود بأحدث التقنيات، وأبناء الطريقة يحملون أعلى الشهادات العلمية وأرقى المناصب الرسمية وغير الرسمية، ويمتحنون مختلف الحرف والصناعات.

نظر إلي الشيخ بابتسامة عابقة بشذى المحبة، ثم قال: أولاً يا ولدي، لا تنتظر إلى المظاهر. أنت تدرس الفلسفة في الإسلام، والفلاسفة يقولون إن الحقيقة موجودة في الجوهر، وبعضهم يقول إن

¹ تمت المقابلة ظهر يوم الثلاثاء 2016/11/1

² اليشرطية، فاطمة نفحات 7

³ م. ن. 2

⁴ م. ن. 30

الجوهر يظهر في المظهر. والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى". ويقول: " التقوى ها هنا ، التقوى ها هنا"، أي في قلبه. ومؤسس الطريقة، الشيخ علي نور الدين اليشرطي يقول: " المخلوقات نور محمدي. وأنا ما عندي إلا محمد. أكلي محمدي، وشربي محمدي، وكلي محمدي. والذي يصدق يصدق، وإلا فعليه أن يجد ويكد ويذكر الله، فيرى بعينه." وهذا هو شأن المتصوف من أبناء الطريقة، يتقرب إلى البارئ ويلتزم أحكام مولاه، أمراً ونهياً، مع الأخذ بأمور الدنيا بحسن التصرف بالأسباب بما يرضي الله ورسوله، الذي يدعو إلى الحكمة والموعظة الحسنة، ونبذ التطرف، عملاً بقوله تعالى: { وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا}.¹ إذ أن الدنيا والآخرة لله ومن صنع الله .. أنحرّم ما أحلّ الله !! { قل من حرمّ زينة الله التي أخرج لعباده.² وشيخنا علي نور الدين اليشرطي يقول: "لا تخافوا. شيخكم مدده قوي. كلوا أفرح الطعام، والبسوا أحسن اللباس، وناموا على الفراش اللين، واذكروا الله ذكراً كثيراً".³ والفقير في حياته يضع في قلبه ونصب عينيه حديث حضرة سيدنا: "أفنوا أنفسكم في شيخكم. وافنوا شيخكم في محمد، وافنوا محمداً في الله. واجعلوا ظاهرهم شريعة، وباطنكم حقيقة".⁴ وقد سبق وقال ابو الحسن الشاذلي، من أقطاب سلسلتنا الشريفة: ليس هذا الطريق بالرهبانية، ولا بأكل الشعير والنخالة، وإنما هو بالصبر على الأوامر، واليقين في الهداية." وقال القطب الشيخ ابو العباس المرسي يوصي مرديده: "عليكم بالسبب - أي العمل الدنيوي- ، وليجعل أحدكم سبحة مكوكه".⁵ وفي هذا المعنى قال شيخنا، الشيخ علي نور الدين، مشيراً إلى عدم ترك الأسباب، وقوة الولاية: "لو كان إبراهيم بن أدهم في زماننا هذا، لأعطيناه مقامه وهو جالس على كرسي مملكته، ولن نأذن له بتركها".⁶

فالمتصوف الحقيقي، وليس الدّعيّ أو المتطّقل، عالمٌ متبحّر وذو معارف دقيقة ، فهو يجمع بين علوم الشريعة والحقيقة، والعلوم الدنيوية من طب وهندسة وعلوم الذرة والكيمياء ، والآداب والقانون والشريعة.

¹ القرآن الكريم سورة القصص 28:77

² القرآن الكريم، سورة الأعراف 7:32

³ البشريطية، فاطمة، نفحات 517

⁴ م. ن. 678

⁵ عياد، احمد بن محمد الشافعي، كتاب المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، 1964م

⁶ البشريطية، فاطمة، نفحات 432

فمن أبناء الطريقة أساتذة في الجامعات في علوم الفيزياء والذرة، كما في التاريخ والآداب، ومنهم أطباء وفنيون في الطب النووي والتحليل الطبية، ومهندسون وتجار وحرفيون وغيرها من المهن والحرف. فالتصوف ليس تقوقاً وهجراً للحياة ولجوءاً للصومعة، بل هو يجمع إلى أمور الحياة والمعاش، تغليب المناحي الروحية. وأما الشطحات المنسوبة لبعضهم، فإنها لا تعدو أن يكون قصورا في القدرة على استعمال اللغة وتطويعها للمعاني والمقاصد الدقيقة. وأما تعريفات التصوف، فإن الكتب والمكتبات بها مليئة، وهي متنوعة تنمهي مع نظرة المَعْرِف. أما عندنا فأنا أقول فيه: "إن التصوف هو معرفة الحق بالحق".¹

تريد أن تسأل عن المحبة عموماً، وعن المحبة في التصوف وفي الطريقة، فهات ما عندك. قلت يا سيدي، إن للطريقة أربعة أركان، أولها وقطبها الذي تدور عليه الدوائر هو المحبة، فما هي الأركان الأخرى، وهل تميّز أحدها على الأركان الأخرى؟

نعم، الأمر كما قلت، فأركان الطريقة هي بالترتيب: محبة، وذكر، وفكر، وتسليم. فمن أحب شيئاً ذكره، وفكر فيه، وسلم إليه. والذي شاء صاحب هذه الطريق أن يختصه بالتقديم وبالتمييز، هو ركن المحبة. فهي القطب الذي تدور عليه الدوائر. وصاحب الطريق ومؤسسها، الشيخ علي نور الدين الشرطي، اختص هذا الركن بالتقديم فجعله الركن الأول.

ما معنى ذلك يا سيدي؟

لاحظ يا ولدي أن التعبير جاء بلفظ "المحبة" ولم يأت بلفظ "الحب"، لماذا؟ لأن لفظ المحبة فيه دقة. أُلْفُظ كلمة "محبة" وأُلْفُظ كلمة "حُب". ألا تلاحظ فرقاً بين اللفظين؟ اللفظ الأول فيه دقة وفيه رقة، وفيه أيضاً روحانية. إذن المقصود بهذا الركن هو أن يتولد عند المرید شعور دقة في النظرة، ورقة وشعور لطف، وشعور روحاني. ولذلك فالمحبة المقصودة في التصوف عموماً، وفي هذه الطريق إنما هي المحبة الروحانية. ولهذه المحبة، أو لهذا الركن ركائز، وأول هذه الركائز: أن تكون هذه المحبة خالصة لله تعالى.

قلت يا سيدي إن الركيزة الأولى في ركن المحبة هي أن تكون خالصة لله تعالى، فكيف يكون ذلك؟

¹ راجع الملحق رقم 8

المنتسب للتصوف له هدف واحد هو الوصول الى الله سبحانه وتعالى لمعرفة، مثلما قلنا لك ! فكما أن هدفك من التحاقك بجامعة القدس في مساق ماجستير الفلسفة في الإسلام ، هو تحسين حالك الوظيفي ، فذلك هدف، فإذا حصلت على الشهادة تحقق لك هدفك وإلا بقيت حيث أنت . كذلك في التصوف إذا كان هدفك الوصول إلى الله سبحانه وتعالى فقط، بمعرفتك له، فمعنى ذلك أن علاقتك يجب أن تقوم على هذه الركيزة ، فإذا وقعت عندك المحبة الصوفية الصادقة، فإن ذلك يؤدي بك إلى دقة النظر، ورقة الشعور، فإذا توفرت فيك هذه الدقة إلى جانب الرقة، فإن إمكانية تحرك تكون أقدر .

ما معنى ذلك يا سيدي، وارجو أن تضرب لي مثلا يفتح لي باب الفهم، فإن الموضوع غريب علي؟ فأجاب الشيخ: "كيف يكون ذلك؟ الواحد عندما يكون خفيف الوزن تكون حركته اسهل وأسرع، ولذلك لما يزيد وزنك، يطلب الطبيب منك أن تخفف وزنك، لماذا ؟ لزيادة النشاط ولسهولة التحرك؛ والأمر كذلك في تكوين الإنسان من الناحية الروحية، حتى لو كان وزنه العادي كبيرا، فلا علاقة لهذا بذلك، فعندما ترق مشاعر هذا الإنسان وإحساساته، فإن كيانه الروحي يصير خفيف المحمل، ويترتب على ذلك أن تحركه الروحي يصير عليه أسهل، مثل التحرك الجسدي، فإذا سهل أمر تحرك هذا الإنسان الروحي فإن انطلاقه في طريق الله يكون اسهل واقدر وأسرع. وقد قال حضرة سيدنا علي نور الدين مؤسس الطريقة: " صاحب الذكر سائر، وصاحب الحب طائر " ¹. فالمحبة الصوفية، ترقق مشاعر الفقير، فتسهل حركته في انطلاقته نحو الحق سبحانه وتعالى، ليسهل عليه الوصول، ولتتحقق عنده المعرفة بهذا الوصول. وهذا هو هدف الفقير من انتسابه للتصوف .

فهمت من كلامك يا سيدي أن المحبة ترقق من مشاعر الفقير المتصوف، وأنها يجب أن تكون خالصة لله، فإذا دخلت عليها أهداف أخرى، أعاقت سيره، وتعطل وصوله إلى الله. ولي هنا سؤالان إن تكرم سيدي وسمح لي بذلك. الأول أنك قد ذكرت كلمة الفقير مرتين، فماذا تعني هذه الكلمة؟ والسؤال الثاني: هل للمحبة ركائز أخرى؟ فقال الشيخ:

¹ البشرية، فاطمة، نجات 58

أما كلمة الفقير فبحثها يطول، ولكن أذكرك بالآية الكريمة التي تقول: { يا أيها الناس، أنتم الفقراء إلى الله. }¹ والآية الثانية، في قول موسى: { رب إنني لما أنزلت إليّ من خير فقير }². وهي تعني هو الفقير إلى الله، ولا تعني الفقير من الناحية المادّية. وتعني كما قال سيدي الشيخ المداني: " فقر الفقير إسقاط ياء الضمير."³ ومعناها أن يتجرد الفقير من "الأنا" والأنانية، فيصبح ذاتاً بلا صفاتٍ. وأما الركيزة الثانية في المحبة فهي أن لا تخالطها أمور الدنيا، لماذا؟ ليس لأن التصوف يقول لك أنت لم تعد من أهل الدنيا، لأ، أنت من أهل الدنيا هذا صحيح، ولكن التصوف كله يقوم على فكرة أو قاعدة أن الإنسان مركب من مادة ومن روح، وبالتالي فإن الجزء المادي من هذا الإنسان مآله الزوال حتما مهما طال به الزمن. قالوا إن آدم عاش خمسمائة سنة، وقالوا إن نوح عاش ألف سنة، أو ألف سنة إلا خمسين، أليس كذلك! وبعدين الجسد ذَهَبَ وتحلّل إلى تراب ... لا فيه آدم الآن ولا فيه جسد نوح، هذه الأجساد آلت إلى التحلل. فما الذي يبقى من الإنسان! الذي يبقى هو الجزء الآخر، هو الروح.⁴ إذن الإنسان مركب من جسد ومن روح والتصوف لا ينكر الوجود الجسدي المادي، حتى أثناء وجود الإنسان ضمن القيد البشري ضمن الجسد، (على شان هيك) إذا طرأت على ركن المحبة عوارض، انحرفت بهذا المتصوف إلى جانبه المادي، فالركيزة الثانية هي أن لا تتداخل هذه المحبة في هدفها بأهداف من أمور الدنيا .

تعرفت منك يا سيدي على المحبة، ولكن لمن تكون هذه المحبة وما هو سندها من الكتاب والسنة، وقد فهمت منك يا سيدي أن الطريقة مبنية على الكتاب والسنة. !

فقال الشيخ احمد اليرشطي: الفلاسفة غرضهم معرفة حقائق الأشياء، أو قل حقيقة الوجود ومبدأ الوجود! عندنا في التصوف حديث قدسي، وتعرف أن الأحاديث القدسية هي أحاديث نسبها الرسول للحق سبحانه وتعالى، يقول: " كنت كنزا مخفياً، فأحببت أن أعرف فخلقت خلقي، فبي عرفوني." لن أطيل عليك بشرح الحديث، ولكن لاحظ جملة: " أحببت أن أعرف!" فبالمحبة خُلِقَ الوجود ومن

¹ القرآن الكريم، سورة فاطر، 35:15

² القرآن الكريم، سورة القصص، 28:24

³ اليرشطية، فاطمة، نفحات 422 .

⁴ الشيخ أحمد اليرشطي هنا يشير إلى مبدأ خلود الروح

المحبة برزَ الوجود ، ولذلك قال حضرة سيدنا الشيخ على نور الدين اليرشطي: "فالحب الإلهي قديم، وهو أول ما برز من الكنز".¹ وأما سندها من الكتاب والسنة، فقولته تعالى : { يحبهم ويحبونه }². تريد أن تعرف حقيقة الوجود والموجود وموجد الوجود ، فعليك بمحبة الوجود لتعرف موجد الوجود! { يحبهم ويحبونه }! هل من الممكن أن تحبَّ من لا تعرفه ! سبقت محبته لك وتعرف عليك ، وأنت بمحبتك له تتعرف عليه! أحببه تره في كل شيء، ومع كل شيء، وقبل كل شيء.

ما أجمل كلامك يا سيدي ! يذكرني بقول الشيخ محيي الدين ابن عربي، فيلسوف التصوف:

"تراه إن غاب عني ، كل جارحة في كل معنى لطيف رائق بهج
في نغمة العود والناي الرخيم إذا تآلفا بين ألحانٍ من الهزج
وفي مسارح غزلان الخمائل في برد الأصائل في الإصباح في البلج
وفي التثامي ، ثغر الكأس مرتشفا ريق المدامة في مستنزهٍ فرج
لم أدر ما غربة الأوطان ، وهومعي وخاطري ، أين كنا ، غير منزعج"

ما أروع هذه المعاني! كأنني أحس بها أول مرة ... ولكن هل هذا يا سيدي ، هو مبدأ "وحدة الوجود"! كلا يا ولدي! بل هي ما نسميه نحن "وحدة الشهود"! يسيء بعضهم الفهم، ونعذرهم في رؤيتهم، فيقولون "وحدة الوجود"، وهو في الحقيقة "وحدة الشهود" ؛ وفي طريقتنا هو "وحدة الشهود المحمدي". ويُذكر في الحديث أنه لما سئل الرسول عن أي شيء خلق الله قبل الخلق؟ قال: " أول ما خلق الله نوري .. قبض قبضة من نوره وقال لها كوني محمداً.. ومن نوري خلق الوجود كله من ملائكة وكرسي وعرش وأرض وسماء .."، فالنور المحمدي هو الساري في الأكوان. وهو المسمى بالحقيقة المحمدية، وهو الذي يشهده الفقراء من أبناء الطريقة. ويمكنك التعرف على " نظرية وحدة الشهود المحمدي " من خلال كتاب المدرسة الشاذلية اليرشطية – لولدنا الدكتور وفا احمد السوافطة ، والذي

¹ اليرشطية، فاطمة، نفحات، 31

² القرآن الكريم، سورة المائدة 5:54

تقدم به لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة من الجامعة اللبنانية ببيروت.

وكلمة أقولها، بمناسبة الحديث عن الفلسفة والوجود، أقول لك كلمة لجدي الشيخ علي نور الدين الشرطي حول الوجود وعلاقته بالإنسان: "الإنسان جزء من الوجود من حيثُ بَشَرِيَّتُهُ ، والوجود جزء من الإنسان من حيث حقيقته".¹ فالإنسان في نظر الشيخ والطريقة هو مركز الكون، وليست الأرض ولا الشمس، والكون يدور حوله، ولكن الإنسان يحتاج لعدة وسائل حتى يتحقق من مرتبته العظيمة هذه.

فقلت: عرفنا منك يا سيدي أن المحبة هي أصل الوجود، فما هي علاقة المحبة بالإيمان في الطريقة!

إن المحبة في العقيدة، يا ولدي، هي دليل الإيمان، بمعنى أن الذي لا يحب شيئاً لا يؤمن به. فالإيمان لا يستقر في قلب الإنسان إلا إذا تولد عن محبة ، الإنسان إذا أحب الله سعى إليه، لأن المحبة من طبيعتها إن تدفع المحب نحو محبوبه ، وترى ذلك في الممارسة اليومية العادية. مثلاً ، إنسان يحب موضوع الرياضيات تلافيه يقبل على حصة الرياضيات ويتقن في علم الرياضيات ، كذلك علاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى، هذه مسائل إيمانية، الإنسان يريد أن يؤمن بالله فهذا الإيمان لا يتسخ ولا يستقر في قلب الإنسان إلا إذا أقامه على المحبة. إذن المحبة في التصوف وفي الطريق هي دلالة الإيمان، والإيمان هو وسيلة العبد للوصول إلى ربه، وهذه المحبة هي سبب تثبيت هذا الإيمان وتمكينه في قلب الفقير. والرسول عليه الصلاة والسلام، قال: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا!".

لماذا اختار مؤسس الطريقة أن تكون المحبة هي الركن الأساس في الطريق؟

لم يكن هذا الاختيار عشوائياً ولهذا الاختيار فلسفة عميقة. أنت منتسب لهذه الطريق، وتوفر ركن المحبة عندك لهذه العقيدة المحمدية ولصاحب هذه العقيدة، والمحبة تهيوك وتدفعك لتتطلق نحو الله. الله سبحانه وتعالى قائم وأنت موجود ، فإما أن تتطلق إليه وتقرب منه إلى أن تدخل عليه، وكل ذلك ما هو ببعيد، فالله قريب ، وإما أن تنظر فترى الهوة السحيقة تفصلك عن الله. الوادي السحيق في

¹ الشرطية، فاطمة، نفحات 268

نفسك أنت ، فالمحبة تهيوك، تصفي نفسك وتصفي مشاعرك، وترقُّ هذه المشاعر فتصير قادرة على الانطلاق، ليس أنت الذي تنطلق، ولكنها مشاعرك هي التي تنطلق، وأنت حيث أنت. لن يركبوا لك جناحين أو يأتوك بصاروخ مكوك تطير بهما. لا هذا ولا ذاك ، أنت تنهياً لتتعلق المشاعر عندك فتلتقي مع الله، سبحانه وتعالى، وهو مقبل عليك وأنت حيث أنت. فإذا أحببت الله أو إذا توفرت عندك المحبة الصوفية، ترق عندك المشاعر فيخف ثقلها فتتعلق، وإذا بالحق سبحانه وتعالى مقبل عليك فتلتقي به، أين ؟ ... تلتقي به فيك أنت، تلتقي به في قلبك، ذلك المكان أو ذلك الجزء منك الذي اختاره هو مكاناً له ومستقراً، أليس هو القائل: " ما وسعني إلا قلب عبدي المؤمن. "

أسألك يا سيدي أن تعرفني عن عمق المحبة الصوفية وأثرها في الفقراء ؟

نعم يا ولدي .. هناك أثرٌ للمحبة من الجانب الآخر وهو الروحي. هو أثرٌ صوفيٌ روحي، وهو أن المحبة سببٌ لتنزُّل الإلهامات والموارد على المرید، وأعني بذلك المعرفة التي هي مطلب العلماء والفلاسفة والعقلاء .. متى ، وكيف؟ عندما العبدُ يحبُّ الله ، يُقبلُ على الله ، وينطلقُ نحو الله سبحانه وتعالى، فإذا بالله مقبلاً عليه، لماذا ؟ لأن هاهنا إلهٌ يحب هذا الإنسان! أنت انطلقت مشاعرك نحوه لأنك أحببته، والله سبحانه وتعالى أيضاً هو يحب الإنسان ، " يحبهم ويحبونه " ، فإله يقابل العبدَ حبا بحبٍّ أكبر منه وأعظم. إذا جاءه العبد مشياً يأتيه هرولة ، إذا مشى ذراعاً يأتيه باعاً . فإذا تحققت المحبة عندك لله، أنعم الله عليك بمحبته هو، فينعم عليك بالإلهامات والموارد. إذن الفقير الذي يتوفر عنده هذا الركن، ركن المحبة، يصير أهلاً لتنزُّل الإلهامات والموارد الإلهية عليه . أنظر إلى أين وصلنا من أول الحديث. إذا كنت تتابع الحديث معنا، ترى أننا تدرجنا في الحديث ، مشينا فيه الهوينى، وإذا نحن الآن في موقف تلقي الإلهامات والموارد والمعارف . لم تعد المسألة مسألة بدنا نحب بعض أو مسألة نريد الخير لبعض ، (شوف كيف تتدرج الأمور مثل الذي يطلع درجة، درجة). فالمحبة الصوفية شرطٌ لتنزُّل إلهامات الحق وموارده على العبد، الركن الأول والمقدم على الأركان الأخرى! أنت تأتي بانتسابك لهذه الطريق، إذن تقوم الصلة بينك وبين الله سبحانه وتعالى، والله ينظر إليك. فإذا تخطيت الحجب، وصلت إلى مرتبة الاستحقاق، أعطاك مما عنده ! " شو في عند ربنا هناك، فيه تين وزيتون وأنهار من عسل مصفى، ولبنٍ سائغ للشاربين " !!! الذي عند الله هو الفيوضات الإلهية، هو الموارد الروحية، هو الإلهامات، هو العلم اللدني، هو المعرفة.

فهمت يا سيدي ، وأرجو أن تغفر لي أن أطلت الحديث وألحفت في السؤال، وقد عرفت أنك تعاني من آلام في العمود الفقري. ولكن أرجو أن يبين لي سيدي، ما هو العامل الذي يجعل المرید يتخطى الحجب؟

لا بأس عليك ! نعم إنني وقد جاوزت الثامنة بعد الثمانين، أعاني من آلام في الظهر، لكن عندما يستغرق معي الحديث، ونحن عندما نستغرق، وأعني في الذكر، وهو الركن الثاني في الطريقة، نتخطى الحجب! انتبه لما أقول! الآلام حجب وبالاستغراق نتخطى هذه الحجب. الله سبحانه وتعالى عنده علوم، فوق قدرة البشر ولذلك لا يتحملها المقدر البشري الإنساني ... الله سبحانه وتعالى هو القوة الكلية وهو صاحب القدرة الكلية، فعندما يتقرب الإنسان بالمحبة من الله إلى أن يصل إليه ، ينعم الله عليه من هذه القدرة، فيصير هذا الإنسان القريب متمتعاً بقدرة من قدرة الله، كما ورد في الحديث القدسي: " ما يزال عبدي يتقرب لي حتى أحبه، فإذا أحببته كنت عينه التي يرى بها، ويده التي يبطش بها، وقدمه التي يسعى بها". ويترتب على ذلك أن يصير هذا الإنسان فعالاً بالمدد من فاعلية الله سبحانه وتعالى. هذه هي الموارد يوردها الله على هذا العبد الذي ما زال إنساناً ولكنه انطلق من بشريته، انطلق من قيود البشرية فليس الذي يتلقى هو ذلك الإنسان البشري، وإنما الذي يتلقى هو الإنسان الروحي المنطلق الذي تخطى القيود البشرية ، فيصير عند هذا الإنسان علم من علم الله ، ويصير عنده قوة من قوة الله، ويصير عنده قدرة من قدرة الله. هذه هي الموارد أما الإلهامات فهي ما ينزله الحق على هذا الإنسان المستحق من المعرفة من العلم. هذا الإنسان يستطيع أن يعلم ما هنا، وما هناك بالمدد من عند الله من العلم الكلي. يأتي هذا العلم وتأتي هذه المعرفة إلى هذا الإنسان عن طريق الإلهام الباطني، و لذلك يقول لك : حدثني قلبي عن ربي" . كيف بدك الله سبحانه وتعالى يأتيك بهذه الإلهامات وهذه الموارد إذا لم تكن أقمت الصلة بينك وبينه! واجعل علاقتك معه علاقة محبة، يحبك وتحبه محبة سوية سليمة توصلك إلى المرتبة السامية. إبدأ أنت المسيرة في أن تحب الله فتتطلق مشاعرك نحو الله، فيأتيك الله بالإلهامات والموارد، ولذلك هناك من أهل الله ومن أبناء هذه الطريق من لا يحدثهم حد ولا يقيدهم قيد. يخرج عن القيود والأشياء التي تمنعه من الوصول إلى الله ، يتم ذلك بأن يقبل على الله ولذلك جاء صاحب هذه الطريق ورسم لك السبيل الذي يؤمن لك الوصول، وأول ركن من هذه الأركان هو ركن المحبة." ومن أقوال الشيخ علي نور الدين اليشرطي في المحبة، يمكنك الرجوع إليها في كتاب "نفحات الحق"، والذي أرى من أسئلتك أنك اطلعت عليه، ولكن أعطيك

أمتلئة منها: "سأل الشيخ علي نور الدين، جماعة من أبناء الطريقة، وقد كان البحر متلاطم الأمواج: مَنْ مِنْكُمْ يَخُوضُ هذا البحر؟ فسكتوا! فقال: يخوضه صاحب المحبة."¹ والبحر هو بحر الحقيقة والمعرفة، وقال في مناسبة أخرى: "أحبوا الله بإطاعة رسوله، تختمر المحبة في قلوبكم، وينتفع بها كل من يحتاج الغذاء الروحي. أحبوا الله حبا يغييكم عن وجودكم، حسا ومعنى، فتصبحوا في ملكوته حاضرين. فالحب الإلهي قديم، وهو أول ما برز من الكنز، وليس للحب نهاية، فهو باق بالمظهر المحمدي."² والمظهر المحمدي هو صاحب الوقت، الذي يرث الأنوار المحمدية. وأضرب لك مثلا في فعل المحبة في الإنسان؛ فمرة شكاه له بعض المريدين أحوال المحبة، فقال حضرة سيدنا، الشيخ علي نور الدين: "لو أخذت قطعة من معدن الذهب أو الفضة إلى الصائغ، وطلبت منه إن يجعله سلسلة أو حلية، فماذا يصنع؟! يأخذها ويضعها في البوتقة، ثم يضعها على النار، وينفخ عليها بالكبير، فتتدلع النار وتزداد حرارتها، وتلين القطعة، فيخرجها من البوتقة ويضعها فوق السندان، ويباشر طرفها بالمطرقة ليُكَيِّفَهَا حسب رغبته، ويصنع منها حلية يزين بها صدور الملوك. كذلك حال المحبة؛ فإنها نار الله، والذكر هوؤها الذي ينفخ في النار ويولعها، والمريد هو تلك القطعة، والمطرقة هي العذول (المعترض)، والصائغ هو المرشد."³ وهذا هو حلم الكيميائيين الأزلي باستخراج الذهب من المواد الأولية، يتحقق هذا الحلم، في هذا التحول الروحي للمريد من بشرٍ عاديٍّ من طين، إلى روح إنساني."⁴ وفي مثال آخر لفعل المحبة، فقد قال سيدي وجدِّي الشيخ إبراهيم علي نور الدين اليشرطي، في صنع القهوة: تنزع الحبة من محيطها، وتحمصها، وتطحنها، وتغليها، وتصفيتها، لتصبح صالحة للشرب في كؤوس أهل الله. وفي رسالة أرسلها الشيخ علي نور الدين اليشرطي إلى توفيق بيك، أمين سر خزانة السلطان عبد الحميد الثاني (وزير المالية)، وكانا من المنتسبين للطريقة، قال فيها بعد ديباجة: "جمع الله قلوبكم على تقوى الله، ومتعكم بحب رسول الله الذي أنزل عليه: { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله }."⁵ فأوصيكم بالألفة والمحبة، والمحافظة على حقوق الأخوية

¹ اليشرطية، فاطمة، نحات 23

² م. ن. 31

³ م. ن. 34

⁴ Shimmel, Annemarie, Mystical Dimensions os Islam, UC Press, Chapel Hill, 1975, p.5

⁵ القرآن الكريم، سورة آل عمران 3:31

والصحة، امتثالاً لأمر سيدنا الأعظم القائل: " التوسل بالحب الأعظم (الحب الإلهي)، أعظم من كل وسيلة وأسلم، محمد عليه الصلاة والسلام ... فالمحبة أساس الطريقة، والشريعة مفتاح الحقيقة، وذكر الله أمر عظيم، والتفكر صراط مستقيم، وسلب الإرادة طريق قويم. فصاحب الذكر سائر، وصاحب الفكر حائر، وسالب الإرادة مراقب ناظر، وصاحب الحب طائر. فاعملوا على تحقيق المحبة واتقوا بها كل نائبة ... " ¹

وختم الشيخ أحمد اليرطبي حديثه، فقال : " لكل واحد من أئمة الصوفية رأي. منهم من اختار الخلوة، ومنهم من اختار الرياضة، ومنهم من اختار السياحة²، وسيدنا أبو الحسن الشاذلي، رضي الله عنه، فضل الحب الإلهي، فطريقتنا طريقة حب الله ورسوله"³. وأحب أن أختتم لقائي معك بالآية الكريمة، والتي أجعلها خاتمة لهذا البحث: { واصبر لحكم ربك، فإنك بأعيننا }⁴. الخطاب في ظاهره، موجةً لمحمد صلى الله علي وسلم، وهو أيضا موجةً لي ولك! هو يضعني ويضعك في عينه! فكيف لا أضع من أحبتي في عيني وفي قلبي، وكيف لا أضع من يحبهم ويحبونهم، في عيني وقلبي!! لذلك يا ولدي، كانت المحبة، هي الركن الأول في الطريقة، وهي القطب الذي تدور عليه الدوائر، وهي التي كانت سبب الخلق والوجود، وهي الطريق إلى المعرفة الحقيقية.

¹ اليرطبي، فاطمة، نفحات 72

² مصطلح "السياحة" في التصوف تعني الرحلات الدينية في طلب المعرفة الروحية

³ اليرطبي، فاطمة ، نفحات 18

⁴القرآن الكريم، سورة الطور 52:48

4 الفصل الرابع: الشعر والشعراء في الطريقة الشاذلية اليشرطية

تَطَوَّرَ الأدبُ العربيُّ، وموضوعنا هو الشعر والشعراء، متتبعا سنن الحياة مع التاريخ، فمع احتكاك الشعب العربي بثقافات الشعوب المجاورة، والمذاهب الفكرية والدينية والفلسفية الحادثة، تولد عن هذا الاحتكاك تنوعٌ اغراضِ الشعر وأساليبه. فصنّف علماء الأدب العربي الأدبَ الى عصور، تتماشى مع الفترات الزمنية التي عاش فيها الأدباء والشعراء. "فهناك العصر الجاهلي (475-622)، ومن شعرائه أصحاب المعلفات، التي كانت تكتب وتعلق على أستار الكعبة، والخطب الرائعة الحكيمة لخطباء العصر الجاهلي، منهم قَسَّ بن ساعدة الإيادي، وأكثم صيفي، وسحبان وائل. وهناك الشعراء المخضرمون، الذين عاشوا الجاهلية، وأدركوا الإسلام، ويليهم عصر صدر الإسلام والخلفاء الراشدين، والعصر الأموي(622-750 ميلادية/ 1-132 هجرية)، والعصر العباسي (750-1258 ميلادية/ 132-656 هجرية). وأشعار الموشحات في الأندلس العربي. والعصر التركي العثماني (1258-1798 ميلادية / 656-1213 هجرية)، وهو ما يسمى في الأدب العربي، عصر الانحطاط، ويشمل حكم المغول والمماليك والأتراك العثمانيين وينتهي بقدم الحملة الفرنسية الى مصر. وأخيرا عصر النهضة الحديثة، ويلبها الشعر المنثور لما بعد الحداثة".¹

وقد أولى علماء الأدب العربي اهتماما واسعا لدراسة آداب العصور الأولى من الشعر العربي، حتي بداية ما أسموه عصر الانحطاط، فأغفلوا شعراء هذا العصر. ذكروا من أسمائهم بعض المشاهير منهم كابن الفارض (1181-1234)، والبوصيري(1213-1295) صاحب البردة، وعائشة الباعونية(1460-1516). والشيخ عبد الغني النابلسي(1641-1731)، ووصفوا شِعْرَهُمْ بأنه كان ركيكا، حتى في قصائدهم المشهورة، وأن فيه زَلَّاتٍ كثيرة تخرجه عن المقاييس التي رسموها لفنون الشعر، من وزنٍ وقافيةٍ، وغيرها من المقاييس والمعايير.

وفي الفترة التي وصل فيها الشيخ علي نور الدين اليشرطي الى عكا بفلسطين، كان الشعر العربي ينلمس له حُطًى نحو الحداثة بتأثره بالأدب الغربي، والبحث عن تفعيلات تتساق مع ترجمة المسرحيات والأشعار الغربية. وقد تناول البروفيسور شموئل موريه (ولد ببغداد 1933) الطبعة الأولى

¹ الفاخوري، حنا، "الجامع لتاريخ الأدب العربي" دار الجيل، بيروت، 1986 بتصريف

من كتاب نشره عام 1976، في لندن بعنوان Modern Arabic Poetry 1800-1970، تناول فيه تطور الشعر العربي الحديث، وتقول لبنى صفدي عباسي، في الطبعة الثانية من الكتاب: "إنَّ موريه قد توصل لفكرة لم يتوصل إليها أحد من قبل، وهي في التشابه بين الشعر المهجري والمزامير المسيحية... وأنَّ أهم ما تأثر به الشعر العربي بفعل الشعر الغربي هو الخروج عن عمود الشعر التقليدي، وظهور أشكال جديدة في الشعر العربي." ويقول موريه في مقدمة الطبعة الثانية من كتابه باللغة العربية: "إن العولمة قد غزت الشعر العربي الحديث أول ما غزت في الثقافة العربية، وقد تم ذلك بجهود الشعراء المجددين فيها، إبتداء من فرنسيس فتح الله مَرَّاش (1836-1873)، مروراً بجبران خليل جبران (1883-1931)، وأحمد زكي أبو شادي (1892-1955)، مؤسس مدرسة أبوللو الشعرية في مصر، الى يوسف الخال، وفي ذروتها علي احمد سعيد المعروف بأدونيس." ويقول شموئيل موريه: " إن الشعر العربي الحديث هو نتاج حركتين أدبيتين: أولاهما تطور الموشحة والمسمط¹ والزجل وغيرها من الأشكال المقطعية، وتانيهما التقليد المباشر للشعر الغربي."²

والسائد في أشعار شعراء الطريقة الشاذلية اليشرطية، هو الرباعيات والخماسيات، لسهولة نظمه وعدم التقيد بقافية واحدة للقصيدة. ولكن يظهر في القصائد الطويلة الكلاسيكية فقد اتبعت النظام التقليدي، كالقصيدة التائية للحمصي³، والعينية لنصوح الجابري⁴، والقصيدة اللامية لرشيد سنان⁵. وسواء كان الشعر جزلاً، أو غير ذلك، فالشعراء في تطورهم عبر العصور، وفي اختلاطهم بالثقافات الغربية وتأثرهم بها، إنما كانوا يعبرون عن مشاعرهم وأحاسيسهم وعن أفكارهم ومعتقداتهم، فنظموها كلمات في شعرهم وأوزانهم وقوافيهم. وأما الشعراء الصوفيون منهم، فكانوا كغيرهم من الشعراء، يعبرون عن

¹ المسمط أو المسمطات نوع من الشعر يبتدئ فيه الشاعر ببيت مصرع غالباً، تسمى قافيته عمود القصيدة، ثم يأتي بمجاميع من الأشرط في كل منها خمسة أشرط: الأربعة الأولى منها على غير قافية البيت الأول (عمود القصيدة) والأشرط الخامس على هذه القافية.

ومثاله المسمط المنسوب إلى امرئ القيس، وقيل: إنه منحول:

توهمت من هند معالم أطلال* عفاهن طول الدهر في الزمن الخالي

مربع من هند خلت ومصايف* يصيح بمغناها صدى وعواذف

وغيرها هوج الرياح العواصف* وكل مسف ثم آخر رادف

² موريه، ش. أثر التيارات الفكرية والشعرية الغربية في الشعر العربي الحديث 1800-1970 الطبعة الثانية حيفا 2004 ص 19 .

³ أبناء الطريقة الشاذلية اليشرطية، اللطائف الروحية، مطبعة الإنصاف، بيروت، د. ت. ص 44

⁴ م. ن. ص 193

⁵ م. ن. ص 80

مواجيدهم بمنظوماتهم التي قد يبتعدون فيها عن المألوف من المقاييس المرسومة للشعر العامودي الموزون المَقْفَى، وقد سبقهم الى الخروج عن المَقْفَى العمودي شعراء الموشحات في الأندلس. وفيهم الشعراء ومنهم من يكتبون الشعر. وشعر أبناء الطريقة الشاذلية اليشرطية لم ينتشر خارج الجماعة اليشرطية، إلا قليلا منه مما كان أهالي عكا ينشدونه في أفراحهم ومهرجاناتهم، إذ تقول فاطمة اليشرطية: "أقتبس الأهلون في مدينة عكا بعض العادات من أهل زاويتنا، وقد حفظوا الشيء الكثير من أناشيدنا وموشحاتنا الصوفية، فكانوا ينشدونها في الأفراح، وحين يتلون قصة المولد النبوي الشريف، وفي زفة العريس وهم يمشون في الشارع. وكانوا يطلقون على هذا النشيد الذي ألفه الشيخ عبد القادر الحمصي اسم "زفة العريس".¹

والشعر شعور، يتحرك به وجدان الشاعر، فينبثق هذا الوجدان كلماتٍ، قد تكَلُّ عن التعبير عن هذا الوجدان. قد يكون كلاماً موزوناً أو غير موزون، مقفياً أو غير مقفياً، تختلط فيه العامية بالفصحى، ولكنه في غاية الأمر شعر يعبر عن شعورٍ كابده الشاعر وعاناه وتفانى فيه. كما قال الشيخ نصوح الجابري الحلبي، من كبار شعراء الطريقة الشاذلية اليشرطية:²

وجدي عصاني فباحٌ دمعي لِمَا أكتُمهُ
صبري تقضَى وراخٌ ورئنا يرحمهُ
أضحى فؤادي العليلٌ لا يدري ما يؤلمهُ
فيا لسان الكليلُ ماذا به ! ترجمهُ

وقد اصطلح علماء التصوف على إطلاق كلمة "السماع" على الأشعار الصوفية التي يرددونها في حلق الذكر أو في مجالسهم الخاصة، أو في الاحتفالات العامة والمولد، كما ذكرنا في باب الطرق الصوفية في فلسطين. وانقسموا بين مؤيد ومعارض، وكل فريق يسند رأيه بالقرآن والحديث. "وقد سئل رسول الله عن الشعر فقال: هو كلام فحسنة حسن وقبيحة قبيح. فمنه الحسن والمباح والحرام. وما كان في وصف الخدود والقدود والشعور وما يوافق الطباع والنفوس فسماعه مكروه، إلا لعالم رباني يميز بي

¹ اليشرطية، فاطمة، " مسيرتي في طريق الحق " ط 1، 1981، ص ص 195-96

² أبناء الطريقة الشاذلية اليشرطية، اللطائف الروحية، مطبعة الإنصاف، بيروت، د. ت. ص 180

الطبع والشهوة والإلهام والوسوسة قد أمتت نفسه بالرياضات والمجاهدات وخدمت بشريته وفنيت حظوظه وبقيت حقوقه فهو كما قال الله تعالى: {الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه}.¹ وقال سري السقطي(160-253 هـ)، وهو خال الجنيد البغدادي في السماع: " تطرب قلوب المحبين عند السماع، وتخاف قلوب التائبين، وتلتهب قلوب المشتاقين. وقيل: مَثَلُ السَّمَاعِ مَثَلُ الْغَيْثِ، إِذَا وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ تَصْبِحَ مَخْضَرَةً. وقد جمع أبو النجيب، عبد القادر السهروردي (ت 563 هـ) هذه الأسانيد في "كتاب آداب المريدين"، ويمكن الرجوع إليه لتفصيل البحث. "ومن المعروف عن العرب، مدى وقع الكلمة ذات الإيقاع في أسماعهم، وأثرها في قلوبهم. وترتيل القرآن عند ذوي القلوب يجعل الدمع يسيل من أهداقهم. ولا مجال للشك في الروايات التي وردت في الكتب الكلاسيكية من أن كثيرا من الناس قد سقط مغشيا عليه من وقع معنى شعري في قلبه".² وقد ورد في القرآن الكريم، في وصف أحوال الذين قالوا إنا نصارى: { وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ }.³ ولم يقتصر الشعر الصوفي على متصوفة العرب، فهناك أمهات من الشعر الصوفي بالفارسية، لجلال الدين الرومي ، وحافظ، وفريد الدين العطار، منثورة في كتاب قاسم غني "تاريخ التصوف في الإسلام"، وفي المثنوي لجلال الدين الرومي.

وقد احتل الشعر مساحة واسعة في الطريقة الشاذلية اليشرطية، فمنه ما ينشد في حلقات الذكر التي تقام بعد الصلاة وقراءة الوظيفة الشاذلية اليشرطية، وذلك يبعث الوجد في الفقراء. والحضرة كما قال فيها الشيخ اليشرطي: "الحضرة(حلقة الذكر) بدعة حسنة مستحبة لاجتلاب الخلق. والطريق هي المداومة على ذكر الله ليلاً نهاراً. الله؛ فحياة القلوب، بذكر الحي الذي لا يموت".⁴ وللکلمات التي ينشدها المنشدون بالألحان العذبة لها وقعها فتبعث الوجد في القلوب ويتفاعل معه الفقير بكل جوارحه.

¹ السهروردي، أبو النجيب عيد القادر، آداب المريدين، حققه مناحيم ميلسون، إصدار معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية/ الجامعة العبرية بالقدس، 1977، ص 11

² شميل، أنيماري، "البعد الصوفي في الإسلام" مطبعة نورث كارولينا ، تشابل هيل 1975 ص 180

³ القرآن الكريم سورة المائدة 5:83

⁴ اليشرطية، فاطمة، نفحات 20

وتقول أنيماري شيميل: " إن الوجد الذي يحدثه السماع مشتق من " الوجود" في حالٍ من الأحوال التي يمر فيها الفقراء، عند حصول وارد ينتزل على قلوبهم."¹

والأشعار الصوفية للطريقة الشاذلية البشروطية تستوحى معانيها من القرآن والأحاديث النبوية. فمثلا في قصيدة الشيخ عبد القادر الحمصي، التي مطلعها:

يا نسخة الأكوان يا صفوة الرحمن قد حار عقلي وساء فعلي أنعم لي بالفرقان²

يقول الشيخ عبد القادر الحمصي:

كلُّ من الأوقات في شرعنا نفحات أين المُسلَّم يدري المُكَلَّم الله أم إنسان
يتساءل الشاعر: "مَن نادى موسى من شاطي الوادي الأيمن من البقعة المباركة من
الشجرة"³، ومن كَلَّمَ موسى على الجبل، " وكلمه ربه، قال أرني أنظر إليك، قال لن تراني"⁴؟ الله أم
إنسان؟ أم ان الكلام جاء من قلب موسى! الشاعر يعرف الجواب، خصوصاً وأنه قد سمع القصيدة
لسيدي القطب الشيخ علي وفا الشاذلي⁵ التي تقول:

"يا حياتي وأنت روح ذاتي حاضر لا تغيب أنت أسكرتني على سكري من لذيذ الشراب

ثم خاطبتني كما تدري ففهمت الخطاب ثم شاهدت وجهك البدي عند رفع

الحجاب

ثم صيرتني رقيب ذاتي كنت أنت الرقيب

أدخل الحان وشاهد المعنى كي تتال الأمان كي تراني بين الدنان عاكفا شاخصا

للعيان

وسقاني ساقى المدام دوري قبل دور الزمان تدري بالله من كان ساقينا القريب المجيب

أنا من فيض فضل سادتي نلت أعلى الرتب وعلى قدر همة الطالب سيكون

الطلب

¹ شيميل، أنيماري، البعد الصوفي في الإسلام ص 181

² أبناء الطريقة الشاذلية البشروطية، اللطائف الروحية، مطبعة الإنصاف، بيروت، د.ت. ص 23

³ القرآن، سورة القصص، 28:39

⁴ م. ن. سورة الأعراف، 7:143

⁵ سيدي علي وفا من أقطاب السلسلة الشاذلية الشريفة (أنظر الملحق 6.1)

ثم قضيت سائر أوقاتي بالهنا والطرب وسمعت الخطاب في ذاتي من مكانٍ قريب"

سمع الخطاب في ذاته، من مكانٍ قريب! خاطبه الحق كما يدري، ففهم الخطاب! يقع معنى هذه النفحات في قلبه فهو قد عرف الحق، فيهيم، ويطير قلبه شعاعاً. ويسمي أبناء الطريقة هذه الموارد نفحات. وهذه الأبيات تبدو وكأنها محاضرة علمية روحية عملية في التربية الروحية في الطريق. فالحق كائن في ذات المرید، حاضر لا يغيب عنه طرفة عين، فهو رقيب، يحاسب نفسه من حيث أنه يرى الله هو الرقيب الحسيب. وذلك معنى: "أعبد الله كأنك تراه".

وكذلك نرى أن الشيخ أحمد عباس الأزهري البيروتي، من أبناء الطريقة، في قصيدة له، يأخذ معانيه من معاني آيات "سورة طه": {وهل أتاك حديث موسى. إذ رأى ناراً، فقال لأهله امكثوا.} فيشير إلى النار التي كَلَّمَ الحق فيها موسى، وإلى تَجَلَّى (الحق) للجبل، فيقول شعراً:

شمس التداني دار النعيم روح البيان نار الكليم
فارشف قناني ذاك القديم تتلو معاني سر العظيم
فاشرب جهازاً فالطير صاح كأساً عقاراً لا تخشى لاح
فالكأس دار كيف البراح والحب صار الدين القويم
به بدا لي سرُّ الوجود فصار حالي حال الشهود
دكت جبالي بعد الصعود لما انجلي لي نور العليم
وابن المداني ساقى الرحيق نور الزمان الباهي الشفيق
أبدى معاني سرِّ الطريق لمن يعاني الفيض العميم¹

يصف الشيخ أحمد عباس الأزهري، سير الفقير في الطريق إلى المعرفة بسير موسى النبي. اشتعلت نار المحبة في قلب الفقير، فصار الحب هو الدين القويم، وبالمحبة اندكت جبال نفس موسى، وهنا يكتفي لتربية نفس الفقير، لتترقى فتصير أهلاً لتلقي العلوم، وتتجلي له الأسرار، بفضل الله. وبمحبتته لشيخه، واتباعه لشيخه أستتارت له الطريق، وذلك بقوله: إن ابن المداني، نور الزمان، هو الذي أبدى المعاني الروحية، ويكني أبناء الطريقة عن شيخهم علي نور الدين الشرطي، بكنية "ابن المداني".

¹ أبناء الطريقة الشاذلية البشروطية، اللطائف الروحية، مطبعة الإنصاف، بيروت، ص 232

وذكر فضل الشيخ على المریدین یتبدي في واقعة رمزية، في التأديب الروحي المعنوي للمریدین، وقعت للشيخ عبد القادر الحمصي، أمير شعراء الطريقة في كل العصور، في القصيدة التي مطلعها:

لاح برق الذات من ذاك اللوا مذ ظهر حبي
وبه قد زال عن عيني السوى وانجلي قلبي

فقد ذكرت السيدة فاطمة الیشرطية، "أن جماعة من أبناء الطريقة ووالدتها، رَووا لها، أن الشيخ عبد القادر الحمصي، كان مرةً يجلس بين يدي شيخه في الزاوية في عكا، في أثناء زيارته له، فسأله الشيخ عن مدى علمه بالشعر، وكيف تسنى له ذلك، فأجاب: ربما لأن لي معرفة بعلم النغمات والألحان، وعندها نادى، الشيخ علي نور الدين، على أحنينا أبي سعيد القاضي، وقال له: "إذهب وأقل النافذة التي وراء الشيخ عبده، وأرخ الأستار، فالشيخ عبده عنده بَرْد (يعني رَشْح). ومن يومها، وبعد أن عاد إلى دمشق، انقطع الإلهام عن الشيخ عبده، وقضى مدة لا يستطيع أن ينظم شعرا ولا قصائد ولا موشحات، حسب عادته منذ أن تشرف بأخذ الطريقة. لكنه، بعد ذلك أدرك أنه أساء الأدب مع الله ومع شيخه، بعدم اعترافه بفضل الله، وبفضل شيخه، وبفضل الطريقة عليه. فذهب إلى عكا زائرا تائبا مستغفرا الله تعالى، سائلاً أن يرفع الأستار. وهناك استطاع أن ينظم قصيدة من أروع أشعاره، أنشدها بين يدي الشيخ، طالبا العفو والمغفرة عن هفوته، بافتخاره برؤية نفسه في علمه وفنه"¹:

لاح برق الذات من ذاك اللوى مذ ظهر حبي²
وبه قد زال عن عيني السوى وانجلي قلبي
فانشدي لي يا سليمى بالنوى ساعة الشرب
لذ لي التمزيق يا أهل الهوى في هوى الغربي
يا ندامى كل من يصحبنا ما عليه باس
نحن سكرى والهوى مشربنا والطلا والكاس

¹ الیشرطية، فاطمة، رحلة الى الحق ص ص 289 - 291

² أبناء الطريقة الشاذلية الیشرطية، اللطائف الروحية، مطبعة الإنصاف، بيروت، د. ت. ص 20

سار في بحر الصفا مركبنا ريحه الأنفاس

ليس يدري في الهوى مشربنا غير ذي القلب

ويتداول أبناء الطريقة، رواية ثابتة صحيحة، أن الشاعر السوري الكبير، عمر أبو ريشة، وهو ابن عمّة الشيخ احمد محمد الهادي اليشرطي، لما سمع الأبيات التي يقول فيها الشيخ عبده:

يا ندامي كُلُّ من يَصْحَبُنَا ما عليه باس

نحن سكرى والهوى مذهبنا والطلّ والكاس

سار في بحر الصفا مركبنا ريحُه الأنفاس

ليس يدري في الهوى مَشْرَبُنَا غيرُ ذي القلب

قال الشاعر الكبير عمر أبو ريشة : لو أن لي هذه الأبيات، بكل الشعر الذي قلته. وذلك اعترافاً منه ببلاغة النظم، وصدق أحاسيس الشيخ عبده، وحسن تعبيره عنها.

الشيخ عبده الحمصي، رأى نفسه بعد هفوته، فقيراً، لا حول له ولا قوة يستقي مدده من مدد شيخه، فعاد اليه المدد بعد أن تاب واستغفر ورأى الفحل في الوجود. وقد قال حضرة سيدنا في هذا الباب: "الفقير الذي يرى نفسه عبداً، رَبِّي يُمِدُّهُ، أما الذي يرى نفسه رباً فمن الذي يُمِدُّهُ!"¹

يلاحظ في هذه القصائد أنها في نتاجها الأدبي الفني، قد اتبعت أحياناً منهاج شعراء العصر الحديث الذي اتخذ مقاما بين الموشحات الأندلسية، يتوافق مع الشعر الغربي الحديث في ما يشبه نهج ميخائيل نعيمة، "كما بينها هو نفسه في كتابه "سبعون"، وكانت مصادر مشتركة بين الشعراء المهجريين والشعراء العرب في سوريا ولبنان، وتتمثل في الكتاب المقدس، والتقليد المسيحي في اللغة والشعر.² ففي قصيدة "سقاني مدامي بكأس الأزل"³ اتبع الشيخ عبد القادر الحمصي الشاذلي

¹ اليشرطية، فاطمة، نفحات 589

² موريه، ش، أثر التيارات الفكرية والشعرية الغربية في الشعر العربي الحديث: ط 2 حيفا 2004 ص 127.

³ أبناء الطريقة الشاذلية اليشرطية، اللطائف الروحية، مطبعة الإنصاف، بيروت، د. ت. ص 56

الشرطي، منهاج الخماسيات، بقافية واحدة في المقاطع الثلاثة الأولى من الرباعية، وقافية متباينة في الرابعة والخامسة هي حرف الزاء الساكنة، وهذه تتكرر في كل خماسية:

سقاني مدامي بكأس الأزل فزاد احتشامي وشأني اكتمل

حبيبي المؤانس بقلبي نزل أزال الغيار بمحض القدر

فقدري تسامى وذنبي اغتفر

فحقق تراني بطور¹ الكليم أصيد المعاني بقلب سليم

ولما شربت الشراب القديم عشقت الصور بمحو الأثر

فلاحت شموسي وبدري بدر

على عرش قلبي حبيبي استوى فدامت حياتي وزال السوى

وحققت ذاتي بأني هو فصح الخبر لأهل النظر

تأمل تراه بكل الصور

الرحمن على العرش استوى، بمعنى أن الأمور بضديها قد تساوت عند الفقير لما استقر الرحمن واستوى على عرش الفقير.

وفي رباعية يقول الشيخ احمد عباس الأزهرى البيروتى، في غزلية صوفية رائعة، يصف عشقه الأزلى:

إن جُزت وادي المُنحنى بلَّغهُ أني²

¹ طور الكليم إشارة الى الجبل الضدي تجلى الله له، فخر موسى صغقا. والطور بضم حرف (طا) تعني الجبل، وبالفتحة على (طا) وسكون الواو (الطور) يعني الحال ويغلب عليه تجلي الغضب

² أبناء الطريقة الشاذلية الشرطية، اللطائف الروحية، مطبعة الإنصاف، بيروت، د. ت. ص ص 232-233

حالي بوجدٍ وعنا والعشق فني
قلبي تعنى بالهوى مذ كان سني
سبعاً وبالعشق اكتوى واصفر لوني
دمدم وعن بالنوى يا ذا المغني
وارو أحاديث الجوى وجد وعدي
يا الله يا ظبي النقا ما كان ظني
من قطع وصلي واللقا أن تهجرتي
ألبستني يا ابن الكرام ثوب التعني
مذ قلت لي: مت في الغرام لازمت كني
يا سيد الرسل الكرام جذ لي وعدي
ألف صلاة وسلام عليك مني

هذه القصيدة للشيخ أحمد عباس الأزهرى، خريج الجامع الأزهر بمصر، لولا الصلاة على النبي في ختامها، ل قيل إنها لجميل بثينة، أو لكثير عزة في اللوعة والفرق، أو بقيس ليلي لما التقيا بعد الفرق وهو يقول:

فكم قبلة يا ليل في ميعة الصبا وقبل الهوى ليست بذات معان
أخذنا وأعطينا إذا البهم ترتعي وإذ نحن خلف البهم مستتران
ولم نك ندرى يوم ذلك ما الهوى ولا ما يعود القلب من خفتان

ويبدو أن شعراء لبنان المهجريين، قد جروا مجرى شعراء التصوف الإسلامي الحلبيين.¹ أو أنهم جميعاً اتبعوا منهاجاً واحداً، وفي رابعة لعبد القادر الحمصي في "علم التوحيد" يقول:

علم التوحيد كشف الغيون أصل التجريد هدم الحصون²
حل التقييد جمع الشؤون عز التأبيد أن لا تكون
روح الإيمان صدق المقال نهج الإحسان رؤيا الهلال
كنز العرفان هجر الخيال كل الأكوان كاف ونون

فنلمح في قصيدة الشاعر الحلبي الملكاني³ فرانسيس فتح الله مرّاش، قريبا من خصائص قصيدة الحمصي:

نفض الشرق على وجه المغيب غبرة الديجور⁴
وسعى الصبح إلى العود الرطيب بكؤوس النور
فانثى يرقص والأمر عجيب رقصة المخمور
بقوام خلته قد الحبيب أسكرته الحور

وعلى نفس النمط سار جبران خليل جبران في قصيدته "أغنية الليل":⁵

سكن الليل وفي ثوب السكون تختبي الأحلام
وسعى البدر وللبدر عيون ترصد الأيام

¹ موريه، ش، أثر التيارات الفكرية والشعرية الغربية في الشعر العربي الحديث: ط 2 حيفا 2004 ص 110

² أبناء الطريقة الشاذلية اليسرطية، اللطائف الروحية، مطبعة الإنصاف، بيروت، د. ت. ص 24

³ الملكانيون أو الملكيون هي تسمية تطلق على المسيحيين من الروم الأرثوذكس والكاثوليك والذين يتبعون الطقس البيزنطي. تعود التسمية إلى السريانية "حلصم" ملكويي/ملكابي بمعنى "أتباع الملك" كونهم تبعوا الأباطرة البيزنطيين عقب الخلافات الكنسية في القرن الخامس الميلادي.

ينتشر أتباع هذا التقليد المسيحي في الشرق الأوسط وبخاصة في سوريا ولبنان وفلسطين والأردن

⁴ موريه، شموئيل، أثر التيارات الغربية في الشعر العربي ص 60

⁵ ن. م. ص 60

فتعالى يا ابنة الحقل نزور كرمة العشاق

علنا نطفي بذيالك العصير حرقه الأشواق

ويبدو أن فرانسيس مَرَّاش الحلبي، لم يفارق أصله العربي الحلبي، فإن من أكبر شعراء الطريقة الشيخ
نصوح الجابري الحلبي له قصائد على نفس النهج، في قصيدته الرمزية الصوفية الغزلية:¹

أرخصَ القتلَ أهيفَ في لحظتيه * ماءُ الحياة يُرشفَ من شفتيه

ماءُ دمعِ العشاق بالإطلاق * من لهيبِ الأشواق أفنى عليه

مفردُ الحسنِ الباهر فيك ظاهر * تركَ العقلَ حائر في سكرتيه

أحرقتُ شمسَ النور سرَّ الطور * واستوت للظهور في بردتيه

دام فيض الصلاة من الذات * على بدر المرأة منه إليه

ولما كان الحق، في شهود أهل الطريقة، هو المتجلي بالوجود، وكما قال أبو بكر الصديق: " ما
رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله"، فإن الشاعر سواء مرَّاش أو جبران أو نصوح الجابري، فإنهم في
النظرة الصوفية، يسجدون لله طوعاً وكرهاً، أولهم سجدوا لله كرهاً، ولم يعرفوا لمن سجدوا، بينما عرف
نصوح الجابري لمن سجد طوعاً، وعرف مَنْ ناجى في شعره. "وللَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ".²

وكثيراً ما تنظم القصيدة على لحن أغنية شائعة، كقصيد: " عكا المنى كل الهنا فيها"³ وهي
على مقام ولحن الأغنية الشعبية الشائعة: عالروزنا عالروزنا، وفي هذه القصيدة يقول الشاعر، توفيق
عزيز الصفدي:

نحن اجتمعنا على أمر عظيم الشان يدعو الى وحدة الأكوان في الإنسان

¹ أبناء الطريقة الشاذلية البشيرية، اللطائف الروحية، مطبعة الإنصاف، بيروت، د. ت. ص 178

² القرآن الكريم، سورة الرعد، 13:15

³ أبناء الطريقة الشاذلية البشيرية، اللطائف الروحية، مطبعة الإنصاف، بيروت، د. ت. ص 465

من صح توحيده في هذه الأعيان لم يخف شيء عليه من معانيها

هو في هذه الأبيات يقول إن الأكوان كلها قد توحدت في الإنسان، ويدعو أخاه الفقير ليصح النظره ، حتى تتكشف له المعاني كلها، ويتحقق من قول شيخه: " إن الإنسان جزءٌ من الوجود من حيث بشريته، والوجود جزءٌ من الإنسان من حيث حقيقته". وهو يقدم لأخيه النصح فيدعوه إلى أن يصح النظره أيضا، فعليه أن يذكر على أن لا يعترض على المظاهر، فكل بارز حق، لأن الحق أراد له أن يبرز بالصورة التي ظهر بها، فيقول:

ذُكِّرْ، ولكن على أن تتفَعَّ الذكري ماذا وإلَّا أسكُتَن عن كل ما يجري

إياك أن تعترض، لا سرا ولا جهرا فصاحب الدار أدري بالذي فيها

ويبدو أنه قد عاش في عصر الشيخ إبراهيم اليشرطي، فهو يطلب من الشيخ (أبو الهادي) أن يأخذ بيده إلى أن ينال الفتح ببركة شيخه، حتى يشهد تجليات الحق في الوجود، فيقول:

يا سيدي أبا الهادي عليك العون نحن عبيدك وغيرك ما لنا في الكون

فتحا مبينا عن أسرار الشكل واللون لنشهد الذات حقا في تجليها

لما تجلت صفات الذات بالأسما عن المقام العلي الأرفع الأسما

قد أظهرت دعد وهند وكذا أسمى يحكين عن حسنها قد جَلَّ بارِها

ثم يقول أنه ابن الشيخ اليشرطي روحا وتربية، فأفنى ذاته في ذات شيخه، وأفنى شيخه بمحمد، وأفنى محمدا في الله، فعاش الحياة الحق. وهي الحياة التي قال (الحق) فيها، وفي الحياة الدنيا: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}.¹ وفي فهم الفقراء، فإن الفقير يرى الحياة الدنيا والآخرة في هذه الحياة، مع الإيمان بالقيامة وبالبعث والنشور.

نحن بنو اليشرطي أرواحنا بعنا في حبه واسترحنا بعدما متنا

¹¹ القرآن الكريم، سورة العنكبوت 29:64

نعم الوفاة التي من بعدها عشنا ما ذاقها قط من لا يعتني فيها
ويختم القصيدة بزديتها في معنى المحبة والأخوة الصادقة التي أرادها الله من معنى العبادة، التي
توصل الى المقام المحمود ويتحقق الفقير من حقيقة التوحيد، فيقول:

أعضد أذاك وإياك الجفا عنه والزمه ظلّاله واحفظه بل: كن هو
هناك إن صح هذا منك أو منه حققتما نسبة سبحان مُبديها

ومن أشعارهم في المحبة ، من أشعار الشيخ أحمد عباس الأزهري البيروتي:¹

طاف قلبي في حمى البيت المعمور وبلّبي كان دكّ الطور
كأس شُرّي فيه نارٌ ثمّ نور ويحبيّ تمّ لي الحضور
قد دعاني للبقا داعي الفنا وكساني حُلّة الهنا
بمعاني قوله أنت أنا وحباني غاية المنى
في شجونى لبيت قومي يعلمون وجنوني صار لي فنون
حققوني يا أصحاب الشؤون عن يقين كان ما يكون

ومن أبهى القصائد الشعرية للشيخ سيدي علي وفا احد اقطاب سلسلة الطريقة :

كان لي ظلُّ رُسومٍ فاستوت شمسي فزالا
عشت بالمحبوب حقاً بعد ما كنت خيالاً
عاد محبوبي وجودي فَتَجَلَّى وتعالى
وتخفى عن عياني بي عِزّاً وجلالاً

¹ أبناء الطريقة الشاذلية الشرطية، اللطائف الروحية، مطبعة الإنصاف، بيروت، د. ت. ص ص 230-231

كل أحوالي فيه حركات تتوالى
هكذا العشق وإلا كان والله افتعالا

وفي قصيدة للشيخ عبد القادر الحمصي يبين ما ينال المُحِبُّ من مربية روحة من مَحَبَّتِهِ:¹

نور حبي ظَهَرَ في جَمِيع الصُّور * يا أَهْيَل النَّظَرِ بادروا للمعاني
همت في قِبَلتي داخلاً جنتي * بَشَّرُوا إخوتي صرت فرد الزمان
كنت قبل الستور خافيا في الصدور * فاجتنباني للحضور من بحار البيان
وحدوا ريكم حققوا قُرَيْكُم * مَكَّنُوا حِكْم من علي الزمان
يا أهيل الهوى زال عني السوى * صار سمعي هُوَ ويدي واللسان

ولهذه القصيدة حكاية روتها السيدة فاطمة اليشريطية في كتاب نفحات الحق: "حدثني أخونا أبو سعيد القاضي، فقال: كنت أقرأ موشح (يا جمال الوجود، طاب فيك الشهود)، لسيدي عبد الغني النابلسي، فقال لي حضرة سيدنا المعظم: "قل للشيخ عبده الحمصي أن ينظم موشحا على وزنه. ولكن لا تقل له الشيخ أمر بذلك". فاجتمعت بالشيخ عبده واقتרכת عليه نظم الموشح المطلوب، فقال: "والله يا ابن القاضي، إن جاعني شيء من شيخي أتكلم. وإلا فلا". وبعدها كنت أسأله، فكان يقول لي: "لم يصلني شيء". وذات يوم قال لي: هلم بنا إلى محل أخينا الشيخ ابراهيم الكنفاني. وهناك أملى عليّ نشيد:

يا الهي بهم من في قريهم
حزت من حبهم كل عز وشان

ورجعنا إلى الزاوية، فوجدنا حضرة سيدنا مبكراً بتشريفه إلى التكية، على غير العادة. فلما وقع نظره على الشيخ عبده، قال له: "إيه يا شيخ عبده". فجعلت أقرأ النشيد أمامه، فكان يتمايل مسرورا، إلى أن وصلت إلى بيت:

¹¹ أبناء الطريقة الشاذلية اليشريطية، اللطائف الروحية، مطبعة الإنصاف، بيروت، د.ت. ص 13

همت في قبلتي داخلا جنتي

بشروا إخوتي صرت فرد الزمان

وهنا، خاطب رضي الله عنه، الشيخ عبده قائلا: " هو هو .. يا شيخ عبده، ما هذا ؟ فقال الشيخ عبده: " هذا أنت، لا أنا ". وقد روى أحد إخواننا أن حضرة سيدنا المعظم تفضل وقال: " هذا النشيد من أبهى ما نظمه الشيخ عبده. ¹

وأختتم حديث الشعر والشعراء بالقصيدة الموعودة في العلم اللدني، للشيخ حسن الحكيم الحلبي: ²

يا علي يا غربيا يا ولياً يشرطيا * من جمالك فهمنا نور الحق فهمنا
بك أبصر أعمانا بعد جهل أعيانا * فشهدنا مولانا بقلوب مجلية
قم بنا صاح نشرب خمرة³ فيها نظرب * فيها طاب المشرب وغدا الميت حيا
علمنا من لدنا معرب فينا عنا * عن يقين لا ظنا رشدنا ليس غيا
بابن يشرط قد لدنا وبه حقا فزنا * صراط الوهم جزنا سُدنا على البرية

فالعلم اللدني يقول عنه الشيخ حسن الحكيم أنه من لدنه هو، ولم يأتيه من شيء خارج عن ذاته هو. وهذا العلم ينبع من داخل الفقير معبرا عن أحواله. هو لا ينسب الفقير لنفسه فعلاً، سواء قولاً كان أن عملاً، فإن (الحق) هو الفعال. ويعبر عن ذلك الشيخ عبد القادر الحمصي، في الأبيات التالية، فيقول: ⁴

قد سقتني كأس خمري غبت عن زيد وعمرو ثم عن نهى وأمر ثم عن حالي ومالي
أخرجتني عن مرادي أنعمت لي بالرشاد بيتها صار فؤادي أشرقت شمس كمالي

¹ البشراطية، فاطمة، نفحات 497

² أبناء الطريقة الشاذلية البشراطية، اللطائف الروحية، ص 124

³ الخمرة في الشعر الصوفي يرمز الى المحبة في التجربة الصوفية الروحية،

⁴ أبناء الطريقة الشاذلية البشراطية، اللطائف الروحية، مطبعة الإنصاف ، بيروت، د.ت. ص 12

وفي كثير من الأحيان يقوم الشاعر بتخميس أبيات لشعر قديم يضمنه شطرات من تأليفه؛ فمثلا لذلك
في شعر لأبي نواس في الخمر قال:

لو كان لي مسعد بالراح يسعدني لما انتظرت لشرب الراح إبطارا
الراح شيء عجيب أنت شاربه فاشرب ولو حملتك الراح أوزارا
يا من يلوم على صهباء صافية خذ الجنان ودعني أسكن النارا

قام الشيخ رشيد سنان الحلبي بتخميس هذه الأبيات فقال¹:

لو كان لي مُسْعِدٌ بالراح يسعدني من كَفَّ خَيْرِ خَتَامِ كَأْسِهِ نارا
من دَنَّهُ الأقدس المِسْكِيَّ نفحته لما انتظرت لشرب الراح إبطارا
الراح شيء عجيب أنت شاربه راح المحبة راحٌ كان أسرارا
إن كنت ممن دعاه الساقى من أزلٍ فاشرب ولو حملتك الراح أوزارا
يا من يلوم على صهباء صافية عزيزة لم أرَ في شربها عارا
إن كان شربي لها ذنبا تراه غدا خذ الجنان ودعني أسكن النارا

¹ ن.م. ص 110

5 نتائج الدراسة والتوصيات

1.5 النتائج

من هذه الدراسة لتراث الطريقة الشاذلية اليشرطية، وشيخها علي نور الدين اليشرطي ، وشيخها القائم أحمد اليشرطي، ورعايته وتربيته لأبناء الطريقة، نخلص إلى ما يلي:

1. أن الطريقة الشاذلية اليشرطية، في منهاجها، إنما هي طريقة في الحياة ، تتبنى نظاماً أخلاقياً إجتماعياً في تربية النفس وتطهيرها، يغرّس في قلوب المريدين الفضائل، التي تنعكس في سلوكياتهم بحيث تصبح طبعاً أصيلاً فيهم. ويتحقق ذلك في بضع أمور:

أ. الاعتقاد بأن الشيخ والطريقة يقومان بالتربية على الأخلاق المحمدية، التي هي أخلاق القرآن، والتي هي في واقعها أخلاق (الحق) سبحانه وتعالى. وقد قال الشيخ علي نور الدين اليشرطي قبل انتقاله إلى الدار الآخرة، يوصي أبناء الطريقة: "جننا من بلادنا، لنعرفكم بالله. وقد عرفناكم به. والله، سبحانه، موجود باقٍ، فتمسكوا به، واعتصموا به، ولا تغفلوا عن ذكره، سبحانه. وكونوا قلباً واحداً ونفساً واحدة، ولا تغيروا، ولا تبدلوا ولا تتفرقوا، وكونوا على ما أنتم عليه. امتثلوا ما أمرناكم به، واجتنبوا ما نهيناكم عنه. ولا تقولوا نحن غائبون عنكم، إننا حاضرون ناظرون إليكم. ولا تقولوا إننا لا نراكم. بلى، والله، نراكم، ونعلم أحوالكم كلها."¹ وأبناء الطريقة يؤمنون أن روح شيخهم معهم، يراهم ويراقب مسلكياتهم، وهذا النوع من الإيمان يبعث فيهم مبدأ مراقبة النفس، كما ذكرت في قصيدة سابقة:

ثم صيرتني رقيب ذاتي كنت أنت الرقيب

وذلك أيضا هو فهم الفقراء لمعني الحديث: "أعبد الله كأنك تراه." العبادة ليست فقط في الأركان وفي أداء الشعائر . فالدين المعاملة، وهو التعامل في الحياة مع البشر ومع البيئة ومع كل شيء حوله. والطريقة لم تأت بشرع جديد، وإنما جاءت بفهم جديد. فهذا الفهم يحصل عليه المريد بتربية النفس، بالاتباع وبالصدق والإخلاص.

¹ اليشرطية، فاطمة، نفحات 1454

2. والثاني هو المحبة، ومركزها محبة الشيخ. ولما كان الشيخ قد قال في حديث متواتر بين أبناء الطريقة: "حبوني في الفقرا"، أي في بعضكم بعضا. وإشارة إلى الآية الكريمة: {لئن شكرتم لأزيدنكم}¹، يكون الشكر هو المحبة في الله، كما قال الشاعر، نصح الجابري:

فَشكْرُهُ حُبُّكُمْ فِيهِ لِبَعْضِكُمْ وَإِنْ عَصَاكُمْ أَحْوَكُمْ فَأَمْهَلُوهُ يَطِيعُ²

ومحبة الأخ الخالصة في الإيثار إلى درجة قد تصل إلى الفناء فيه: كما قال الشاعر توفيق عزيز الصفدي:

أَعْضَدَ أَحَاكَ وَإِيَاكَ الْجَفَا عَنْهُ وَالزَّمَهُ ظِلًّا لَهُ وَاحْفَظْهُ بَلْ كُنْ هُوَ

هَنَاكَ إِنْ صَحَّ هَذَا مِنْكَ أَوْ مِنْهُ حَقَّقْتَمَا نِسْبَةً سَبْحَانَ مَبْدِيهَا³

3. والثالث هو صحبة أخ فاضل ينبهه إلى عيوب نفسه، فالنفس لا يغفل عن تربيتها، فيلجا المرید إلى إخوته لمساعدته في التغلب على عيوب النفس، كما قال شاعرهم، الشيخ نصح الجابري من قصيدة في التربية:⁴

بِاللَّهِ أَيَا جَمَاعَةَ هَلُمُّوا مِنْ قَبْلِ سَاعَةٍ * نَفَقُوا عَنِي الْبُضَاعَةَ هَوَايَ نَفْسِي

شيطاني

عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْقُلُوبِ طَرِيحَ حَامِلِ ذَنْبِي * فَاكْشَفُوا عَنِي عَيْبِي وَأَقْبَلُونِي عَلَى

نقصاني

فما يسمى الشيطان، في عرفهم، هو هوى النفس وليس شيئا خارج الإنسان. فابن الطريقة يستعين بإخوته على هوى نفسه. والشيخ يقول: "تناصخوا، فالدين النصيحة. ومن رأيتموه من إخوانكم حائدا عن

¹ القرآن الكريم، سورة إبراهيم، 14:7

² اللطائف الروحية، الشيخ نصح الجابري، ص 193

³ اللطائف الروحية، شعر توفيق عزيز الصفدي ص 466

⁴ اللطائف الروحية، الشيخ نصح الجابري ص 189

طريق الاستقامة، فانصحوه سرّاً، برفق ولطف؛ قال تعالى في كتابه العزيز: (فقولا له قولا لينا)¹. فإن لم يسمع، أولاً، وثانياً، فانصحوه، في الثالثة علناً. فإن أصر على المخالفة، فاهجروه هجراً جميلاً، واطردوه ولا تقبلوه معكم.²

4. والطريقة في كونها مؤسسة إجتماعية قائمة بذاتها، لها نظمها وقوانينها، وأحكامها مبنية على الكتاب والسنة، فلها نظام في العقوبات كما يتبن من الحديث السابق، يتدرج من النصيحة، الى الهجر، الى الطرد. ونظام الهجر طبقه الرسول: "على الثلاثة الذين خُلّفوا"³ في غزوة تبوك. ففي الطريقة تتراكم المعرفة الإنسانية على مدى العصور، سواء في الأديان السماوية، أو علوم الفلسفة أينما كان أصلها، وتستخلص منها ما ينفع الإنسان، بعد أن تنزع الشوائب عنه. فليس هناك حاجز بين الطريقة وبين سقراط وأفلوطين، وكونفوشيوس وبوذا، أو بينها وبين سورين كيركغارد، أو مونتيסקيو وهيديجار.

5. ومن جانب آخر فهي تحت الفقير على العمل وخدمة المجتمع الذي تعيش فيه وتتماشى مع ظروفه وأحكامه، من منطلق المبدأ أو الشعار الذي يقول: إجعل الفرق على لسانك موجوداً، والجمع في جنانك مشهوداً. " ومن منطلق المحبة، والإخاء، والوسعة وتقبل الآخر، والقلب والعقل المتفتح، والإخلاص والثبات.

6. والطريقة تجمع بين الشمولية في الإسلام في كونه للناس كافة، ورحمةً للعلمين، إلى المحبة في المسيحية، إلى الخصوصية التي يدعيها الذين قالوا: نحن أولياء الله وأحباؤه.⁴ والطريقة تتكيف مع التطور العلمي، والاجتماعي، والثقافي للبشرية، ولكن مع الحفاظ على نقاء المبادئ الأساسية.

¹ القرآن الكريم، سورة طه، 20:44

² البشرية، فاطمة، نفحات 443

³ القرآن الكريم، سورة التوبة 9:118

⁴ القرآن الكريم، سورة المائدة 5:18

7. والطريقة كما خططها، وأسس لها الشيخ علي نور الدين اليشرطي، وسار على هداها أبناء الطريقة، وتجمع بين الشريعة والحقيقة، هي مؤسسة تدعو الى العيش المشترك بين البشر، والمحبة والإخاء بين الشعوب والأمم، وفقاً للقوانين الطبيعية كما أراد لهم الله.

2.5 التوصيات

1. إن الكتاب الموسوعي الذي أسمته فاطمة اليشرطية "نفحات الحق"، يمكن أن تتخذ أقوال الشيخ علي نور الدين اليشرطي مرجعاً لدراسة معمقة لفلسفة الشيخ في الوجود وفي التربية.
2. كما أن مبدأ " وحدة الشهود المحمدي" من الممكن ان تكون عنواناً لدراسات متقدمة معمقة.
3. كما ان الشعر الصوفي يشكل موضوعاً واعداداً لدراستها بتعمق، لمن يحب أن يشرح ويوضح، أو لمن يرى أن يطعن ويجرح، أو لمن يرغب في أن يتخذ مساراً بين التجريح والتوضيح.
4. كما أن نظرية القابل والاستعداد تصلح لدراسة معمقة تبين أبعادها وأثرها في تشكيل نظريات معرفية وأخلاقية وتربوية.
5. ونظراً لما في الطريقة ومبادئها من أثر في خلق إنسان صالح يكون أساساً لمجتمع صالح، ينشد المحبة والسلام، أقترح أن يدرس التصوف ومبادئ الطريقة في المدارس الابتدائية والثانوية والجامعات.

6 الملاحق

1.6 السلسلة الروحية لأشياخ الطريقة الشاذلية اليشرطية:

الطريقة الشاذلية اليشرطية طريقة سنية محمدية مبنية على الكتاب والسنة، وسلسلة الأقطاب أو مشايخ الطريقة تتصل من واحد الى واحد لتتصل بالنبى ، صلى الله عليه وسلم، في نسب روحي، وتكتسب المشيخة مشروعيتها من هذا النسب، وهم على التسلسل التالي:¹

احمد محمد (الهادي) اليشرطي (ولد 2 اكتوبر 1928): الشيخ القائم

محمد (الهادي) بن ابراهيم اليشرطي (1900- 1980)

ابراهيم بن علي نور الدين اليشرطي (1843-1927)

علي نور الدين اليشرطي (1794-1899) : مؤسس الطريقة الشاذلية اليشرطية

ابو عبدالله محمد بن حمزة ظافر المدني (1780-1847)²

أبو أحمد العربي الدرقاوي (1737-1823)

علي العمران الملقب بالجمل (ت. 1779)

العربي بن احمد بن عبدالله عن والده

قاسم الخصاص (ت. 1673)

عبد الرحمن الفاسي(1631-1684)

محمد بن عبدالله الكبير (1570-1652)

يوسف الفاسي (1530- 1604)

عبد الرحمن المجذوب (ت. 1569)

علي الصنهاجي (ت. 1534)

ابراهيم الفحام (ت. 1520)

¹سيرة الأقطاب في مقالة فان اس 'اليشرطية' ص 32-42

² From dates taken from Van Ess, Ali Wafa was only five years on his father's death. I doubt that he succeeded his father as stated in 'Rihlah' p.190 and in Van Ess

احمد زروق (1442-1493)
احمد بن عقبة الحضرمي (ت. 1490)
يحيى القادري
علي وفا ، ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن وفا(1358-1404)
محمد بحر الصفا (1301-1363)
داود الباخلي (ت. 1333)
تاج الدين أحمد بن عطاء الله السكندري (1260-1309)
أبو العباس المرسي (1219-1287)
علي أبو الحسن الشاذلي (1196-1258) مؤسس الطريق الشاذلية
عبد السلام بن بشيش (قتل 625 هـ / 1228): مؤلف الوظيفة المشيشية
عبد الرحمن المدني المعروف بالزيات
تقي الدين الفُقَيْر (ت. 578 / 1182)
فخر الدين
نور الدين أبو الحسن
تاج الدين
شمس الدين السيواسي
زين الدين القزويني
أبو اسحق ابراهيم البصري (ت. 292 / 900)
ابو القاسم احمد المرواني
ابو محمد سعيد
الشيخ سعد
محمد فتح السعود
سعيد القزويني
ابو محمد جابر بن عبدالله الأنصاري (ت. 698)
الحسن بن علي بن ابي طالب (625-669): أول الأقطاب

علي بن ابي طالب (599-661) باب مدينة العلم¹

النبي محمد بن عبد الله (570-632)

2.6 أهم الدراسات حول الطريقة الشاذلية اليشرطية

كان للطريقة الشاذلية اليشرطية، تأثير كبير وشهرة في المجتمع العلمي والثقافي والديني، ظهرت آثاره في الكتابات التي بحثت في الطريقة وتاريخها وتأثيرها في المجتمع. وهذا الجانب مهم لأنه يساعد على معرفة جوانب تاريخية وعلمية من الطريقة، وهذه الجوانب تساعدنا على تقدير الجهود التي بذلها شيوخ الطريقة ورجالها لنشر المعرفة الصوفية بين أفراد المجتمع، واحترام هذه الجهود والإيمان بها:

كتب السيدة فاطمة اليشرطية: وأولها كتاب (رحلة إلى الحق)، ويتناول بحثاً تصوفية، في القسم الأول منه؛ ثم سرداً لحياة والدها الشيخ علي نور الدين اليشرطي، مؤسس الطريقة. مع بيانات عن بعض أفراد الأسرة اليشرطية، في القسم الثاني منه؛ ثم إيراداً لبعض آثار الشيخ التوجيهية، من أقوال وحكم ورسائل، في القسم الثالث؛ ومن ثم ملحقاً يتضمن بعض القصائد والأناشيد الصوفية التي قالها بعض أبناء الطريقة وعلمائها. وكتاب (نفحات الحق)، وهو يتكون من بحث تصوفي، وبيان بسلسلة أقطاب الطريقة الشاذلية اليشرطية، ثم مجموعة كبيرة جداً من أقوال الشيخ علي نور الدين اليشرطي، وتوجيهاته لمريديه وبعض من رسائله إلى عدد من مقدمي الطريقة. وكتاب (مواهب الحق): وفيه مقدمة تصوفية تبحث في الكرامة وشرعيتها، ثم طائفة من كرامات الشيخ علي نور الدين اليشرطي. وكتاب (مسيرتي في طريق الحق)، ويتألف من ثلاثة أقسام: الأول، أبحاث في مسائل وشؤون تصوفية والثاني بيان للأجواء التي أحاطت بنشأة المؤلف، عامةً وعائلياً، وساعدت على تكوين شخصيتها. والثالث، تأريخ مفصل لحياتها الطويلة، ومدى تأثير والدها عليها، ومقدار تأثيرها بالتصوف.

مؤلفات الشيخ محمود أبو الشامات مقدم الطريقة في مدينة دمشق في حينه: النفحات القدسية العلية بشرح الوظيفة الشاذلية اليشرطية، وله عدة تصانيف أخرى، منها: شرح تائية سيدي محمد وفا (أربعة مجلدات)، وهو غير متوفر حالياً. ومولد نبوي سماه: الرتبة الأحذية، (غير مطبوع) . وديوان

¹ يشير هنا إلى الحديث النبوي: " أنا مدينة العلم ، وعلي بابها".

شعر "السنوحات" ، جمعه ابنه عبد الرحيم، (غير مطبوع) . وكتاب علم الحرم بشرح الحكم، وهو كتاب مخطوط، يشرح فيه حكم ابن عطاء الله السكندري، وفي هامشها أرجوزة شعرية ضمن فيها الحكم العطائية : .

مؤلفات الشيخ مصطفى نجا: كشف الأسرار لتتوير الأفكار، نصيحة الإخوان بلسان الإيمان، وفيه يحث الآباء على تربية أبنائهم التربية الإسلامية الصحيحة، التي تجمع بين علوم العصر والعلوم الشرعية، كما يحذر من أضرار الاختلاط. وقصة المعراج (غير مطبوع) ، وفرائد الفوائد على المقاصد وهو شرح لرسالة المقاصد للإمام النووي (غير مطبوع). وديوان شعر يضم توسلات إلهية، وقصائد في مدح النبي (ص)، وأناشيد صوفية. وفرائد المواهب اللدنية في مولد خير البرية، وهو كما يدل على ذلك عنوانه، مؤلف في شرح قصة المولد النبوي، على طريقة الصوفية وقد طبع في بيروت سنة 1348هـ. وقصة المولد النبوي: مظهر السعود في مولد سيد الوجود، طبع في بيروت ، سنة 1310 هـ .

مؤلفات الشيخ محمد عساف، مقدم الطريقة في مدينة بيروت، في حينه، له آثار كثيرة ومتنوعة ، منها: معالم الوحي أو الرحلة الحجازية المقدسية، والزهر المفيد في المهم من أحكام التجويد، ونبذة من كلام خير الأنام.

مؤلفات الشيخ علي المصطفى الطقطاق الحرساني ، وله "جوهرة المحبين في مناقب الشيخ علي نور الدين اليشرطي"، وهو مخطوط يقع في 138 صفحة ، وضع سنة 1317هـ ، ويعطي لمحة قصيرة عن حياة الشيخ اليشرطي ، كما يورد مجموعة من أحاديث الشيخ ومآثره. وكذلك كتب أخوه الشيخ محمد المصطفى الحرساني "الجواهر العلية اليشرطية في حل أسرار السورة اليوسفية"، وهو مخطوط يقع في 79 صفحة، ويحاول المؤلف ،من خلاله، أن يقدم تفسيراً صوفياً لسورة يوسف. ويظهر من رسائل مذيلة بالمخطوط أنه وضع في فترة قريبة من عام 1310هـ/ 1892م .

جواهر الكنوز الخفية في مناقب الحضرة اليشرطية، ووضعه الشيخ عمر بن محمد علي البرهمجي ، وهو يشتمل على مجموعة كبيرة من أحاديث الشيخ اليشرطي ورسائله إلى المريدين والمقدمين .

مؤلفات عن انتشار الطريقة في إفريقيا: كتب الشيخ أحمد بن عبد الرحمن علوي، من جزر القمر، عن مناقب الشيخ محمد بن أحمد الشاذلي اليشرطي وهو يترجم لأحد العلماء الذين ساهموا في

نشر الطريقة اليسرطية في إفريقيا بعامة، وجزر القمر بخاصة. وكذلك كتاب: هداية الأحبة في بيان علم أهل التصوف أولى العرفان والمحبة، لمؤلفه الشيخ كعب بن أحمد الباعلوي، من جزر القمر .

كما أن كتاباً آخر يحمل اسم Muslim Brothers in Nineteenth Century Africa ، لمؤلفه B. G. Martin :، تحدث عن انتشار الطريقة الشاذلية اليسرطية في جزر القمر. وقال فيه إن الطريقة اليسرطية، التي قام بنشرها في جزر القمر محمد معروف ، هي واحدة من أهم طريقتين كانتا تحققان تقدماً كبيراً في شرق إفريقيا. ثم تحدث عن السيد الشريف محمد معروف، وكيفية تلقيه الطريقة عن الشيخ عبد الله الدرويش الذي زار فلسطين، وانضم للطريقة اليسرطية ، وأصبح مريداً للشيخ علي نور الدين اليسرطي. ويقول بي جي مارتن، إنه بتوجيه من عبد الله الدرويش ، فإن علاقات محمد معروف الأرسرطية ساعدت على كسب المريدين للطريقة في شرق إفريقيا، أي في جزر القمر الكبرى، وأنجوان، وموهيلي، ومايوت، وشاطئ مدغشقر، وزنجبار ومدغشقر، وكينيا وغينيا الجديدة، ووطنجينا، حيث بنيت زوايا يسرطية هناك .

بعض الرسائل الجامعية لبعض أبناء الطريقة الشاذلية اليسرطية ومنها:

أنموذج من الوجود الصوفي في المشرق العربي: المدرسة الشاذلية اليسرطية وشيخها الشيخ علي نور الدين اليسرطي، لمؤلفها الدكتور وفا احمد السوافطة، وهي رسالة دكتوراة في الفلسفة، قدمت للجامعة اللبنانية، عام 2002م، وتحدثت عن أهم آراء الشيخ علي نور الدين الفلسفية والصوفية في العقيدة والمعرفة الصوفية وفي علم الكلام والتصوف .

والمضامين التربوية للفكر الصوفي في الإسلام، للدكتور عمر اللوه، وهي رسالة دكتوراة في أصول التربية، قدمت لجامعة عمان العربية للدراسات العليا، عام 2002م، وتبرز أهم المنظومات التربوية التي نشرها أو كرسها الشيخ علي نور الدين اليسرطي .

وأساليب التربية الأخلاقية في الطريقة الشاذلية اليسرطية ومدى مراعاة معلمي المرحلة الثانوية لها في جزر القمر المتحدة، للباحث إسكندري الفوزي، وهي رسالة ماجستير قدمت لجامعة آل البيت الأردنية عام 2012م .

وكتاب نظرية الحب الإلهي عند لسان الدين بن الخطيب والشيخ علي نور الدين اليسرطي، وهو عن رسالة الماجستير قدمها وفا السوافطة للجامعة الأردنية عام 1988م، وأضيفت إليها فصول عن أهم آراء الشيخ علي نور الدين في المحبة الطبيعية وكيف ترتقي بالمريدين إلى المحبة الإلهية .

ومن خارج الطريقة، هناك أطروحة دكتوراة مقدمة للجامعة اللبنانية بعنوان " التصوف والطرق الصوفية في العصر العثماني المتأخر " لعلي أبو شامي. وقد أفرد فيها فصلاً عن الطريقة اليسرطية وتعاليمها، وتأثيرها في المنطقة. ويتعرض المؤلف، لقصة انتساب السلطان عبد الحميد للطريقة اليسرطية. ثم يتعرض الكتاب لوصف زاوية ترشيحا وزوارها، معتمداً على ما أورده السيدة فاطمة اليسرطية في كتابها رحلة إلى الحق. كما يعرض المؤلف لحديث شخصي مع مقدم الطريقة في البقاع، السيد علي حمود، يتحدث فيه عن ملامح الطريقة، ويرد فيها على الاتهامات الموجهة لأتباعها بتشجيع الاختلاط، والخروج على الشرع الشريف. كما يفرد الباحث متسعاً للحديث عن العادات الاجتماعية داخل الطريقة، نقلاً عن كتب السيدة فاطمة اليسرطية .

كتاب الطريقة الشاذلية وأعلامها، للدكتور محمد درنيقة، صدر في بيروت عام 1990، تناول فيه ترجمة حياة مجموعة من شيوخ الطريقة الشاذلية، ومن بينهم الشيخ علي نور الدين اليسرطي، وعدد من أتباعه: أحمد عباس الأزهري، ومحمود أبو الشامات، ومصطفى نجا.

جامع كرامات الأولياء، ليوسف النبهاني، ويورد فيه ترجمة الشيخ علي اليسرطي، ويقول فيه إنه تلقى الطريقة على يديه لكن النبهاني يتطرق للحديث عن بعض المجموعات التي اتبعت الشيخ اليسرطي لأهداف دنيوية ، مما دعا الشيخ اليسرطي إلى طردهم من الطريقة. فهو يقول " : وانفتح به، أي بالشيخ علي اليسرطي قوم وتضرر آخرون، ممن حادوا عن طريق السداد، وجانبوا طريق الرشاد، وغلب عليهم الجهل . "...

علماءنا في بيروت - صيدا - طرابلس - البقاع من وضع وجمع كامل الداعوق . وقد ترجم فيه للشيخ محمد الهادي اليسرطي، الذي تسلّم مشيخة الطريقة، بعد انتقال والده الشيخ إبراهيم بن علي نور الدين اليسرطي؛ كما ترجم لعدد من مريدي الطريقة أمثال أحمد عباس الأزهري، ومحمد عساف وولده أحمد، ومصطفى نجا، وقاسم أبو الحسن الكستي .

كتب تؤرخ لعلماء ومتصوفة تونس، مثل:

مشاهير التونسيين ، لمحمد بوزينة ، نشره في تونس ، وترجم فيه للشيخ علي اليسرطي فقال عنه: "علي اليسرطي (1796- 1898) ، تفقه بجامع الزيتونة ، واشتغل بالتدريس في بعض المدارس الثانوية. سافر إلى الحجاز ، ثم أقام بالمدينة ، ثم قصد القدس سنة 1850 م، واستقر في عكا . "

وكتاب أعلام من بنزرت ، للمؤرخ المغربي رشيد الذوايدي ، وقدم فيه ترجمة وافية لمؤسس الطريقة اليسرطية ، فقال عنه : " إنه من أعلام الدولة الحسينية ... تعلم ... ببنزرت أولاً ، ثم التحق بتونس وحضر الكثير من الدروس في جامع الزيتونة ، وبعد أن ملأ وطابه من هذه الدروس اشتغل بالنتقيف في بعض المدارس الثانوية ، حيث درّس التفسير والحديث ، والأصول ، والتشريع ، والمنطق ، والكلام ، وغيرها من المواد والفنون ... وهكذا ، قضى هذا العالم السياسي [والأصح : الفقيه] بقية عمره في دمشق [والصحيح : عكا] ناشراً للمعرفة ، حاثاً على التسابق في الخير ... منشطاً للحركات الفكرية والعلمية في تلك الربوع ، إلى أن وافاه الأجل يوم 19 رمضان عام 1316هـ / 1898م .

كتب الأعلام التي تترجم لرجال التصوف والطريقة ومنها:

كتاب الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، وقدم فيه ترجمة للشيخ علي نور الدين اليسرطي . فقال إنه عاش بين عامي 1211- 1316 هـ 1796- 1899 م ، وأضاف أنه تفقه ، وحج مرات ، ونفي إلى قبرص [والصحيح رودس] وأقام ثلاث سنين .

وكتاب الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية ، لزكي محمد مجاهد ، صدرت منه الطبعة الثانية عن دار الغرب الإسلامي ببيروت سنة 1994م ، وهو في ثلاثة أجزاء . وقد تحدث فيه الكاتب عن محمد ظافر المدني ، كما تحدث عن بعض رجال الطريقة الشاذلية اليسرطية ، نحو : محمود أبو الشامات ، ومحمد نصوح الجابري ، ومصطفى نجا ، وأبو الحسن الكستي . ولم تختلف المعلومات المعروضة هنا عن غيرها في كتب الأعلام الأخرى .

منتخبات التواريخ لدمشق ، لمحمد أديب الحصني . وقد ترجم فيه للشيخ عبد القادر ابن سعيد ، الحمصي موطناً ، الدمشقي مسكناً ، فقال عنه : " الشيخ البصير الحافظ يقرأ في المآتم ، كان فاضلاً أديباً ، له فطانة في اللمس وذكاء زائد غريب ، وإحساس عجيب . صنف مولداً ، ابتكاراً من ذهنه الثاقب ، بهر به العقول بأساليبه ، وأدهش الألباب بألفاظه ومعانيه ، نحا به مذهب التصوف ... حفظه كثير من الناس ، يقرأونه في كل آن ، اشتهر هذا المولد بين أهل دمشق واستحبوه على غيره ، طبعه مؤلفه قبل موته ببضع سنين ، سنة 1314/1896 . كما أرخ لحياة الشيخ رشيد بن عمر ، الشهير برشيد سنان الشاذلي ، الدمشقي مولداً ، فقال عنه : " هو من أبناء عم العلامة الشيخ مصطفى قزيها المتقدم الذكر في القرن الثالث عشر ، برع في النحو والصرف والمنطق والأصول والعروض ، وتصدر لقرأة الدروس في مدرسة عبد الله باشا العظمي ، ثم تعين معلماً في مدرسة الملك الظاهر لتعليم المبادئ والعلوم العربية والفنون العصرية . كان عالماً فاضلاً بارعاً في أساليب التعليم ، شاعراً . وقد غلب عليه الفناء والحب لمؤسس الطريقة الشاذلية اليسرطية . مات عقيماً سنة

1333 [هـ = 1914 م]. وهو أحد أساتذتي ، جزاه الله عني خير الجزاء .". وأرخ كذلك للشيخ سعيد بن محمد بن عثمان بن عبد الغني ، الدمشقي ، الشهير بالغبرا ، فقال : " نشأ على حب طلب العلم ورجاله ، لتردده على خاله العلامة عبد الرحمن الكزبري ، وكان أكثر الناس انتفاعاً منه . واشتغل وجدّ ، وقرأ على الشيخ هاشم التاجي ، والشيخ سعيد الحلبي ، والشيخ عبد الرحمن الطيبي ، وغيرهم . كان من العلماء الذين هم صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، لا تأخذه في الله لومة لائم . تصدّر للتدريس والوعظ في الجامع الأموي مدة طويلة ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . ويكّد على تعليم العامة أمر دينهم الضروري لهم ، ويشن الغارة على قمع البدع غير المرضية المخالفة للشرع ، وقد شد الرحيل مراراً لعاصمة الدولة الإسلامية ، لرفع وإبطال الكثير منها التي ظهرت بدمشق ، على الأخص كوميدة [يعني كوميديا] التمثيل للروايات . فلما وصل الخبر إلى السلطان عبد الحميد ، أمره بإبطلها ولغوها . وقد انتقل مؤسسها أبو خليل القباني ، الدمشقي ، إلى مصر ، ومثلها هناك . مات صاحب الترجمة سنة 1303 هـ ."

3.6 كتب أرخت لرجال التصوف في دمشق وحلب

كتاب أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر ، لمحمد جميل الشطي . وقد أرخ للشيخ عبد القادر الحمصي ، وأورد ما أورده صاحب منتخبات التواريخ لدمشق ، بإضافة أنه توفي في حدود عام 1320 هـ [1902 م]. كما أرخ للشيخ سعيد الغبرا ، فأورد ما قاله صاحب منتخبات التواريخ ، بإضافة أنه "... في آخر أمره ذهب إلى عكا فأخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ علي الترشيحي [نسبة إلى ترشيحا بلد الإقامة ، ويقصد الشيخ علي اليشرطي] ، بعد أن كان منكراً عليه . وكانت وفاته فجأة . " وأرخ ، كذلك ، للشيخ سعيد الخالدي (ت 4921 هـ / 7781 م) ، فقال إنه انقلب من العلم إلى إنكاره بعدما أخذ الطريقة اليشرطية .

وكتاب: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ، لمحمد مطيع الحافظ ونزار أباظة. وقد أرخا، في الجزء الأول من كتابهما ، لكل من سعيد الغبرا ، وسعيد الإسطواني، وعبد القادر الحمصي ، ورشيد سنان، ومحمود أبو الشامات ؛ كما أرخا في الجزء الثاني للسيدة فاطمة اليشرطية .

وكذلك كتاب : أعلام دمشق في القرن الرابع عشر ، لمؤلفه محمد عبد اللطيف الفرفور ، وترجم فيه لعدد من أبناء الطريقة اليشرطية، من أبرزهم: سعيد الغبرة، عبد القادر الحمصي، ومحمود أبو الشامات.

وكتاب: إعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء، لمحمد راغب الطباخ الحلبي، وترجم فيه للشيخ علي نور الدين اليشريطي، نقلاً عن حلية البشر. كما ترجم سيرة الشيخ محمد نصوح الجابري (ت1324هـ) ، فقال: "حصّل من العلوم الفقهية والأدبية طرفاً صالحاً، مع نباهة فكر وأصالة رأي،... توجه في نواحي سنة 1304 إلى عكا، فأخذ الطريقة اليشرطية عن نزيلها الشيخ علي اليشريطي، وبعد عودته اهتم في نشرها في حلب . " وذكر أشعاراً له .

وكتاب: نفحة البشام في رحلة الشام، لمحمد عبد الجواد القاياتي، وصدر في بيروت ، سنة 1981م، وقد ترجم فيه المؤلف لبعض الشخصيات التي لقيها أثناء رحلته إلى بلاد الشام، ومنهم الشيخ قاسم أبو الحسن الكستي البيروتي، والشيخ مصطفى نجا، والشيخ سعيد الغبرا، والشيخ أحمد عباس الأزهري الذي قال عنه: خليفة الشاذلية على طريق الشيخ علي المغربي اليشريطي المدني الدرقاوي .

4.6 كتب أرخت لرجال التصوف والطريقة في فلسطين

أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800-1918م) لعادل مناع . وقد أرخ فيه للشيخ علي اليشريطي فقال: إن من أول المنتسبين له في عكا الشيخ قاسم العرابي، والتاجر أحمد الدلال ، والسيد أبو أيوب القبلاوي. كما تعرض لسيرة حياة الشيخ، ولمجموعة من مريديه، منهم الشيخ يوسف شراب (ت1330هـ/1912م) ، العالم الأزهري المدرس في غزة ومصر؛ وكذلك الشيخ محمود سكيك (ت1301هـ /1883) ، الفقيه والعالم الأزهري؛ والشيخ محمد سكيك (ت1246هـ /1830م)، العالم الأزهري الذي كانت له مكانة متميزة عند الناس، وبخاصة عند عبد الله باشا، حاكم عكا، حيث عرض عليه وظيفة الإفتاء ، فأبى قبولها؛ والشيخ عبد الله الجزار (1855-1939م) ، مفتي عكا وقاضيها في أواخر العهد العثماني وفي عهد الانتداب، ومؤسس المدرسة الأحمدية في أروقة جامع الجزار في عكا .

وكتاب أعلام فلسطين ، لمحمد عمر حمادة. وقد تحدث في الجزء الأول منه عن الشيخ إبراهيم علي نور الدين اليشريطي، فقال: " أتم بناء الزاوية الشاذلية المشهورة في عكا، والتي كان والده الشيخ علي بدأ بإنشائها. خلف والده في مشيخة الطريقة الشاذلية الصوفية التي انتشرت في أرجاء عديدة من العالم الإسلامي، وخاصة في فلسطين وسوريا. توفي في عكا . "

وهناك دراسة أخرى ، تطرقت لانتشار الطريقة اليشرطية في فلسطين والأردن ، أعدت للمؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشام الذي عُقد في الجامعة الأردنية . أعد هذه الدراسة الباحث في جامعة ليدن :

F. DE Jong بعنوان : The Sufi Orders in Nineteenth & Twentieth – Century Palestine. وقد تحدث في هذه الدراسة عن انتشار الطريقة اليسرطية وزواياها في فلسطين بالتحديد، وقال (بونغ)، في هذا الدراسة: إن هذه الطريقة كانت من أكثر الطرق تنظيمياً في فلسطين والدول المجاورة، في حين كانت الطرق الأخرى، كالرحمانية والقواقجية، أقل تنظيمياً وتأثيراً في المجتمع الفلسطيني، في تلك المرحلة. كما أنه مما ساعد على انتشار الطريقة، على حد تعبيره، هو إقامة صلة وطيدة بين مشيخة الطريقة والباب العالي في الآستانة (إسطنبول)، وكذلك إقامة صلات قوية مع أشراف القدس وفلسطين ونستشف ، من هذه الدراسة ، أن المؤلف قابل الشيخ أحمد اليسرطي شيخ الطريقة الحالي، الذي زوّد المؤلف بالكثير من المعلومات ، عن انتشار في البقاع البعيدة، كجزر القمر الإفريقية والبرازيل وكندا. ويعزو المؤلف ضعف الاتصال مع مريدي الطريقة في المناطق النائية، إلى ظروف الحروب التي مرت بها المنطقة . ونقل على لسان الشيخ الحالي للطريقة، الشيخ أحمد اليسرطي، الموجود حالياً في عمّان، أنه في ظل ظروف الاستقرار في المنطقة، فقد عادت قنوات الاتصال تلك إلى التوطّد من جديد، مما دعم تماسك البنية الاجتماعية لأبناء الطريقة في الداخل والخارج. كما ارتأت مشيخة الطريقة في ظل الظروف الجديدة، إعادة تأهيل وتجديد مراكز الطريقة في عكا وغيرها، عندما تسمح ظروف المنطقة بذلك، لتمارس هذه الزوايا والمراكز دورها، من جديد، في ربط المريدين، في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

5.6 كتب تحدثت عن عكا ورجالاتها

كتاب: عكا تراث وذكريات. للباحثين متى بوري ويوسف شبل، وقد صدرت الطبعة الثانية منه في بيروت، عام 1994م. وتحدث المؤلفان فيه عن الطريقة الشاذلية اليسرطية ، وشيخها حضرة سيدنا علي نور الدين اليسرطي. وقالوا إن الشيخ قضى حياته في طاعة الله، والمداومة على العبادة والذكر والتقشف بالعيش ، مع إقبال الناس عليه. كما تحدثا عن خلفائه على مشيخة الطريقة ، وهم : ابنه الشيخ إبراهيم اليسرطي (ت 1928م) الذي جدد بناء الزاوية ؛ والشيخ محمد الهادي اليسرطي المولود سنة 1900م، وقد تلقى علومه في المدرسة الأحمدية بعكا؛ وأخيراً، الشيخ أحمد اليسرطي الذي يحتل مركزاً مرموقاً بين أتباعه، وفي كافة المجتمعات .

وكتاب: لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية، للباحث زهير غنايم، وقد صدر مؤخراً، سنة 1999م، عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية، في بيروت . وتحدث فيه المؤلف عن الدور الذي لعبته الطريقة اليسرطية في المجتمع الفلسطيني بخاصة ، وفي الثقافة الإسلامية بعامة كما تحدث عن بعض رجالات الطريقة، ووصف بشكل غير مباشر، دورهم في التعليم والقضاء والإفتاء .

كتاب: حلية البشر في رجالات القرن الثالث عشر، لمؤلفه عبد الرزاق البيطار، حيث أفرد في جزئه الثاني فصلاً للحديث عن الشيخ اليشرطي ومناقبه. فدافع عن الشيخ في كل ما وُجّه إليه من تساؤلات واتهامات؛ لكنه قدح في أتباعه، ويبدو أن خطأ حصل لدى البيطار، في هذا الجانب، بين أتباع الشيخ اليشرطي، وبعض الخارجين على أوامر الشيخ الذين طردوا من الطريقة، لابتداعهم أموراً لم ترد في تعاليم الشيخ كما أرخ البيطار للشيخ سعيد الغبرا، فقال في الجزء الثاني: " كان رجلاً يغلب عليه الصلاح وطلب العلم في أول أمره، إلى أن صار له مَلَكَةٌ وإماماً نوعاً ما، ولكنها لعدم كمال إقباله له ما تمّ. وأخذ الطريقة الصاوية الدرديرية، وكان يقيم حلق الذكر في الجُمُعية شمال جامع بني أمية، وصار عنده جمعية كبرى. وحصل له قبول عند الناس، إلى أن استحصل التولية على أوقاف المدرسة المرقومة. فأقبل على الدنيا بجده واجتهاده، ففتر أمره وتنزل قدره. وكان يخيل له أنه من كبار العلماء، وفي آخر أمره ذهب إلى عكا وأخذ طريق الشاذلية عن الشيخ علي نور الدين بعد أن كان منكراً على هذا الطريق وأهله." كما ترجم لسعيد الخالدي، الدمشقي (1294 هـ / 1877م)، فقال عنه: " العالم الزاهد. كان مواظباً على ديانته، غير ناظر معها إلى راحتها، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر." أخذ الطريقة على يد الشيخ أحمد البقاعي، ثم زار شيخه علي اليشرطي في عكا. وكان الخالدي خطيباً في قرية كفر سوسة، من قرى الشام، فنفي مع شيخه إلى جزيرة رودس. ولما عاد إلى قريته وسيرته السابقة، فصل من عمله، وانقلبت الدنيا عليه. ويقول المؤلف: " وكنت أنصحه بالرجوع إلى المطلوب. فيقول لي أنت عن الحقيقة محجوب. ولو قطع رأسي وتقصّلت أوصالي، لا رجعت عن طريقي وحالي."

وعند ترجمته للشيخ مصطفى نجا (ت1350هـ/1931م)، قال إنه ولد سنة 1269 هـ/1853م، وطلب العلم في بيروت، على جماعة من ذوي المقامات السنيّة، فاجتهد في الطلب. ولم يزل سالكاً مسالك الفضل والكمال، حتى أخذ الطريقة الشاذلية عن المرشد الكامل الشيخ علي نور الدين. فاشتغل بالطريق فوق العادة، وبذل في الطاعة جده واجتهاده، ولازم الإخوان في مسائه وصباحه، وسلك مسالك نجاحه وفلاحه.

كما ترجم للشيخ أبو النصر الخطيب (ت 1324هـ)، فقال إنه انتسب للشيخ اليشرطي، ثم دخل الأستانة، وانخرط في سلك النيابات، وقد أبدى سلوكاً وسمعة طيبة خلال ذلك.

مقال لجوزيف فان إس يقع في مئة وعشرين صفحة في مجلة " عالم الإسلام " ، بعنوان :
Die Yasrutiya وقد قام بعرض الكتاب، لمجلة الباحث اللبنانية، الصادرة بتاريخ كانون ثاني /

شباط عام 1980 الدكتور جورج كتورة. وفي هذا الكتاب ، يقول المؤلف إن للطريقة أتباعاً كثيرين في فلسطين ولبنان وسوريا وشرق إفريقيا. كما يشكك المؤلف في بعض المعلومات الواردة في كتب السيدة فاطمة اليشرطية . كما يتعرض المؤلف لمفهوم الكرامة، في الطريقة اليشرطية ، وينتقص من قدرها، مؤكداً أن الشيخ أثر في أتباعه بالإيحاء، الذي تقوى من خلال أصله الغريب، لا من خلال كراماته.

إشارات أخرى للطريقة وردت في كتاب المستشرق سبنسر تريمغهام ، في كتابه The Sufi Orders In Islam¹ " الفرق الصوفية في الإسلام"، وهو يعتبر أن الطريقة اليشرطية هي إحدى فروع الطريقة المدانية التي أسسها الشيخ محمد بن حمزة المداني. فيقول: "لقد تمثلت الطريقة المدانية، في سوريا ، ببواسطة طائفة مميزة، هي الطريقة اليشرطية التي أسسها علي نور الدين اليشرطي، الذي أسس زوايا في ترشيشا والقدس وحيفا ودمشق وبيروت ورودس."²

وقد ورد ذكر الشيخ اليشرطي في كتاب " هجرة أحد عشر مزارعا من روسيا سنة 1883".

Yesud Hama'aalal: The Immigration of Eleven Farmers from Russia in 1883, in Hebrew Kuntresin Texts and Studies, 8, photocopy Ed.

6.6 مؤلفات لشيخ السلسلة الشاذلية اليشرطية المخطوطة والمطبوعة

أبو الحسن علي بن عبد الجبار الشاذلي (ت656هـ/ 1258م) حزب البحر، الكفاية، الفلاح، التوسل، الحزب الكبير، الآيات، حزب النور اللطيف النصر البر ،

أحمد بن عطاء الله الإسكندري (ت709هـ/1309م) التنوير في إسقاط التدبير، الحكم العطائية لطائف المنن في مناقب أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن، المرقى إلى القدير الأبقى، أصول

¹ كتاب "الفرق الصوفية في الإسلام"، ترجمة الدكتور عبد القادر البحراوي هو ترجمة بدائية فيها أخطاء لغوية ومطبعية، وعدم معرفة بأسماء المدن والبلاد باللغة العربية. والترجم على ما يبدو متحامل على التصوف في تعليقاته في الهوامش. وقد أخطأ في تعليقه على انتشار الطريقة في الهند، واما الطريقة اليشرطية في جزر القمر وشرق إفريقيا بواسطة، عبدالله الدرويش ابن سعيد السواحلي، وساعد على انتشارها انتسام محمد المعروف من آل أبو بكر سالم

² ترمغهام، سبنسر، الفرق الصوفية في الإسلام، ص 201

مقدمات الوصول، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد، مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح، والتنوير في إسقاط التدبير.

داوود الباخلي (ت732هـ/1329م) عيون الحقائق اللطيفة المرضية في شرح دعاء الشاذلية
بعض الشروح على أحزاب الشاذلي

محمد وفا بن محمد نجم بحر الصفا السكندري (ت765هـ/1363م) الأزل المقامات السنينة
المخصوص بها السادة الصوفية حزب السادات في جميع العبادات نفائس العرفان من أنفاس الرحمن
تأصيل الزمان وتفصيل الأكوان شعائر العرفان في ألواح الكتان ترجمان الأشواق وروضة العشاق،
فضول الحقائق ديوان شعر

علي بن محمد وفا (ت807هـ/1404م) مفاتيح الخزائن العالية، تفسير القرآن الباعث على
الخلاص في أحوال الخواص، الكوثر المترع من الأبحر الأربع في الفقه، والمسامع الربانية، خزينة
الفضائل، بغية الرائد، ديوان شعر ديوان سيدي علي وفا¹

أحمد زروق (ت899هـ/1494م) "قواعد التصوف" كتبه على وجه يجمع بين الشريعة
والحقيقة ويصل الأصول والفقه بالطريقة. إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين، تأسيس
القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول في التصوف، تعليق على البخاري في ضبط الألفاظ
الجامع لجمل من الفوائد والمنافع، جمع البيان شرح أبيات الجمع للشيخ علوان، الجنة للمعتصم من
البدع بالسنة، حزب البركات ووسيلة الفوز والنجاة، الدرّة المنتخبة في الأدوية المجربة، وظيفة الزروقية
في الأوراد، شرح أسماء الله الحسنى، شرح البسمة والحمدلة، عمدة المرید الصادق من أسباب المقنت
في بيان الطريق وحوادث الوقت، فتح المواهب وكنز المطالب، الفتوحات الرحمانية في حل ألفاظ
الحكم العطائية، كتاب الأنس في شرح عيوب النفس، النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، البدع

¹ ديوان سيدي علي وفا، . متوفر بعدة مكنتبات في حلب ومن مكتبة دار التراث

التي يفعلها فقراء الصوفية، شرح دلائل الخيرات، ديوان شعر شرح مختصر خليل (ابن إسحاق الجندي المصري) في فقه المالكية

علي الصنهاجي (الدوّار) دفين فاس ترجمة سيدي علي الدوار الصنهاجي: المصدر:
المطرب من مشاهير أولياء المغرب هامش صفحة 159 .

عبد الرحمن المجذوب - دفين مكناسة الزيتون (ت 944هـ) له قصيدة مشهورة مطلعها:

"وأنا ما لي فيها آس أيش عليا مني * ألق من رزقي ليش والخالق يرزقني."

محمد العربي بن عبد الله الكبير الفاسي (والد سيدي أحمد) دفن بفاس، مرآة المحاسن من
أخبار الشيخ أبي المحاسن

أبو زيد عبد الرحمن الفاسي (دفن بفاس): تفسير سورة الفاتحة، حاشية في التفسير، حاشية
على صحيح البخاري، حاشية على دلائل الخيرات، حاشية على الحزب الكبير، حاشيتان على شرح
الصغرى

أبو أحمد العربي بن أحمد بن (ت جواهر القرطاس الحسين الدرقاوي 1242هـ/1737م)
مناقب الشيخ علي الجمل رسائل في التصوف (شرحها الشيخ ظافر المدني)

أبو عبد الله محمد بن حسن بن حمزة ظافر الطرابلسي المدني (ت 1264هـ/1846 م) الأنوار
القدسية في تنزيه طرق القوم العلية النور الساطع والبرهان القاطع في الطريقة الشاذلية الرحلة
الظاهرة، أقرب الوسائل في شرح منتخبات الرسائل للدرقاوي.

7.6 إجازة من الشيخ إبراهيم الشرطي لمقدم بيت عور في فلسطين مختومة بختم الشيخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد
 طه الامين وعلى آله وصحبه اصعبين اما بعد فاني قد اذنت
 الى ولدنا القلب على الحية وهرت له هذه الاجازة لاجل يعطى
 الطريقة الشاذلية لكل من اراد المعاهدة عليها والتمسك
 باورادها والاقامة على الشريعة الفراء والمواظبة على تلاوة
 الوظيفة في الصباح والمساء وتلاوة اورادها الشريعة مع لهج
 اللسان بذكر الله سراد جهرا لقوله تعالى انا جليس الذاكرين
 وقال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيص له شيطانا فهو له
 قرين وفل اعلموا فيرى الله عملكم فلازم دائرنا صحو في محبة
 الله والله يوافقكم الجزاء الا وفار بنا بمنحكم سعادة الدنيا والاخرة
 ويديم توفقات قلب سيدنا عليكم وعلى ههنا اذرى بكم بين اللهم امين
 القدر اليه سبحانه
 ابراهيم نور الدين
 البشير الاحسن

8.6 الوظيفة الشاذلية الشرطية

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ بِجَمِيعِ الشُّوْنِ، فِي
 الظُّهُورِ وَالْبُطُونِ عَلَى مَنْ مِنْهُ انْشَقَّتِ الْأَسْرَارُ الْكَامِنَةُ فِي دَاتِهِ الْعَلِيَّةِ ظُهُورًا، وَأَنْفَلَقَتِ الْأَنْوَارُ الْمُنْطَوِيَّةُ
 فِي سَمَاءِ صِفَاتِهِ السَّنِيَّةِ بُدُورًا، وَفِيهِ انْتَفَتِ الْحَقَائِقُ مِنْهُ إِلَيْهِ، وَتَنَزَّلَتْ عُلُومُ آدَمَ بِهِ فِيهِ عَلَيْهِ، فَأَعْجَزَ
 كُلًّا مِنَ الْخَلَائِقِ فَهُمْ مَا أُودِعَ مِنَ السَّرِّ فِيهِ، وَلَهُ تَضَاعَلَتِ الْفُهُومُ وَكُلُّ عَجْزُهُ يَكْفِيهِ، فَذَلِكَ السَّرُّ

الْمَصُونُ لَمْ يُدْرِكْهُ مِنَّا سَابِقٌ فِي وُجُودِهِ، وَلَا يَبْلُغُهُ لَاحِقٌ عَلَى سَوَابِقِ شُهُودِهِ، فَأَعْظَمَ بِهِ مِنْ نَبِيِّ رِيَاضِ
 الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ بَزْهِرِ جَمَالِهِ الزَّاهِرِ مُونِقَةً، وَحِيَاضِ مَعَالِمِ الْجَبْرُوتِ بِفَيْضِ أَنْوَارِ سِرِّهِ الْبَاهِرَةِ مُنْدَفِقَةً،
 وَلَا شَيْءَ إِلَّا وَهُوَ بِهِ مَنْوُطٌ، وَبِسِرِّهِ السَّارِي مَحُوطٌ، إِذْ لَوْلَا الْوَاسِطَةُ فِي كُلِّ صُعُودٍ وَهُبُوطٍ لَدَهَبَ كَمَا
 قِيلَ الْمَوْسُوطُ صَلَاةً تَلِيقُ بِكَ مِنْكَ إِلَيْهِ، وَتَتَوَارَدُ بِتَوَارِدِ الْخَلْقِ الْجَدِيدِ وَالْفَيْضِ الْمَدِيدِ عَلَيْهِ، وَسَلَامًا
 يُجَارِي هَذِهِ الصَّلَاةَ فَيْضُهُ وَفَضْلُهُ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَعَلَى آلِهِ شُمُوسِ سَمَاءِ الْعُلَا، وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ
 وَمَنْ تَلَا، اللَّهُمَّ إِنَّهُ سِرُّكَ الْجَامِعُ لِكُلِّ الْأَسْرَارِ وَتَوْرُكِ الْوَاسِعِ لِجَمِيعِ الْأَنْوَارِ، وَدَلِيلُكَ الدَّالُّ بِكَ عَلَيْكَ
 وَقَائِدُ رُكْبِ عَوَالِمِكَ إِلَيْكَ، وَحِجَابُكَ الْأَعْظَمُ الْقَائِمُ لَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ فَلَا يَصِلُ وَاصِلٌ إِلَّا إِلَى حَضْرَتِهِ
 الْمَانِعَةِ، وَلَا يَهْتَدِي حَائِزٌ إِلَّا بِأَنْوَارِهِ اللَّامِعَةِ، اللَّهُمَّ الْحَقْنِي بِنَسَبِهِ الرُّوحِيِّ، وَحَقَّقْنِي بِحَسَبِهِ السُّبُوحِيِّ،
 وَعَرِّفْنِي إِيَّاهُ مَعْرِفَةً أَشْهَدُ بِهَا مُحْيَاهُ، وَأَصِيرُ بِهَا مَجْلَاهُ كَمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَأَسَلِّمُ بِهَا مِنْ وُرُودِ مَوَارِدِ
 الْجَهْلِ بِعَوَارِفِهِ، وَأَكْرَعُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الْفَضْلِ بِمَعَارِفِهِ، وَاحْمِلْنِي عَلَى نَجَائِبِ لُطْفِكَ وَرَكَائِبِ حَنَانِكَ
 وَعَطْفِكَ، وَسِرِّ بِي فِي سَبِيلِهِ الْقَوِيمِ وَصِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ إِلَى حَضْرَتِهِ الْمُتَّصِلَةِ بِحَضْرَتِكَ الْقُدْسِيَّةِ،
 الْمُتَّبَلِّجَةِ بِتَجَلِّيَاتِ مَحَاسِنِهِ الْأُنْسِيَّةِ، حَمَلًا مَحْفُوفًا بِجُنُودِ نُصْرَتِكَ مَصْحُوبًا بِعَوَالِمِ أُسْرَتِكَ، وَاقْدِفْ بِي
 عَلَى الْبَاطِلِ بِأَنْوَاعِهِ فِي جَمِيعِ بَقَاعِهِ، فَأَدْمَعُهُ بِالْحَقِّ عَلَى الْوَجْهِ الْأَحَقِّ، وَزُجِّ بِي فِي بَحَارِ الْأَحَدِيَّةِ
 الْمُحِيطَةِ بِكُلِّ مُرَكَّبَةٍ وَبَسِيطَةٍ، وَأَثْلُنِي مِنْ أَوْحَالِ التَّوْحِيدِ إِلَى فِضَاءِ التَّفَرِيدِ، الْمُتَزَهِّ عَنِ الْإِطْلَاقِ
 وَالتَّقْيِيدِ وَأَعْرِفْنِي فِي عَيْنِ الْوَحْدَةِ شُهُودًا، حَتَّى لَا أَرَى وَلَا أَسْمَعُ وَلَا أَجِدَ وَلَا أُحَسُّ إِلَّا بِهَا نُزُولًا
 وَصُعُودًا، كَمَا هُوَ كَذَلِكَ لَمْ يَزَلْ وَجُودًا، وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ ذَلِكَ لَدَيْهِ مَمْدُوحًا وَعِنْدَكَ مَحْمُودًا، وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ
 الْحِجَابَ الْأَعْظَمَ حَيَاةَ رُوحِي كَشْفًا وَعَيَانًا، إِذِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ رَحْمَةٌ مِنْكَ وَحَنَانًا، وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ رُوحَهُ سِرِّ
 حَقِيقَتِي ذَوْقًا وَحَالًا، وَحَقِيقَتَهُ جَامِعَ عَوَالِمِي فِي مَجَامِعِ مَعَالِمِي حَالًا وَمَالًا، وَحَقَّقْنِي بِذَلِكَ عَلَى مَا
 هُنَالِكَ بِتَحْقِيقِ الْحَقِّ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، يَا أَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، يَا آخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ
 شَيْءٌ، يَا ظَاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، يَا بَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، إِسْمَعْ نِدَائِي فِي بَقَائِي وَفَنَائِي بِمَا
 سَمِعْتَ بِهِ نِدَاءَ عَبْدِكَ زَكْرِيَّا، وَاجْعَلْنِي عَنْكَ رَاضِيًا وَعِنْدَكَ مَرْضِيًّا، وَأَنْصُرْنِي بِكَ عَلَى عَوَالِمِ الْجِنِّ
 وَالْإِنْسِ وَالْمَلَكِ، وَأَيِّدْنِي بِكَ لَكَ بِتَأْيِيدِ مَنْ سَلَكَ فَمَلَكَ وَمَنْ مَلَكَ فَسَلَكَ، وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنِكَ وَأَزِلْ عَنِ
 الْعَيْنِ غَيْبِكَ، وَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ غَيْرِكَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ خَيْرِكَ وَمَيْرِكَ، {اللَّهُ، اللَّهُ، اللَّهُ}، اللَّهُ مِنْهُ بُدْءُ
 الْأَمْرِ، اللَّهُ الْأَمْرُ إِلَيْهِ يَعُودُ، اللَّهُ وَاجِبُ الْوُجُودِ وَمَا سِوَاهُ مَفْقُودٌ. إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى
 مَعَادٍ، فِي كُلِّ اقْتِرَابٍ وَابْتِعَادٍ وَانْتِهَاضٍ وَاقْتِعَادٍ، (رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا)،
 وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ إِهْتَدَى بِكَ فَهَدَى، حَتَّى لَا يَقَعَ مِنَّا نَظْرٌ إِلَّا عَلَيْكَ، وَلَا يَسِيرَ بِنَا وَطَرٌ إِلَّا إِلَيْكَ، وَسِرُّ بِنَا
 فِي مَعَارِجِ مَدَارِجِ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا،
 اللَّهُمَّ فَصِّلْ وَسَلِّمْ مِنَّا عَلَيْهِ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَأَكْمَلَ التَّسْلِيمِ، فَإِنَّا لَا نَقْدِرُ قَدْرَهُ الْعَظِيمِ، وَلَا نُدْرِكُ مَا يَلِيقُ
 بِهِ مِنَ الْاحْتِرَامِ وَالتَّعْظِيمِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ تَعَالَى وَسَلَامُهُ وَتَحِيَّاتُهُ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ

وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ عَدَدَ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَعَدَدَ كَلِمَاتِ رَبِّنَا التَّامَّاتِ الْمُبَارَكَاتِ.
 (أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) - ثلاثاً
 (تَحَصَّنْتُ بِذِي الْعِزَّةِ وَالْجَبْرُوتِ وَاعْتَصَمْتُ بِرَبِّ الْمَلَكُوتِ وَتَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، اصْرِفْ
 عَنَّا الْأَدَىٰ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. اصْرِفْ عَنَّا الْأَدَىٰ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. اصْرِفْ عَنَّا الْأَدَىٰ
 إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) - ثلاثاً

(بِاسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) ثلاثاً
 (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) - ثلاثاً (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ) - ثلاثاً
 (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ) - ثلاثاً (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) -
 ثلاثاً
 (فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) - ثلاثاً (رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) -
 ثلاثاً

(وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) - ثلاثاً
 (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا
 الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ
 كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)، (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ
 وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)، (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ
 الْمُلْكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ
 الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ. (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ
 حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ
 الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) - ثلاثاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. (أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ، وَوَضَعْنَا عَنكَ وَرِزْقَ الَّذِي أَنْفَضَ ظَهْرَكَ، وَرَفَعْنَا لَكَ
 ذِكْرَكَ، فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ، وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ). بِسْمِ اللَّهِ
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ،
 تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا
 الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ (وَأَمَنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ) - ثلاثاً.

بسم الله الرحمن الرحيم. (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، اللهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) ثلاثاً.

بسم الله الرحمن الرحيم (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ، وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ .) بسم الله الرحمن الرحيم. (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ، مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ.) بسم الله الرحمن الرحيم. (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ. آمين سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.) انتهى

9.6 حديث الشيخ احمد اليشرطي مساء الخميس 1977/9/1

"نحن ما زلنا نبحث في عموميات التصوف ، طبعاً التصوف له شأن عظيم و موقع كبير من الإسلام ، و في الفكر الإسلامي ، و لولا هذا الشأن الكبير لما حظي التصوف في هذا الاهتمام الكبير سواء من المؤمنين أو من المعترضين ، يعني دليل أن التصوف له مكانة كبيرة هو أن كل الناس تبحث فيه سواء يعترضوا عليه أو يأخذوه فيه أو يؤيدوه .اهتمام المسلمين وحتى غير المسلمين في شؤون التصوف دليل على أهميته لأن الإنسان لا يرمي بالحجر إلا الشجر المثمر ، يعني إذا مر في بستان وأحب أن يقتطف منه فلا يهتم بالشجرة التي ليس عليها حمل ، ليس عليها ثمر ، يفتش على الشجرة أو الأشجار الحاملة المثمرة ويهتم فيها ويقتطف منها لذلك في كثير من الناس وحتى من رجال التصوف اهتموا في البحث في شؤون التصوف، ونحن عندما نرى هذه الأهمية للتصوف يلزم علينا أن نبحث فيه أيضاً. يمكن الشيء الذي يتبادر إلى الذهن هو السؤال: انه طالما نحن نريد أن نبحث في التصوف ما هو التصوف ؟ طبعاً ليس من المستحيل أن نعرف ما هو التصوف كله لعمق الفكر الصوفي صار من الصعب وضع تعريف للتصوف. الآن التعريف يقيد المعرف، يضع حدوداً للمعرف. إنما بعد أن نرى بعض ما تطرق إليه رجال العلم في التصوف سنرى أن التصوف ممكن أن نعرفه . في واحد من العلماء وضع التعريف التالي قال: التصوف هو الفناء عن النفس والبقاء بالله تعالى والتخلص من الطبائع والاتصال بحقيقة الحقائق. إذا أخذنا هذا التعريف وفحصناه نجد أن واضع هذا التعريف حاول أن يضع حدوداً للتصوف من خلال صفات معينه وجدها في التصوف. يعني لم يضع تعريفاً للتصوف إنما حاول أن يتعرف على التصوف من خلال ركائز، هو رآها وهي

فعالاً في التصوف. يعني الفناء عن النفس، يتخلى العبد عن نفسه هذه ركيزة من ركائز التصوف. المتصوف لا يعتبر متصوفاً أو العبد لا يعتبر متصوفاً إلا إذا تخلى عن نفسه وعن كيان نفسه و هو إذا تخلى عن كيان نفسه ما معنى ذلك ، إذا تخلى العبد عن كيان النفس هل يزول العبد أو يبقى ؟ العبد يبقى ولذلك قال هذا المعرف: والبقاء بالله تعالى. فالعبد في حد ذاته باقٍ إنما زال كيان نفسه وبقي هو منشغلاً بالحق، بقاءه في انشغاله في الحق (يعني كفتا الميزان) في واحد (حط) كيان النفس وفي العين الثاني وضع بقاءه في الله . فطبعاً رَجَحَ بقاءه في الله عن كيان نفسه، لأن كيان نفسه زال فلم يعد له ثقل حتى يعدل الميزان، أو يتقل الميزان من ناحية العين التي فيها كيان النفس. والتخلص من الطبائع هذا شرط من شروط التصوف، يعني ما تتطلبه النفس من حيث أنها بهذه الطلبات تشغل العبد عن الحق، ليس كل الطلبات، بل التخلص من كل متطلبات النفس التي تشغل عن الحق، لأنه توجد نفس تستحق البقاء. واحد من رجال التصوف اهتدى إليها، فالتخلص من الطبائع التي تحركها النفس لدرجة أن هذا التحرك يشغل العبد عن الحق فيجب على العبد أن يتخلص من هذه الطبائع المشغلة له عن الاتصال (بالحق). يعني إذا تخلص من الأمور التي تشغله عن الحق، تحقق عندئذٍ فيه اتصال بالله تعالى؛ فإذا مثل هذا التعريف توصل إليه واضعه عن طريق شروط وركائز موجودة في التصوف .

للشيخ ابن عربي له تعريف آخر، قال: التصوف صافاك الله أمره عجيب، وشأنه غريب، وسرُّه لطيف، ليس يُمنح إلا لأصحاب عناية وقدم صدق. الشيخ العربي هو من أئمة الصوفيين، رأى في التصوف أن أمره عجيب، لماذا؟ لأن التصوف يبحث في الله -في ذات الحق- فأمره عجيب لأنه لم يتجرأ على البحث في ذات الحق إلا أهل التصوف، حتى أن أهل الظاهر حرموا البحث في شؤون الله . قالوا هذه أمور لا يجوز البحث فيها لأنها تتعلق بالله، ونحن أدنى من الله، ولا يحق لنا أن نبحث في شؤونه، بل وأكثر من ذلك قالوا: البحث في ذات الله كفر. هؤلاء هم أهل الظاهر، فوقف القوم عند هذا الحد، حتى جاء أهل التصوف وقالوا إن الله هو الهدف وهو الغاية، والبحث فيه يؤدي إلى البحث عنه، والبحث عنه يؤدي إلى معرفته، ومعرفة الحق -معرفة الله- واجبه على العبد، لأنه لا يجوز للعبد أن يتعلق بمجهول، فلا يجوز أن يبقى الحق مجهولاً لدى العبد. لا بد من أن يصبح الحق معروفاً للعبد، حتى يكون تعلق هذا العبد بالحق تعلقاً صحيحاً، فأجاز أهل التصوف البحث في شؤون الذات، في شؤون الله ، (ليس فقط هذا)، بل وفرضوه. قالوا : العبد حتى يكون متصوفاً لا بد أن يبحث في شؤون الله كي يتمكن من الانتقال من مرتبه التصوف إلى مرتبه الصوفية، وهي مرتبة معرفة الحق.

فالمتصوف هو الباحث عن الحق، والصوفي هو العارف للحق... و شأن ÷ غريب-قول الشيخ العربي إن شأن التعرف غريب طبعاً . لأنه يبحث في أمور لا يستطيع غير أهل التصوف الغوص فيها والتي هي شؤون الحق. فشأن التصوف شأن غريب لأنه علم غريب على غير أهل التصوف، لأنه يبحث في شؤون - في أمور- غير أهل التصوف لا يستطيعون التقرب منها.

وسره لطيف)، لأنه إذا استطاع هذا المتصوف أن يتصوف فلا بد إلا وأن يبحث ليس في العلوم النقلية، وإنما في العلوم الدنوية، والعلوم اللدنية كلها أسرار. وسر الإسرار فيها هو ذات الحق. لذلك كان سر التصوف لطيفاً. و سره لطيف ليس يمنح إلا لصاحب غاية إلا لوحد عنده اهتمام وعنده مقدرة ليعتني بهذا الأمر، ويجب أن يكون له قدم صدق في العبودية، وإلا فلا يكون من أبناء التصوف.

إذا اطلعنا على هذا التعريف لابن عربي، نجده أيضاً يحوم حول الحمى، يعني يحوم حول التصوف - لم يدخل في حقيقة التصوف ماهية التصوف - لم يضع تعريفاً للتصوف .

هناك عالم آخر من علماء التصوف قال: التصوف هو الحكمة التي تؤذن للعبد سعادة الدارين بالمعارف الإلهية بالاستناد إلى الآية الكريمة التي تقول (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) فهذا التعريف توصل إليه صاحبه من خلال الآية. ولكن إذا بحثنا فيه فإننا نجد أن هذا التعريف قائم على النتيجة التي يصل إليها المتصوف - تؤمن للعبد سعادة الدارين - توصل إلى التعرف من النهاية. قبل أن تؤمن له سعادة الدارين ما هو الذي يريد أن يتمسك فيه ؟ فواضع هذا التعريف رأي في التصوف انه الحكمة الإلهية التي يمنحها الحق للعبد فتؤمن لهذا العبد سعادة الدارين الأولى والأخرى عن طريق المعارف الإلهية (اللدنية) التي ينزلها الحق على هذا الحق على هذا العبد (المتصوف) .

هناك تعريف آخر يقول: علم التصوف اشرف العلوم وأفضلها على الإطلاق، لأن موضوعه معرفة الحق، والعلم يشرف بشرف مقصوده. هذا التعريف قرب على المقصود من التصوف لماذا؟ لأن التصوف هو موضوع التصوف هو معرفة الحق. إذن المتصوف أو العبد يصبح متصوفاً بقصد معين. يعني الخلائق كلها عباد، كل الناس عباد للحق، ولكن هناك فئة معينة من هؤلاء العباد هي التي تختص بالتصوف، وهذه الفئة هي التي تهتم بمعرفة الحق. العباد يوجد فيهم من لايبالي بالمعرف. منهم الذي يقول لك (لا تفرق معي إن كنت بحثت أو لم تبحث، عرفت أم لم تعرف)، بل ويوجد منهم المعترض. ولكن هل رأيت متصوفاً معترضاً أو لامبالياً، لأن ذلك يتنافى مع بعضه. فسلوك طريق التصوف يتنافى مع وجود الاعتراض لدى المتصوف.

المتصوف يسلك طريق التصوف بقصد الوصول إلى غاية معينة هي: التعرف إلى الحق. فإذا المتصوف لا يمكن أن يكون لا مبالياً ولا يمكن أن يكون معترضاً، فهم إذن فئة معينة من العباد

اِخْتَصَّت بِالرَّحْمَةِ وَاخْتَصَّت نَفْسَهَا بِأَنْ أُخِذَتْ تَبْحَثُ عَنِ الْحَقِّ. هَذِهِ الْفَنَاءُ تَرِيدُ أَنْ تَصِلَ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، وَالَّذِي هُوَ مَقَامُ الْوَصُولِ وَغَايَةُ الْمُتَصَوِّفِ.

هناك تعريف من التعريفات الصحيحة. ما هو؟ " التصوف هو السعي إلى الذات عن طريق الاتصاف بالصفات - هذا تعريف لا بأس فيه- فتظهر آثار صفات الحق على العبد، فيكون العبد مرآة لصفات الحق فتعكس صفات (الحق) في تصرفات هذا العبد، فتظهر صفات الحق في هذا العبد. فهذا العبد تمر عليه لحظات رحمة يكون فيها رحيماً وتمر عليه لحظات غضب و تمر عليه لحظات شدة وهكذا ، يعني صفات الحق تظهر في تصرفات العبد حتى-التعريف يقول-تظهر آثار صفات الحق على العبد حتى يفنى العبد من شهود الذات الصادر منها أنواع المبدعات . فظهور صفات الحق على تصرفات العبد تقرب هذا العبد من ذات الحق. يعني المتصوف عندما يمر بتجلي رحمة يرى انه أصبح عنده وسع' (ورأى) أخاه أو مثلاً ابنه وقد أذنب، فيأخذه بالرحمة، أو إن رآه قد أذنب يمر تجلي الشدة فيأخذه بالشدة. هذا العبد لا يرى ذلك في نفسه من نفسه، لانه إذا رأى الشيء من نفسه يكون هذا الشيء حجاباً بينه و بين سيره فيحجبه. فهذا العبد لا يرى في تصرفاته إلا انعكاساً لتجليات الحق فيه، ولذلك كان العبد اقرب المخلوقات إلى الحق لان الحق هكذا قرر - النصوص تقول هكذا تقول ان : الحق اصطفى من المخلوقات آدم وجماعته، فاصطفاهم، ولذلك كان العبد اقرب المخلوقات إلى الحق، فكانت صفات الحق تتجلى في تصرفات هذا العبد. وفي هذه الحال هذا العبد يعيد الأمور إلى صاحبها، ولا يرى هذه التصرفات فيه هو، وإنما يراها من (الحق)، فيفنى هذا العبد في شهود الذات، يعني تصرفاته هي انعكاس لتجليات الصفات. ولكن شهوده يكون منحصرًا بالذات، بمعنى أن هذا العبد لا يرى في الوجود إلا الذات من خلال الصفات التي تتجلى فيها في الكون، يعني أن الذات جوهراً ولا تظهر في الوجود إلا عن طريق صفاتها، ولذلك معرفة الحق لا تكون في الابتداء إلا عن طريق الصفات. فإذا اخترق نظر العبد هذه الصفات توصل إلى نور الذات. يعني العبد لا يستطيع أن يعرف الحق رأساً - و لو كان متصوفاً ، ولو سلك طريق التصوف - إلا إذا استطاع أن يعرف صفات الحق ثم يهضم هذه الصفات، أي استطاع أن تستقر معاني هذه الصفات عنده في نفسه. وهذا هو الإيمان بالذوق والوجدان مع عدم الوقوف عند حد التصديق واليقين. هذا التعريف الذي قلناه الآن: هو الإيمان بالذوق والوجدان دون الوقوف عند التصديق و اليقين لماذا ؟ لان الذوق و الوجدان شيء كامل في النفس شيء ذاتي فالإيمان عن طريق الذوق والوجدان هو إيمان ذاتي، في حين الإيمان عن طريق التصديق واليقين هو إيمان نقلي. كلمة التصديق (هكذا تدل أنت تصدق يعني تصدق غيرك) فأنت يُنقل إليك ما ثبت عند غيرك، وهذا لا يجوز في التصوف.. شيء ثبت عند غيرك، فليس لك أنت دخل فيه، ولا يجوز لك أن تأخذ بطريق النقل ما ثبت عند غيرك دون أن يثبت عندك. فهذا تقليد والتقليد لا يجوز.

فواضع هذا التعريف أضاف إليه هذا المعنى أي الإيمان الذاتي. فإيمان العبد ذاتيا بالحق يكون إيمانا متداخلا مباشرا، يعني مش واحد قال لك تعال آمن. فأنت آمنت لأنك رأيت، وهذا هو الإيمان عن طريق الذوق الوجدان بدون الوقوف عند حد الإيمان النقلي -إيمان الغير-. فيكون اقرب التعاريف إلى حقيقة التصوف هو هذا التعريف المستفيض يعني المفصل. فمن هذا البحث الذي رأيناه ممكن أن نصل إلى التعرف على التصوف عن طريق وضع تعريف موجز بسيط لانه نحن لنا حق مثل ما لهؤلاء القوم حق في التعريف. فالتصوف هو البحث عن الحق في الحق (فقط). ولذلك كان علم التصوف علما ذاتيا قائما بذاته، علماً متكاملًا. فالتصوف يلجأ إليه العبد متصوفا بقصد البحث عن الحق حتى يصل إلى هذا الحق طبعاً والحق هو اسم الذات في علم التصوف -فالتصوف يلجأ إلى التصوف بقصد التعرف على الحق، يريد أن يعرف من هو الله ، ولا يمكن له أن يعرف من هو الله إلا إذا بحث في شؤون الله (نفسه). تريد أن تعرف الله وتبحث في شؤون الجبال أ الوديان؟ ما علاقة هذا بهذا. تريد أن تبحث عن الله، فذلك يعني انك تريد أن تبحث في نطاق الله- في حدود الله - فالتصوف هو البحث عن الحق في الحق."

10.6 إجازة مؤرخة رمضان 1339هـ، مختومة بختم الشيخ ابراهيم نور الدين البشروطي

بتعيين علي الحسين مقدما لبلدة بيت عور،

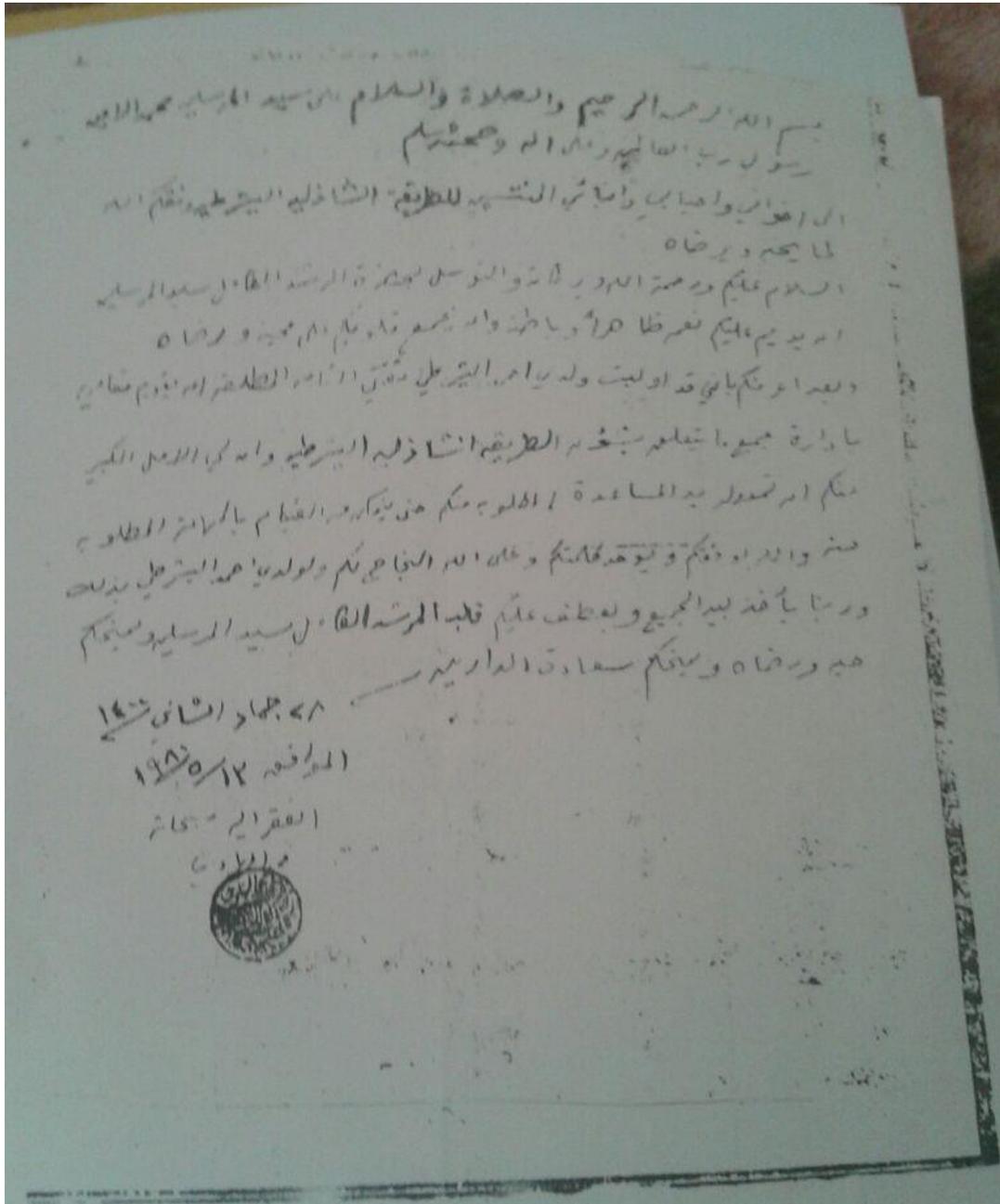
بسم الله الرحمن الرحيم
حمداً لوليه والصلوة على آله وصحبه وسلم

اولادنا اللعنة والغلبة فقر وبيت عور وفقرهم له لصالح الاعمال
بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ودرام الدعاء والرضا والتوجهاء والثاني
وصل منكم سنتمائة وخمسون غرثاً مصري رباباً وفقماً للساعة الخيرية
ويمنحكم كما منح عباده الصالحين واوليائه العارفين ثم اني قد اقتنت
مقدماً عليكم ولدنا علي الحسين واذنت اليه واجزته بان يعطى الطريقة
لكل من يطلبها الا ان تمتلوا امره وتكونوا يداً واحده على محبة الله ورسوله
ربنا بدمي تعطفوا قلب سيدنا الاعظم عليكم وعلى اسرتكم في رمضان

الشيخ
ابراهيم نور الدين
البشروطي



11.6 رسالة إجازة من الشيخ محمد الهادي الشيرطي بتعيين ولده احمد الشيرطي خليفة له
 في مشيخة الطريقة مختومة بختم الشيخ الهادي ومؤرخة 13 مايو 1980، 28
 جمادي الثاني 1400 هجرية

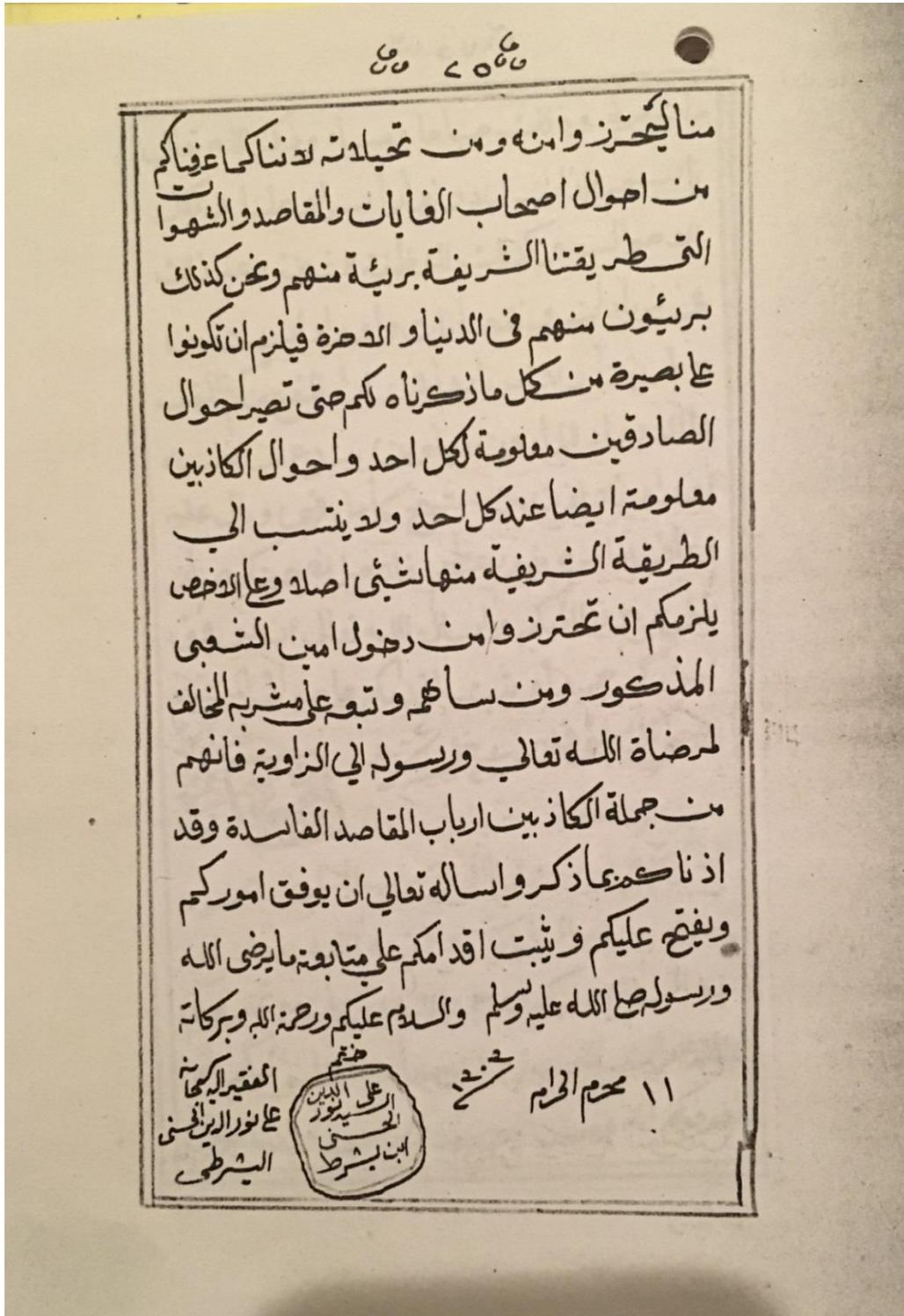


الزيتونة

ولما شرف ربه الله عنه وجاء الى المدينة عكة نزل بجامع ~~الزيتونة~~
واختلى به وبقي نحو اربعة اشهر لم يخرج منه ثم
خرج يوما من خلوته وهو يمدم كالجمال الصائم وقد
اجتمع خلق كثير من اهل عكة فتعجبوا من حاله فقال لهم يا اهل
عكة انه موجود عندهم كمنزلة ان نفتح ونخرج ما فيه
ثم رجع الى خلوته وبقي اربعة اشهر لم يخرج منها فصار بعضهم
يقول انه سيماء وي وبعضهم يقول انه كيماء وي وبعضهم يقول
انه من الألياء وتعجبوا بأمره وحاله ثم طلع من خلوته وظهرت
كرامته ونشر الطريقة فأتت اليه الخلق من جميع الجهات
واخذوا عليه العهد وانتعوا به ووقع الله له القبول التام
عند الخاص والعام وصرفه في الوجود ومكنه في احكام الولاة
وقلب له الأعيان وخرق له العادات وانطقه بالمغيبات
واظهر على يده العجائب وظهرت الأولياء والعارفون
من تحت يده وانتشانت الطريقة في جميع البلاد وكثرت
اهلها ورزى رجالا عارفون بالله لا يعدواي رجالا كلهم
اولياء لله تعالى أصحابين مقامات وتمكين عندهم مكاشفات
ربانية

13.6 رسالة من الشيخ علي نور الدين البشريطي بطرد أمين أبو ريشة من الطريقة، مختومة

و مؤرخة 11 محرم 1303 هـ



14.6 مخطوطة للطفلة جود فارس من كندا في شهر سبتمبر 2016

on Saturday at 10 Sunday me and my
Family went to the (Ziywie) to
(Saleh) for (handseina) because he was
Sick. his blade was slawe and something
blood his hart. and when where
Sick he (Saleh's) for us too.
And I fell sad because he is
Sick. on wedday me and my Familie

الطفلة جود فارس مولودة في كندا عمرها خمس سنوات، حفيدة مقدم الطريقة في مدينة كالجاري بكندا، تربت على جانب الطريقة ومحبة الشيخ. تقول في واجب مدرسي: ذهبنا يومي السبت والأحد الى الزاوية لنصلي وندعو لحضرة سيدنا بالشفاء، لأنه كان مريضا، حيث أن سريان دمه كان بطيئا، وأنه حدث انسداد في شرايينه. وهو أيضا يدعو لنا بالشفاء عندما نمرض.

15.6 زيارة الشيخ محمد الهادي الشرطي لبلدة برجا في لبنان سنة 1933 ، مقالة من

موقع برجا الإلكتروني 9 يوليو 2008

<http://www.ebarja.com/?p=26>

هو خادم الطريقة الشاذلية اليشرطية، ابن إبراهيم ابن المرشد علي نور الدين الكبير، ولد بمدينة عكا في فلسطين المحتلة. ومنذ إلتحق والده الإمام أبراهيم بالرفيق الأعلى قاد سفينة الطريقة الشاذلية اليشرطية، وقد زاد في عهده إنتشار الطريقة حتى شمل قسماً كبيراً من آسيا وإفريقيا . عام 1933 شهدت برجا الشوف مناسبة خرجت لها بكبارها وصغارها، لأستقبال الشيخ محمد الهادي الشرطي الداعي إلى الأخوة والمرحمة بين أتباع الطريقتين الشاذلية والقادرية في برجا، الذين استزلهم الشيطان وأغرى بهم في حوادث ضرب وتلاسن وجراح على ساحة العين، فجاء الشيخ إلى برجا ليمحو ما علق بالقلوب من غل، ويثبت علائم الإيمان: أن كونوا عباد الله إخوانا.



اصطف الناس في ساحة عين برجا صفين متقابلين، وازدحمت "الترسينات" والشرفات والسطوح، وهم يستقبلون الشيخ بفرح وحبور : يا سيدنا الهادي نحنا محبينك.... نبغض اللي يبغضك ونموت على دينك.

صلاة الظهر في جامع برجا الكبير كان جامعة حاشدة ، تلتها حضرتان صوفيتان، شاذلية وقادرية، يتناوب الشيخ الشرطي بينهما.... والغذاء كان عند الشيخ بو علي قدور سعد.

قالت لي عائشة محمد سليم يحيى: رأيت الناس يتسابقون على التبرّك بشيخ الطريقة، حتى بالماء الذي يقطر من وجهه ويديه من أثر الوضوء.

7 المصادر والمراجع

1.1.7 المصادر العربية

1. البرهمجي، عمر بن محمد بن علي ، جواهر الكنوز الخفية في مناقب اليشرطية، مخطوطة
2. الحرستاني، علي بن مصطفى الطقطاق، جوهرة المحبين في مناقب الشيخ علي نور الدين اليشرطي، مخطوطة، 1317 هـ
3. ابناء الطريقة الشاذلية اليشرطية، اللطائف الروحية، بيروت مطبعة الإنصاف ، د. ت.
4. أبو ريشة، مصطفى، النفحات القدسية العلية بشرح الوظيفة الشاذلية اليشرطية، ط4، 1985
5. أبو الشامات ، محمود، الإلهامات الإلهية على الوظيفة الشاذلية اليشرطية، ط 3، 1980
6. ترمنجهام، سبنسر، الفرق الصوفية في الإسلام، ترجمة وتعليق عبد القادر البحرأوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1997
7. الحمصي ، عبد القادر، مولد النبي محمد ط 10، د.م. د. ن، 1997
8. صوافطة، وفا، المدرسة الشاذلية اليشرطية، وشيخها علي نور الدين اليشرطي، ط 1، د.م. ، د. ن. 2003
9. الطيب، عاطف حمدي، تأملات روحية في مولد النبي للشيخ عبد القادر الحمصي، دار البشائر، دمشق، ط 1، 2015
10. اللو، عمر محمد سعيد، المضامين التربوية للفكر الصوفي في الإسلام، دار البشائر، دمشق، ط 1، 2012
11. ناصر، اسكندري الفوزي القومري، أساليب التربية الأخلاقية في الطريقة الشاذلية اليشرطية، ومدى مراعاة معلمي المرحلة الثانوية لها في جزر القمر الإتحادية، دار البشائر، دمشق، 2012
12.الوظيفة الشاذلية اليشرطية نجا، مصطفى ، كشف الأسرار لتتوير الأفكار، ط 5، 1982
13. اليشرطي، احمد محمد (الهادي)، مذكرات بخط اليد ابتداء من 1977-
14. اليشرطية، فاطمة، رحلة إلى الحق، ط 4، د. م. د. ن. 1997

15. اليشرطية، فاطمة، مسيرتي في طريق الحق، أثر التصوف في حياتي، ط 1، د. م. د. ن. 1981
16. اليشرطية، فاطمة، مواهب الحق في الكرامات الشاذلية اليشرطية، ط 3، د. م. د. ن. 1997
17. اليشرطية، فاطمة، نفحات الحق في الأنفاس العلية الشاذلية اليشرطية ط 4، د. م. د. ن. 1997
18. السلمي، أبو عبد الحمن محمد بن الحسين الأزدي النيسابوري، كتاب آداب الصحبة وحسن العشرة، حققه وعلق عليه م. ي. كيستر/ منشورات الجمعية الشرقية الإسرائيلية، القدس، 1954
19. أسهروردي، أبو النجيب عبد القاهر، كتاب آداب المريدين، حققه وقدم له مناحيم ميلسون، صادر عن معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية/ الجامعة العبرية بالقدس، 1977
20. موريه، شيموئيل، أثر التيارات الفكرية والشعرية الغربية في الشعر العربي الحديث 1800-1970 ، ترجمة شفيح السيد وسعد مصلوح، اصدار مكتبة كل شيء، حيفا فلسطين، 2004

2.1.7 المصادر الأجنبية

1. Cadavid, Leslie. "Two Who Attained: Twentieth-Century Sufi Saints: Shaykh Ahmad al-'Alawi & Faṭīma al-Yashruṭīyya", Louisville: Fons Vitae, 2005
2. De Jong, Frederick. "The Sufi Orders in the Nineteenth and Twentieth Century Palestine: A Preliminary Survey Concerning Their Identity, Organizational Characteristics and Continuity". *Studia Islamica*, no. 58 (1983): 149-181
3. Lings, Martin, *What is Sufism*, Printed at the Carvan Press, Darbar Market, Lahore, distributed by Suhail Academy, Chowk Urdu Bazar, Lahore, Pakistan, 2005
4. Yesud Hama'aalal: The Immigration of Eleven Farmers from Russia in 1883, in Hebrew Kuntresin Texts and Studies, 8, photocopy Ed.

2.7 المراجع

1. الحلاج، أبو عبد الله، الحسين بن منصور، ديوان الحلاج، شرح وتحقيق هاشم عثمان، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ط 1، 2003
2. الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار الحديث، القاهرة، 1998
3. الغزالي، أبو حامد، مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار، تحقيق عبد العزيز السيروان، عالم الكتب، بيروت ط 1، 1986
4. الغزالي، أبو حامد، المنقذ من الضلال، مجموعة عبد الحليم محمود، دار الكتاب اللبناني، ط 2، 1985
5. ابن عجيبة، أحمد بن محمد، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، مصر، د.ت، د. ن
6. ابن عربي، محيي الدين، فصوص الحكم، تعليق أبو العلا عفيفي، الكتاب العربي، بيروت، د. ت.
7. ابن عربي، محيي الدين، الفتوحات المكية، القاهرة، تعليق ابو العلا عفيفي، الكتاب العربي، بيروت د. ت.
8. ابن عياد، أحمد بن محمد الشافعي، المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، مكتبة القاهرة، الطبعة الأخيرة 1964
9. الجيلي، عبد الكريم، الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، ط 4 د. م. ، الفكر 1975
10. زروق، أحمد، قواعد التصوف، المعاهد، وبيروت، الجيل 1992
11. السراج، أبو نصر، اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود و طه سرور، دار الكتب الحديثة بمصر، 1960
12. السكندري، أحمد بن عطاء الله، الحكم العطائية، شرح ابن عباد الرندي النفري
13. السكندري، أحمد بن عطاء الله، لطائف المنن في مناقب الشيخ المرسي وشيخه أبي الحسن مطبعة الفخرية، القاهرة 1972 م
14. السيوطي، جلال الدين، تأييد الحقيقة العلية وتشديد الشاذلية، مطبعة الإسلامية، القاهرة 1934
15. عيسى، عبد القادر، حقائق عن التصوف، مكتبة دار العرفان، حلب، ط 5، 1993
16. غني، قاسم، تاريخ التصوف الإسلامي، ترجمة صادق نشأت، مكتبة النهضة المصرية، 1970
17. الفارابي، أبو النصر، آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها، الهلال، بيروت 1995
18. محمود، الشيخ عبد الحليم، قطبا المغرب، دار الكتاب اللبناني و دار الكتاب المصري 1990

المحتويات

شكر و عرفان	ب
الملخص	ت
الفصل التمهيدي	1
مقدمة	1
فكرة موجزة عن الطريقة	1
دوافع لاختيار الموضوع وأهميته	3
أهمية الدراسة	9
الهدف من البحث	12
منهج الدراسة	14
1 الفصل الأول: التصوف الإسلامي: ماهيته وأصل تسميته ونشأته وتطوره	16
1.1 ماهية التصوف وتعريفه	16
2.1 أصل التسمية واشتقاقها	20
3.1 رأي أهل التصوف في التصوف	22
4.1 نظرة للشيخ أحمد اليشريطي في التصوف وتعريفاته	23
5.1 التصوف الإسلامي ونشأته	25
6.1 علاقة التصوف بالدين والفلسفة	26
2 الفصل الثاني: الطريقة الشاذلية اليشريطية-تاريخها وأعلامها	34
1.2 مقدمة	34
2.2 مشايخ الطريقة الشاذلية اليشريطية	36
3.2 سيرة الشيخ علي نور الدين اليشريطي	37

37.....	1.3.2 مقدمة
38.....	2.3.2 مولده ونشأته
41.....	3.3.2 البيئة التي أحاطت بالشيخ
42.....	4.3.2 تصوف الشيخ علي نور الدين
42.....	5.3.2 مشيخة الشيخ علي نور الدين للطريقة المدانية
44.....	6.3.2 مدينة عكا في القرن التاسع عشر
45.....	7.3.2 الشيخ علي نور الدين في عكا بفلسطين
46.....	8.3.2 الشيخ علي نور الدين في ترشيحا
47.....	9.3.2 نفيه الى جزيرة رودس
49.....	10.3.2 الطريقة الشاذلية اليشرطية في جزر القمر وشرق إفريقيا
50.....	4.2 الشيخ ابراهيم بن علي نور الدين اليشرطي
51.....	5.2 الشيخ محمد الهادي بن ابراهيم اليشرطي
51.....	6.2 الشيخ أحمد بن "محمد الهادي" بن ابراهيم اليشرطي
52.....	1.6.2 الشيخ احمد اليشرطي وعلوم التصوف
53.....	1.1.6.2 الأصل الأول في علوم التصوف: العلم بالذات
54.....	2.1.6.2 الأصل الثاني: العلم بالحق
56.....	7.2 الطريقة اليشرطية في فلسطين وعلاقتها بالطرق الأخرى والانشقاقات عن الطريقة
57.....	8.2 التفرعات والانشقاقات في الطرق
59.....	3 الفصل الثالث: الانتساب للطريقة اليشرطية وأورادها وفلسفتها
59.....	1.3 الانتساب الى الطريقة والمبايعة
62.....	2.3 الوظيفة الشاذلية اليشرطية

62.....	3.3 أوراد الطريقة الشاذلية اليشرطية
63.....	4.3 الذكر باسم الله الأعظم: الذكر الخفي
64.....	5.3 الزاوية مركز النشاط الروحي للطريق
65.....	6.3 النظرة الفلسفية للشيخ علي نور الدين اليشرطي
65.....	1.6.3 العلاقة بين التصوف والشريعة وبين الفلسفة
69.....	2.6.3 الشيخ اليشرطي والقلب والروح والنفس والعقل
72.....	3.6.3 الشيخ اليشرطي والوجود
72.....	1.3.6.3 موقع الإنسان في الكون - الإنسان الكامل
78.....	4.6.3 نظرة الطريقة الشاذلية اليشرطية إلى الإلهيات
78.....	5.6.3 الشيخ اليشرطي ونظرته في الصفات الإلهية
80.....	7.3 التربية في الطريقة الشاذلية اليشرطية
80.....	1.7.3 دور الاعتقاد بالشيخ في التربية
83.....	2.7.3 التربية الأخلاقية والروحية
85.....	3.7.3 باب الوسعة الذاتية والتسامح
86.....	4.7.3 مبدأ المحبة والإخاء في الطريقة، وموقع الأخ في التربية الروحية
87.....	8.3 نظرية الشيخ اليشرطي في المعرفة
89.....	9.3 الشيخ اليشرطي والتوحيد
91.....	10.3 نظرة الشيخ القائم، الشيخ أحمد اليشرطي في الطريقة وأحكامها واركائها
91.....	1.10.3 أحكام ومراتب الطريقة - مقابلة مع الشيخ أحمد اليشرطي
102.....	4 الفصل الرابع: الشعر والشعراء في الطريقة الشاذلية اليشرطية
119.....	5 نتائج الدراسة والتوصيات

119	1.5 النتائج
122	2.5 التوصيات
123	6 الملاحق
123	1.6 السلسلة الروحية لأشياخ الطريقة الشاذلية اليشرطية:
125	2.6 أهم الدراسات حول الطريقة الشاذلية اليشرطية
130	3.6 كتب أرخت لرجال التصوف في دمشق وحلب
131	4.6 كتب أرخت لرجال التصوف والطريقة في فلسطين
132	5.6 كتب تحدثت عن عكا ورجالاتها
134	6.6 مؤلفات لشيخو السلسلة الشاذلية اليشرطية المخطوطة والمطبوعة
137	7.6 إجازة من الشيخ إبراهيم اليشرطي لمقدم بيت عور في فلسطين مختومة بختم الشيخ
137	8.6 الوظيفة الشاذلية اليشرطية
140	9.6 حديث الشيخ احمد اليشرطي مساء الخميس 1977/9/1
	10.6 إجازة مؤرخة رمضان 1339هـ، مختومة بختم الشيخ ابراهيم نور الدين اليشرطي بتعيين علي
145	الحسين مقدما لبلدة بيت عور،
	11.6 رسالة إجازة من الشيخ محمد الهادي اليشرطي بتعيين ولده احمد اليشرطي خليفة له في مشيخة
146	الطريقة مختومة بختم الشيخ الهادي ومؤرخة 13 مايو 1980، 28 جمادي الثاني 1400 هجرية
	12.6 من مخطوطة للبرزنجي تصف نزول الشيخ علي نور الدين اليشرطي في جامع الزيتونة بعكا،
147	مؤرخة 1307 هـ
	13.6 رسالة من الشيخ علي نور الدين اليشرطي بطرد أمين أبو ريشة من الطريقة، مختومة و مؤرخة
148	11 محرم 1303 هـ
149	14.6 مخطوطة للطفلة جود فارس من كندا في شهر سبتمبر 2016

15.6	زيارة الشيخ محمد الهادي اليشرطي لبلدة برجا في لبنان سنة 1933 ، مقالة من موقع برجا الإلكتروني 9 يوليو 2008	150
7	المصادر والمراجع	152
1.1.7	المصادر العربية	152
2.1.7	المصادر الأجنبية	153
2.7	المراجع	154